

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية

شارك في هذا العدد الأساتيذ:



العدد التاسع والعاشر
السنة الثانية عشرة
جمادى الاولى 1389
غشت 1969



مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد التاسع والعاشر
السنة الثانية عشرة
جمادى الأولى 1389
غشت 1969
ثمن العدد: درهمان

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « دعوة الحق » ــ قسم التحرير ــ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ــ المغرب . الهاتف 10 ــ 308

الاشتراك العادي عن سنة 20 درهما ، والشرفي 30 درهما
ـفـأكثـر .

السـنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حســاب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ــ 485 ــ الرباط

Daòuat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ
الرباط ــ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط
تليفـون 10-308 ــ 03-327 ــ الرباط

نص خطاب

صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني

نصره الله

في عيد الشباب

تفضل صاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده ، فوجه الى شعبه الوفي مساء يوم 8 يوليوز عن طريق الاذاعة والتلفزة كلمة سامية بث فيها عواطفه وتقديره ومحبته لشعبه العظيم بمناسبة بلوغه حفظه الله سن الاربعين من عمره المديد .

وفيما يلي نقدم الى قرائنا نص النطق الملكي :

الحمد لله

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

شاءت ارادة الله وعناية والدي طيب الله ثراه الا ان تجعل من هذا اليوم ومن التاسع من شهر يوليوز ، ذكرى ميلادي ، أن تجعل منه يوما يحتفل به المغرب ، وتحتفل به الامة المغربية ، ويحتفل به الشباب خاصة ، وان انسى لا انسى ذلك اليوم الاغر والخطير في آن واحد يوم تاسع يوليوز سنة 1957 حينما اضفى علي والدي رحمه الله ، شرفا وعبئا حينما اخذ لي ولاية العهد ، وعقدها لي ، ولا زلت اذكر النصائح الثمينة والارشادات القيمة ، التى وجهها الي ذلك اليوم .

فما زلت اذكر ذلك القسم الخطير الذى اخذته على نفسي أمامه وأمامك أيها الشعب العزيز .

ومنذ ذلك اليوم . وحالتي كما قال الشاعر المتنبي او كما يقول :

حال المدبر أن اكون كما أرى
عين مسهدة وقلب يخفق

عين مسهدة لا تنام وانت نائم ، قلب يخفق وقلبك مرتاح ، ضمير يحاسب نفسه كل دقيقة وضميرك مرتاح ، وهو مهيمنة عليه روح الطمأنينة والاطمئنان ، وذلك ، لان الظروف والسنين ، والاحداث والكفاح خلقوا جوا عجيبا غريبا عشت فيه منذ نعومة اظفاري ، جو هي المحبة كادت تكون عبادة وثنية ، جو من الترابط كاد يصور الالتحام الحقيقي ، جو من الغيرة ، جو من الاعتزاز بالمغرب ، ذلك الجو الذى يعيش فيه كل ذي نعمة وكل ذي خير

يخاف زواله ، وذلك حينما كنا نرى ان المؤامرات تدبر حوالك ، كل يوم وكل شهر ، فكان يعز علينا ان تفلت من بين أيدينا فرصة النصر ، كما كنا نخاف ونخشى ان يفرق بيننا الزمان ، وتبتعد بنا الاوطان ، وتخترق سبلنا ويفرق بيننا المستعمر ، كل ذلك كان كما أراده الله سبحانه وتعالى .

لقد حيكت المؤامرات ، ونفينا من بلدنا ، وصرنا نبكي عليك بكاء الثكلى ، وصرنا لا ننام ، ولا نفكر ، حتى صرنا لا نذوق للماء طعما ، ولا للاكل رائحة، وحتى صرنا لا نعرف للسماء لونا أزرق ، ولا لنبات الارض لونه الاخضر ، لم نكن نعرف اذ ذاك متى سنلتقي وكيف سنلتقي ولكن الشيء الذي كنا نؤمن به هو أننا يوما ما سنلتقي ، وكنت دائما اقول : ان منطق التاريخ سوف يرغم الجميع على أن يعود محمد ابن يوسف الى أرضه وعرشه ، وذلك اما ان يرجع وفي يديه الاستقلال والحرية ، واما أن يستقل شعبه، ويضع كشرط اولي وأساسي رجوع ملكه .

فكان هذا المنطق الذي خلقته لنفسي ولاسرتي ، هو السبب الاساسي والحبل الوثيق الذي كان يربطنا بالامل وبالايمان في الغد .

ومنذ ذلك اليوم يوم رجوع والدنا المنعم الى ارض وطنه ، كم قطعنا من اشواط واشواط وكم عرفنا من أحداث واحداث وعقبات وانتصارات ، في جميع المجالات فلم أكن يوما من الايام أنا ولي للعهد ، اشك في مستقبل هذا الشعب ، لانني لمست بيدي حيويته، وعبقريته .

لمست بيدي جديته ، فهو شعب عندما تكبر الاحداث وتعظم الكروب ، شعبي واعي ، شعب لا يرضى أن يسخر به ولا يرضى ان يكذب عنه او يقال فيه، شعب عزيز كريم يعرف اهدافه ، ويصل اليها وهو يطوي المراحل ويعمل الليل والنهار .

شعب أسدل عليه الله نعمة الاعتراف بالجميل، اسدل الله عليه نعمة التعلق بكل من خدمه ، صغيرا كان ام كبيرا وها نحن اليوم بصدفة عجيبة نحتفل بالاربعينية ، ولكن اي اربعينية نحتفل بها ؟ هل هي لسن ميلادي ؟

ام الاربعينية للسلسلة الذهبية التي ربطت بين محمد الخامس والحسن الثاني ؟

فمحمد الخامس طيب الله ثراه ، كما تعلمون ، بقي على العرش 31 سنة ، وانا هذه هي السنة التاسعة التي قلدني فيها الله مقاليد الامور ، فاذا أردنا أن نعد هذا العدد نجد كذلك اربعين سنة .

اربعين سنة من حلقة ذهبية ولا نراها وراثة كجميع الوراثة الاخرى ، بل اعتز انها كانت وراثة سياسية وروحية في آن واحد، فكاننا على عرش ملك واحد ، وكاننا لم يفارقنا الا الجثمان اما روحه الطاهرة فهي ترفرف حولنا .

فاذن لقد عرفتك منذ اربعين سنة وهذه اربعين سنة عرفت فيها والدي رحمه الله .

يقال ان الرجل حينما يبلغ سن الاربعين يبلغ سن الرشد ، وحاولت ان اجد تفسيرا لسن الرشد، ولعل في القرءان التفسير الصالح والسليم حينما قال : ولما بلغ اشده بمعنى انه بلغ سن الوعي الكامل المسؤولية الملقاة على عاتقه ، فحينما عرف الله سبحانه وتعالى من نبيه صلى الله عليه وسلم انه قد نضج لتحمل المسؤولية ويعيها ويفهمها ويفهمها اذ ذاك قال فيه انه بلغ أشده .

هذا للانبياء والرسل اما لسائر البشر فكل سنة هي سن الرشد كل طور في الحياة هو يجب على الانسان ان يبلغ اشده لان كل يوم تظهر مشاكل ، كل يوم توضع برامج ، وكل يوم وجب على اي مسؤول كان أن يصبح دائما على بصيرة ووعي تام بالمشاكل التي سيعالجها والتي سيحاول حلها .

اما انا فانني واع بشيء واحد هو انني كل ما عملت فانا مقصر ، وكل ما اجتهد فلازم من ان أزيد من الاجتهاد ، وكل ما عملت الا وستبقى نعمل أكثر ، وكل ما فرحت بعمل الا وسروري سيكون دائما ممزوجا بشيء ما من الواقعية وروح الانتقاد حتى يكون العمل عملا بانيا لا عملا هادما .

وانت شعبي العزيز اقول فيك قد بلغت اشدك.

بلغته منذ صرت امة .

بلغته منذ كانت لك حدود .

بلغته منذ كان لك علم .

بلغته منذ كانت لك جنسية .

بلغته منذ كان لك نظام .

بلغته منذ كان لك جيش فتحت به ورفعت بـه كلمة الله الى اطراف البلاد والمعمور ولا زالت حسب الظروف والملابسات تظهر على أنك بلغت أشدك وذلك البلوغ قد يكتسي فى كل حال من الاحوال ، وظرف من الظروف صبغة خاصة وتعبر عنه بكيفية خاصة.

فى الايام الاخيرة كنت أتتبع فى حلقات التلفزة الى بعض الارتسامات التى أخذها عني بعض الاساتذة الرفقاء الذين لا زلت اذكر لهم جميلهم .

وبكل أسف ـ ربما من فرط المحبـة والتعلـق وكما يقول العامة ((كبدة)) الاستاذ ـ انهم اظهروني بمظاهر تفوق ما كنت عليه ، وأريد أن تطمئن شعبي العزيز الى أن الحسن بن محمد ليس سـوى انسان مثلكم وكان تلميذا كجميع التلاميذ ، لم يكن يتفـوق دائما ولم يكن ينال الدرجة الاولى ولم يكن يجيب دائما بالجواب الذى يجب ان يجـاب به على الاسئلـة ، ولكن الشيء الذى أقوله لك هو انـه ايـام دراستي تعلمت شيئا مهما جدا هو انني تعلمت الطاعة .

ان والدي رحمه الله كان دائما يقـول : ((من لم يتعلم أن يطيع لا يمكنه ان يطـاع)) وروح الطاعـة والامتثال هذه هي التي جعلتني غداة وفاة والدي طيب الله ثراه اقلب حياتي كلها رأسا على عقب ، واطيع الواجب بدون أن أطيع هوى النفس .

لما كنت اسير وراء جنازة والدي رحمه الله كان الناس سائرين وراء جنازة أبي

اما انا فكنت اسير وراء جنازتين :

جنازة والدي

وجنازة ولي العهد

وهذه خطوة خطيرة قاسية لا يمكن ان يجتازها الا من كان له غرام وأي غرام بشعبه وامتـه ، ولو لم تكن تلك المحبة التي كادت ان تكون وطنية تملأ قلبـي وجوارحي لما كنت استطيع ان أتحمل الصدمـة وان أتغلب على ذلك التغيير الجذري الذى أخذت علـى نفسي طابع حياتي الجديدة .

فالله سبحانه وتعالى احمد على أنني من أول وهلة وجدت فيك شعبي العزيز الاخ الحنـون والاب البار والمرافق الامين منذ اللحظة الاولى من تربعـي عرش أسلافي الكرام ، ولا زلت أذكر صـلاة الجمعـة الاولى تلك التى وضعت خاتم الله سبحانـه وتعـالى على صك التعامل والترابط بيننا ، حين شعرت منذ ذلك اليوم وشعرت انت ان اللحمة موجودة .

ومنذ ذلك اليوم شعرت على ان كل تضحية تحملها وكل خطوة خطوتها لن تذهب سدى ولم تذهب هدرا ، بل وجدت تفسيرها ووجدت روحها فيـك شعبي العزيز .

تريد شعبي العزيز ان تجعل من هـذا العيـد عيدا استثنائيا ، وحـاولت أن أعـرف لمـاذا ؟ وفي الحقيقة وصلت الى النتيجة الآتية :

هذه النتيجة هي انه تراكمت فى قلبي وقلبك قوة من الحب تشبه قوة البخار الذى يضغط واول فرصة سنحت الا عبرنا عنها بهذا الشكل .

ولي اليقين انه لو كانت فرصة اخـرى دون ان تكون هذه الفرصة ان ذلك الضغط وذلك الحب وذلك التفاؤل وذلك الامل ولفت النظـر الى المستقبـل بعين زرقاء لا بعين مظلمة ذلك التجمع وتلك القوة من الحب والمحبة هي التى جعلتك شعبي العزيز تبحث عن اول فرصة يمكنك فيها ان تظهر ما تكنـه لى مـن محبـة ووداد .

ولقد صرت أشعر على أن العواطف التى تربط بيننا ليست العواطف العادية التى تربط بين ملك وشعبه ، وتعدت طور الاجلال وتعدت طور التقديـر وتعدت كل ذلك لكي تصل الى اصفى شيء واقواه فى ءان واحد وهو تلك الجرثومة الصغيـرة من الحب ، الحب السليم والمتواضع ، ذلك الحـب الذي يربـط الزوج بزوجه والاخ بأخيـه والابن بأبيه والصديـق بصديقه .

وصرت الآن اشعر اكثر من ذي قبل ان اسرتي هي 15 مليونا من السكان كما كان يقـول لي والـدي رحمه الله ، لا بكيفية عامة او بنظريات فلسفيـة او اجتماعية ولكنني حينما اتكلم معك اليوم اشعر على ان هناك 15 مليونا من الخيوط تربط بين قلبي وبين كل واحد منكم وعلى انني اصبحت اليوم افهم سـر الاله فى الحب والمحبة ، القلب صغير ولكن يمكنه أن يسع الدنيا وما فيها .

قلت لك شعبي العزيز انا قطعنا خطوات أخرى، خطوات لا بد ان نكون على بينة منها حتى نعرف كيف نحلها ، مشاكل معضلة ، مشاكل قائمة ، مشاكـل لم يعرفها المغرب وحده ولكن عرفتها الدول الراقية او

النامية وتكمن بالخصوص فى الميدانيـن الاجتمـاعي والثقافي .

وهديتي اليك انني فى هذه المـدة من العطلـة الصيفية سأنكب بعزم وحزم على اخطر مشاكلنا وهو مشكل شبابنا وتعليمنا وتثقيفنا . وانني اعتقد انني اذا وجدت حلا لهذا المشكل او على الاقـل بـدات فى حله ستكون احسن هديـة قدمها ملك الى كل أسـرة والى كل شاب يتطلع الى المستقبل .

حقيقة ان مهنتي لان لي مهنة لا ترتجـل ولكن تعلم منذ الصغر ، حقيقة لم يكن لي مشكل شخصيا بل كان لي مشكلان :

ــ المشكل الاول انه لم يكن لي اختيـار وكنت مرغوما على ان امتهن هذه المهنة .

ــ المشكل الثـاني ان هـذه المهنـة لا تسمـح بالسقوط فى الامتحان ، ففيها امتحانات ، وامتحانات ولكن لا تسمح بالسقوط .

ولكن هذا لا يجعلني بعيدا او غريبـا عن كـل شاب وعن كل ذي اسرة يفكر فى مستقبـله ويفكـر فيما سيكون عليه غده ويفكر كيف يمكنه ان يواكب التطور ؟ وكيف يمكنه مسايرة العصر ؟ وكيف يمكن له ان ياخذ مكانه فى المجتمع ويصبـح عضوا عامـلا فى المجتمع ؟ وكيف يمكن له ان يضمـن القـوت لنفسه ولاهله وذويه ؟

هذه كلها مشاكل ، مشاكل تراكمت ولم نصل لحد الآن الى حلها وذلك لاسباب متعددة :

اولا ــ لانها حقيقة من أصعب المشاكل وثانيا ، لاننا ــ ويجب علينا ان نقول ذلك ــ ينقصنا شيء من الشجاعة ومن ابتكار الفكر ، ولكن هنـا يصح قـول الشاعر :

الرأي قبل شجاعـة الشجعـان
هو أول وهـي المحـل الثانـي

فانا مستعد ان اخوض معك غمـار أي معركـة على شرط ان اكون انا اولا وانت ثانيا تكون على خبرة تامة بالمشاكل وبالاهداف وبالصعاب التى ستعترضنا فى الطريق وبالاطوار التى يجب علينا اجتيازهـا لكي نصل الى الاهداف .

هذا هو خطابي بالخصوص الى الشباب ، ليكن مطمئنا انني سوف اعمل جهدي حتى لا تزداد على الاضطرابات الفكرية والتي تخامر ذهن كل شاب شابان تزداد بعدم وجود تصميم او برنامج للتعليم والتكوين

فاطمئنوا اذن اخواني الشباب ، وسوف نحاول ونعمل جميعا يدا فى يد كما عملنا فى جميع المشاكل وامام جميع المشاكل ولي اليقين اننا سنجد حلـولا ونتغلب على الصعاب .

وما ذلك على همتنا جميعا بعزيز .

فالمشاكل الاقتصادية ولله الحمد هي فى طريقها، والمشاكل الفلاحية ولله الحمـد تسيـر سيرهـا ، والمشاكل القانونية الادارية يمكن لنا ان نفتخر بان لنا ادارة وجهازا اداريا وقانونيا اداريا وقانونا اجتماعيا من أحسن وارقى القوانين .

فماذا بقي اذن ؟

بقي مشكل الغد مشكلتك ومشكلتي ، مشكلـة الشباب فى جميع اطوار سن التعليم ، فلا يمـكن ان يقال عن شاب مر بجميع اطوار الشبـاب وعـرف مشاكلهم واحتار مثلهم انه غفل يوما ما عن معالجة هذا المشكل بكيفية لائقة المطابقة لروح العصر والمطابقة فى ءان واحد لمجتمعنا وحضارتنا وديننا القويم .

لم يبق لي الا ان اتوجه اليكم جميعا ، جماعـات وافرادا فى المدن والقرى بالشكر على مظاهر الافراح والمسرات التى اظهرتموها بمناسبة عيـد ميلادي ، واتوجه للكتاب والشعراء والملحنين والمغنين والمخرجين الى الذين نراهم او نسمعهم والى من لا نسمعه ولا نراه لكي اقول لهم أن هذه الذكرى ستبقى عالقـة فى ذهني ، وتكون لي حافزا جديـدا اذا كنت فى حاجة الى حافز جديد لكي اواصـل الليـل بالنهـار والعمل بالعمل فى سبيل اسعادك .

وانت تعلم شعبي العزيز ان اسعادك هو هدفي الاول وان اهتمامي بك فوق اهتمامي بكل شيء آخر، وانني اعتقد شخصيا ان أسرتي الصغيرة مدينة لك انت أسرتي الكبيرة .

مدينة لك لانك فى اليوم الاول منذ ان وطئنا هذا البلد الامين شعرنا اننا فى بلدنا وتزوجنا هنا وتناسلنا هنا واحتضننا المجتمع المغربي ، وبعد ذلك جعل منا الله ملوكا وبعد ان جعل منا ملوكا جعل منا

ءاباء للشعب وفوق هذا كله ، كلل جهادنـا وعملنـا وكفاحنا بالتضحية فى سبيل كرامتنـا وعـزنا ولا انسى ما قاسيته شعبي العزيـز حتى تبقـى كرامـة والدي موفورة ويبقـى عز هـذا العـرش العلـوي محفوظا .

والله اسأل أن يطيل بيننا ويديم هذه الرابطة وهذه الروح روح التضحية المتبادلة وان يجعـل مـن الثقة المتبادلة بينك وبيني تلك اللبنة الاساسية التى بدونها لا يمكنني ان أعمل أو أبني أو اشيد .

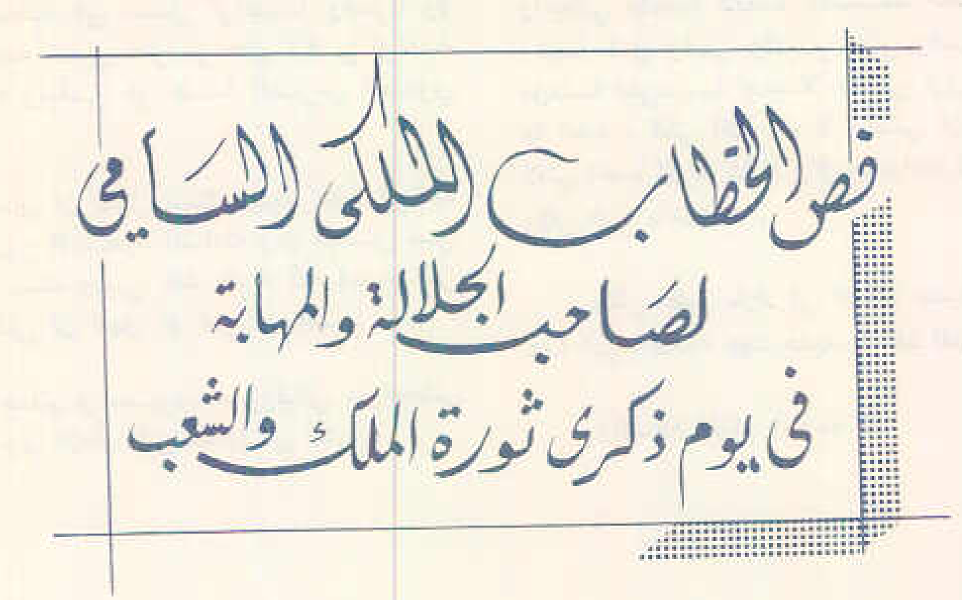
فاللهم اجعلني فى مستوى مسؤولياتي ، واجعلني يا رب فى مستوى الآمال التي تعلقها على امتي .

اللهمحلني بالتواضع ، وابعد عني روح الجبروت واجعلني دائمـا قائمـا بالقسـط حافـظا للعهـد ، وفيـا لمـن وفـى ولغيـر مـن وفـى ، مسلـمـا مؤمنـا مغربيـا أصيـلا حتـى أرى فـى شعبـي ما احبه ، انني اظن انه لا يمكنني ان ارى ما احبه لانني احب المزيد دائما وكل ما رأيته لا اعتبره حـدا ولكن اعتبره منطلقا .

ولكن اللهم بارك فى أعمالنا جميعا واجعـل من هذا اليوم فاتحة عهد جديد لامتك المغربية .

والسلام عليكم ورحمة الله





القى جلالة الحسن الثاني حفظه الله قبل زوال يوم 20 غشت خطابا وطنيا هاما بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب .

وتذكرنا هذه الذكرى بذلك الالتحام وذلك التاريخ بين العرش والشعب الالتفاف الذي سجله والذي استطاع المغرب بفضله ان يزيح عنه كابوس الحماية ويتحرر من ربقة العبودية والاستعمار .

وكان جلالته محفوفا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الامير سيدي محمد . وصاحب السمو الملكي الامير مولاي عبد الله ، وعدد كبير من الشخصيات .

ونقل هذا الخطاب الملكي الكريم مباشرة من الديوان الملكي بواسطة الاذاعة والتلفزة .

الخطاب الملكي السامي

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

أرى نفسي مقلدا كل سنة فى مثل هذا اليوم ، ان احيي معك الذكرى لمنفى والدنا وثورة الملك والشعب ، وكلما توالت السنون وتجددت الايام الا ويكثر ما يمكن ان يقال فى هذه الذكرى وما يمكن ان يستنتج من تضحياتها .

الا انني ولو أسعدني الحظ انني شاركت والدي سنين وسنين فى عراكه وكفاحه ، وفى منفاه ، وفى انتصاره ورجوعه ، لا يمكنني كيفما كانت ذاكرتي او كيفما كانت قوة استحضاري ان احيط بالموضوع الاحاطة المرغوب فيها، ولا أن أقول فى الموضوع ما يمكن أو ما يجب أن يقال فيه .

الا انني رأيت هذه السنة ان أتطرق الى مواضيع ربما لم تثر فى مثل هذه الذكرى من السنوات الماضية لا من باب الاغفال ولا من باب التقصير ولكن :

لكل مقام مقال
ولكل سنة مقال

ولكل جيل موضوع

ولكل حياة معركة

في مثل هذا اليوم من سنة 1953 تجبر الجبابرة وتطاول المتطاولون ، وامتـدت أيديهـم الفاشمـة الى أقدس مقدساتنا وأنفس مقوماتنـا وأكـرم وأشرف دعاماتنـــا .

فكان المنفى

وكان ما سمي بالتضحية

ولكن علينا ان نفهم وعلي ان اعبر اكثر من غيري على ان تلك التضحية كانت في نوعها وفي ودلاتها ، وفي نموها تضحية خاصة ، ليست بالتضحيات العادية ولا بالتي هي معروفة عندنا .

ذلك ان تلك التضحية ، لم تكن وليدة ظروف .

ولا وليدة سنة

ولا وليدة معركة

ولا وليدة يوم .

ولا وليدة مؤامرة واحدة ولا تضحية غير منتظرة بل كانت تضحية معروفة عند صاحبها منـذ سنوات وسنوات ، كانت تضحية لا تترك للمضحي أي فرصة في النجاة نظرا لانه كان أعزل ولم تكن بيديه اي وسيلة كانت تضحية مخلصة خالصة .

ذلك ان المضحي كان يعلم ان تضحيته من شانها ان تنجي البلاد .

ومع ذلك انه هو المضحي من شأنه ان لا يجد اي حظ في المعركة التي سيخوضها .

انها تضحية بدون رجعة

وانها تضحية لله في سبيل الله .

ولاعطيك مثالا لهذا شعبي العزيز

اذكر ما قاله لي رحمه الله في قاعة أكلـه ، تلـك القاعة التي دخلت في التاريخ

لانها شهدت ما شهدت

وسمعت ما سمعت

وكتب فيها ما كتب

وحرر بين جدرانها ما حرر سنة 1951 يوم 26 فبرايـــر

وهذه مصادفة عجيبة ، فقد توفى رحمه الله ، عشر سنين بعدها كفتح مكة عشر سنين بعدها في 26 سنة فبراير سنة 1961 .

ففي سنة 1951 من سادس وعشري فبراير اتاه المقيم وطلب منه ان يتبرأ من طائفة من المغاربة الاحرار المؤمنين الصادقين، والا قال له : سوف تنزع من الملك، وتؤخذ أخذا من عرشك هذا .

سلمت القضية ، وخرجنا من تلك المعركة منتصرين

ويومان من بعد هذه المعركة قال لي رحمـه الله بالدارجة :

((اسميت سيدي))

((واش يقول العامة : اللي ساومك بالطرشة كانه اعطها لك))

قلت له نعم

قال لي كن على بال ، على انه يوما مـا فالشــيء الذي لم يفعلوه اليوم سوف يفعلونه غدا

فلهذا ليست عندي قوة ولا جيش ولا ماليـة ولا نظام للدفاع ولكن اخاف ان هذه المعركة التي سنخوضها انها تؤدي بمستقبلكم انتم اولادي وبناتي

فانا لا أطلب منكم ان تسمحوا لي ، ولكن أطلب منكم ان تفهموني ، وكنا نحن الاثنين فقط .

فكان جوابي له :

يـاسيـدي

اعمل كانك أعزب لا عيال لك ولا ابناء

فعجبا لهذا الرجل ، الذي عاش سنتين

ونام سنتين

وأكل سنتين

وشرب سنتين في اطمئنان وطمانينة ، وهو يعلم دون ان يعلم التاريخ ولا اليوم انه بين عشية وضحاها يمكن ان تمتد اليه أيدي المعتدين ، وان يطلـب منـه ان يضحـــي .

فكان رحمه الله بشيرا مستبشرا خالصا مخلصا مطمئنا ، ينتظر كل يوم ان تطلب منه التضحية ولـم تثنه هذه الفكرة ولا هذا الايمان

لم تثنه عن القيام بواجباته ازاء دولته ، وازاء شعبه .

لم تمنعه ان يلقانا باشا ، ضاحكا .

لم تمنعه ان يبقى ذلك الرجل السمح الطلق الرحب ، المبتسم .

ذلك الرجل الذي اذا لقيه من لقيه اعتقد انه لقى نفحة من نفحات الجنة

شعبي العزيز

ها انت تعلم جانبا من جوانب هذه التضحية ، وها انت تعلم اليوم انها كانت تضحية مستمرة ، منتظرة ، منظمة مرتضاة مبتغاة

فهل كانت يا ترى تضحية ضائعة اولا ؟

هذا سؤال يجب ان اجيب عليه

كانت تضحية أتت بالنتائج المتوخاة وفوق المتوخاة

أتت باستقلالنا ، أتت بحريتنا ، أتت بإكرامتنا ، أتت باعتزازنا

ثم كانت تضحية مكنتنا من ممارسة شؤوننا ومجابهتنا للمشاكل واحتكاكنا بالمسؤوليات .

ففي ميادين نجحنا .

وفي ميادين فشلنا .

وفي ميادين حققنا .

وفي ميادين تأخرنا .

وما هذا كله الا الموكب العام الذي يواكب كل عمل

لان كل من يعمل لا بد ان ينجح ويفشل .

لا بد أن يصيب ويخطأ .

ولكن اذا نحن وضعنا الميزان ، وقمنا بعملية احصائية ، لما حققناه وكان ناجحا ، ولما حققناه ولم يكن ناجحا تمام النجاح ، نجد ان الميزان الايجابي ، وميزان التحقيقات وميزان النجاح ، هو الميزان المتفوق وهو الميزان الراجح .

فهل معنى هذا شعبي العزيز ، اننا سنكتفي بما قمنا به ؟ هل معنى هذا اننا سنرضى لانفسنا ان نفكر فى المغرب خلال تصميم واحد ، او تصاميم متعددة ، او ننظر الى مشاكلنا وقوتنا ، وعملنا ، واقتصادنا ، وفلاحتنا وسيادتنا الخارجية الى حد القرن الواحد والعشرين ؟

لا أعتقد هذا .

واذا كان لا حد للكمال .

ولا نهاية للفضيلة ، وبكل تواضع .

وبكل شكر لله ، لا نهاية لمجد المغرب .

ولا نهاية لسيره .

ولا نهاية لموكبه المنتصر ، الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

لذا علينا مرة أخرى أؤكدها لكم ان نتفق على المقاييس .

وان نتفق على الالفاظ .

وان نتفق حول الارقام .

وان نتفق حول سياستنا الداخلية والخارجية .

توجيه سياستنا الخاجية

وانني لا أتطرق الى هذا الموضوع ، موضوع سياستنا الخارجية بكيفية خاصة ، اننا نعيش اليوم فى بلبلة البلابل ، اننا نعيش اليوم فى ترهات

اننا كل يوم نقرأ أو نسمع خرافات .

فلتطمئن شعبي العزيز .

فالقائم بأمرك بفضل الله ومنته وقوته ، قد اخذ الوطنية عن اكبر شيخ وأعظم استاذ ، لم ياخذها فكريا فقط او نظريا ، ولكنه مارسها مراسا جديا صعبا طويلا وقد ورث من ابيه وعن ابيه الاعتزاز بمغربيته ، والحفاظ على كيانها

اننا لا نعيش وحدنا

الا اننا علينا ان نعلم ان لكل قرن وسائله ، ولكل جيل امكانياته ، فامكانيات جدنا الحسن الاول ، ليست هي امكانياتنا .

والقوانين الدولية اذ ذاك ، ليست هي القوانين، فالمعاملات معاملات الحروب والمعارك ليست هي معارك اليوم ولا معاملات اليوم .

فنحن لا نعيش وحدنا فى قارتنا ، ولكننا نعيش فى مجتمع دولي له قوانين التزمنا بها ، وله امكانيات .

ونعيش مع دول عظمى فى امكانها ان تتدخل في أي وقت من الاوقات ، فلماذا نظهر المغرب بهذا المظهر العنيد العنيف المخاصم ، المحاج الـذي لا يمكن ان يتعايش بوجه من الوجوه مع اى جار من الجيران .

فهل بهذه الكيفية ، يمكننا ان نخطط ؟ افبهـذه الطريقة يمكننا ان نتسع ؟

افبهذه الوسيلة يمكننا ان نعطي للمغـرب ذلـك الاشعاع الروحي الذي هو اليوم اثمن من الاكتســاب الجغرافي والارضي ؟

لا أعتقد ، ان هذه هي الطريقة .

بل أعتقد ان طريقة الاقنـاع ، وطريقـة حسـن الجوار ، وطريقة التفهم .

وطريق الاجتياز لما كان ولما صار ، للنظر فيما يمكن ويصير هو الذي سيعطي للمغرب مقامه بين الدول ويعطيه ذلك الاشعاع الذي ننشده له .

فنحن نعلم وسائلنا ، ونعلم امكانياتنا .

فامكانياتنا هي أن نربي ونثقف ونرسل للخارج احسن ما عندنا مـن أساتـذة ومربيـن واطبـاء ومهندسيـن وعملـة حتـى يسمـع بالمغـرب فى كل بقاع الارض ، وبالاخص فى هذه القارة الافريقيـة التي لا تعرف عن المغرب الا انه يطالب بكذا ، ويأخـذ كذا ، ويريد كذا .

فصرنا نحن الدولة المطالبة رقم واحد فى مجموعتنا الافريقية ، ليست المطالبة اللينة بالحجة والاقناع ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينـه عداوة كأنـه ولي حميم .

لا المطالبة بالسب ، لا المطالبة بالعنف . المطالبة بالتاريــخ .

وعلى هذا الحساب يجب ان نطالب بالقاهرة لان الذي خططها عبد من عبيد الموحدين ، ونطالب باشبيلية او ما فوق اشبيلية بهـذا العنـف وكأننـا نعيش على هامـش العالـم .

لست على استعداد لركوب الطريق الهوجـاء

أقول لكم هذا ليعلم الحاضر والغائب وليعلـم المغربي وغير المغربي انني غير مستعد ولست مستعدا نهائيا لا حالا ولا استقبالا ، ان اركب هذه الطريقـة الهرجاء الهوجاء لانني أنا مسؤول ، والمسؤول لا يمكنه ان يرتجل او يسير فى طريق مخالفة لسير التاريـخ ولسير القانون فيها .

اتكبابنـا على حـل مشاكـل شبابنـا

أردت ان أوضح هذه النقطة اكثر من غيرها لان مشاكلنا الداخلية نعلمها كلها .

نعلم ما يجب علينا فى التعليم .

وما هو موضوع امامنا من مشاكل للشبان لمـا ينتظرونه منا فى الاطمئنان على تكوينهم وعلى تشغيلهم وعلى قوتهم .

نعلم ما ينتظرنا من نواحي الطرق والمراسي .

نعلم ما ينتظرنا فى الحقل الفلاحـي او الحقـل السيـاحـي او فـي الـحـقـل الاداري أو فـي التنظيم القانوني ، نعلم هذا كله نعلمه ، اما مفصلا واما مجمـلا .

نعلمه اما بالارقام واما نعلمه بتقارير، وقد اتيحت لي الفرصة أن اتذاكر معك شعبي العزيز ونخاطبك ، لاظهر لك بعض الجوانب التى تجهلها من الميادين ، فمشاكلنا الداخلية هي بيدينا ، فى ملكيتنا يمكننـا ان نقاوم مشاكلنا ونعالجها كما نريد ، وكيفما نريد وحينما نريد وحسب وسائلنا .

اما اننا نعيش فى طور العنترية او فى طور أولئك الفرسان الذين نراهم وهم يقسمون الفرس وراكبه الى شطرين بسيف من نور اعتقد ان هـذا مـن بـاب الخرافات التي لا يتعدى سامعهـا سن السادسة من عـمــره .

اعتقد شعبي العزيز ان هذه الفرصة المقدسـة الثمينة كان لزاما علي أن انتهزها لاقول لك كلاما مثل هذا الكلام ، كلاما خطيرا ، فى ظروف دقيقة ، فى الوقت الذي يطير فيه الانسان الى القمر .

يجب علينا ان نسايـر عصـر ابولـو 11 ، والا نستعمل تلك الوطنية الضيقة التي سوف تسير بنا الى القهقرى لا الى الامام .

وسوف تتاح ظروف وتأتي فرص ، لاخاطبك في هذا الموضوع بكيفية ادق ، وفى زمن اطول .

انما اردت ان اخاطبك اليوم فى هـذا الموضـوع لانني شاعر انك واع كل الوعي ، وان قلبك مفتوح وان ذهنك مفتوح وان كلماتي سوف تنفذ الى قلبك وذهنك أكثر مما تنفذ اليه فى فرصة اخرى .

لقد تربينا في مدرسة محمد الخامس طيب الله ثراه ، تربينا على ان نعلم ان الكفاح هو معركة دائما مستمرة .

ولكن العراك يستوجب الرزانة والرأي والعقل قبل ان يستوجب العمل المرتجل ، فلو قام والدي رحمه الله مثلا بما قام به من عناد جهاري غير خاف على الحماية وعلى المستعمرين في سنة 1946 مثلا ، ولو ادى ذلك الى منفاه ، فهل كانت اذذاك النتيجة هي التي كانت سنة 1953 ؟ لا اظن .

ان كل معركة منوطة بالظروف التي يجب ان تحيط بها .

منوطة بالمكان الذي ستكون فيه المعركة ، محاطة بالرجال والقوات التي يمكن ان تستعمل للقيام بالمعركة وللفوز بالنصر ، لذا هناك معارك تنتظرنا وقبل كل شيء معارك نفسانية .

فمن منا لا يريد .

ومن منا لا ينشد ان يرى بلده اليوم كما كانت في ايام الموحدين مثلا .

من منا لا ينشد ان يكون للمغرب ذلك الاشعاع الروحي والمادي والاداري الذي كان له .

ومن منا لا يتمنى لدولته ان تتسع .

ومن منا لا يتمنى لدولته ان تنتشر ، ولكن شتان بين الامنية والواقع ، شتان بين الامكانيات وما هو محيط بنا من ظروف ودول كبرى ومؤامرات ومغامرات ... ؟

لذا شعبي العزيز ، فلنعلم ان تضحية والدنا المقدس طيب الله ثراه ، كانت تضحية مستمرة ، منتقاة مرتضاة ، منطقية معقلة ومتعقلة .

ويجب علينا اذن ان نتعقل ونفكر ونزن حتى اذا نحن ضحينا او عملنا في اي حقل من الحقول ، في الحقل الخارجي او الداخلي ، كانت تضحيتنا تلك التضحية التي قلت لك عنها آنفا انها تضحية مبيتة معروفة مرتضاة لا تضحية يوم ولا تضحية فرصة ولا تضحية سنة .

أرجو الله سبحانه وتعالى ان يثيب والدنا المرحوم وان يمطر عليه شآبيب رحمته ، وان يجعل تضحياته وتضحيته الكبرى في الميزان المقبول ، وان يجعل له القرآن نورا واعماله سراجا في قبره ، وان يقعده مقعد صدق ويريه وجهه ، ويعيننا جميعا على القيام باعمالنا ويعيننا كذلك على تربية النشء والجيل المقبل حتى يمكنه أن يحمل الشعلة ، وان لا يضن عليها ، وبها وان يحتفظ بها حتى يمدها هو الآخر بيديه للجيل الذي يتلوه ، لانني كما قلت لكم لا نهاية لهذا البلد ولا نهاية لمخططاته ولا نهاية لمطامحه ، ولا نهاية لامانيه ، الا اذا اراد الله وورث الارض ومن عليها .

لا انسى ما ضحى به الشهداء

واقول لك شعبي العزيز مرة اخرى انني بهذه المناسبة لا يمكنني أن أنسى ما قمت به ، أيام منفانا ، ولا أنسى ما قام به الشهداء من تضحية .

ولا أنسى ذلك الالتفاف بين جميع الطبقات وفي جميع المستويات من نساء ورجال وشبان وأطفال ، ذلك الالتفاف حول فكرة واحدة .

– لا حل ولا مفاوضات ولا كلام الا برجوع محمد الخامس –

وشكرا لك شعبي العزيز على هذا الوفاء ، وعلى هذا الاخلاص ، وانا لنبادلك اخلاصا باخلاص ووفاء بوفاء .

واعتبرنا كما قلت لك مرة ويوما من الايام .

اعتبرنا خادمك الاول الساهر على مصالحك ، الذي لا أسرة له الا اسرته الكبيرة ، ولا هم له الا هم شعبه .

ولا مطمح له ، الا مطمحك ،

ولا مشكلة له الا مشكلاتك ،

ولا مشجع له ، الا محبتك وتعلقك .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .



موقف الاسلام من نزول الانسان على سطح القمر

للاستاذ الشيخ محمد المكي الناصري

تلقى فضيلة الاستاذ الشيخ محمد المكي الناصري عدة اسئلة من نظارة التلفزة المغربية ومستمعي الاذاعة الوطنية حول موقف الاسلام من نزول الانسان على سطح القمر خصوصا ، والاكتشافات الفلكية والفضائية عموما ، واجابة على تلك الاسئلة فقد تفضل سيادته بالحديث التالي :

تمت عودة رواد الفضاء الثلاثة من رحلتهم الى القمر ، وبعودتهم الى الارض سالمين سجل التاريخ المعاصر حادثا علميا وانسانيا خطيرا. وحادث كهذا الحادث لابد ان يقول الاسلام فيه كلمته، ويحدد منه موقفه ، لاسيما والاسلام دين علم وعمل يحث على البحث ويشجع على الاكتشاف .

لقد كانت البشرية قبل ظهور الاسلام تعيش فى ظلام دامس وجهل مطبق تخلط بين الخالق وخلقه ، ولا تميز بين العبد وربه ، وكانت نواميس الطبيعة التى خلقها الله تعتبر فى نظرها آلهة تستحق العبادة والطاعة ، وتقرب اليها قرابين الانسان الذبيح كل ساعة ، وكانت الشمس والقمر من معبودات الاكثرية الساحقة من البشر . فلما انعم الله على البشرية بالاسلام ادركت ان الله واحد لا شريك له ، وأيقنت ان الكون بكل ما فيه من عوالم وافلاك انما هو مخلوق محدث ، خلقه بديع السماوات والارض ، يدين لله وحده بالايجاد والامداد ، وبالعبودية والاستمداد . فلا الوهية لشمس ولا لقمر ، ولا عبودية لطبيعة ولا لبشر (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا — له ما فى السماوات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى)

ولم يكتف الاسلام بهتك الاستار ورفع الحجب عن حقيقة الكون المحدث ، واقامة الدليل على انه من صنع الله وخلقه (هذا خلق الله ، فاروني ماذا خلق الذين من دونه) . بل ان كتاب الله خصص من آياته البينات سبعمائة وخمسين ءاية ، للتحدث عن عالم الملك والملكوت ، حتى يجعله عالما اليفا للمسلمين ، متصلا بحياتهم اليومية لا ينفصل عنها بحال ، وحثتهم آيات الكتاب المبين على الاعتبار والنظر ، والتأمل فى كتاب الكون الاكبر ، ففتحت امام اعينهم اجمل صفحاته ، ودعتهم بكل الحاح الى التملي من معجزاته وتفسير آياته . ومن تلك الآيات البينات قوله تعالى فى سورة (يونس) : « قل انظروا ماذا فى السماوات والارض » وقوله تعالى فى سورة (لقمان) : « الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السماوات وما فى الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » وقوله تعالى فى سورة (ق) : « افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » .

ولم يلبث علماء الاسلام بفضل هذا التوجيه الاسلامي المتواصل ان اخذوا يجوبون بعقولهم الخيرة، وافكارهم النيرة ، اطراف الارض وآفاق السماء ، وخلفوا لمن ياتي بعدهم اثمن رصيد في علم الفلك واول لبنة في ابحاث الفضاء ، وعلى راس الاختراعات التي اخترعوها الآلات الفلكية اللازمة للرصد ، وفي طليعتها الآلة المعروفة اليوم بالتلسكوب ، وعلى راس المنجزات التي انجزوها المراصد الكبرى التي اقاموها لرصد النجوم والكواكب في دنيا الاسلام الواسعة ، من اقصى المغرب الى اقصى المشرق . وعلى راس الاكتشافات التي اكتشفوها تحديد سمت الشمس تحديدا مدققا ، وتعيين الكسوف والخسوف ، وملاحظة البقع الشمسية ، وتسجيل الاختلافات والتغييرات التي تطرا على القمر، وما ينشا عن حركات الشمس والقمر من آثار بارزة في كوكبنا الارضي برا وبحرا . وعلى راس الجداول التي وضعوها والخرائط التي رسموها جداول فلكية دقيقة لما اكتشفوه من الافلاك ، ولاسيما الشمس والقمر ، وخرائط سماوية للنجوم المنظورة التي سموها باسماء عربية لا يزال ذكرها يتردد حتى الآن على السنة الفلكيين وهي مسجلة على الكرات الفلكية ، وخريطة بارزة رسموا فيها للخليفة المامون العباسي العالم المعروف اذ ذاك بافلاكه ونجومه ، وبره وبحره ، وعامره وغامره ، مع مساكن الامم ومواقع المدن . وهكذا كانت علوم المسلمين الفلكية وابحاثهم الفضائية التي ترجمت الى اللغة اللاتينية اولا ، واللغات الاوربية ثانيا ، هي الاساس المتين الذي بنى عليه كل من جاء بعدهم ، وكان الفلكيون المسلمون من امثال ابي الوفاء وابي الريحان البيروني وابي جعفر البتاني ونصير الدين الطوسي هم الرواد الاوائل في ابحاث الفلك والفضاء ، القائمة على التجربة والاستقراء . وقد عد استاذنا في الفلسفة الفيلسوف الفرنسي الكبير المسيو لالاند مؤلف (المعجم الفلسفي) الشهير، أبا جعفر البتاني على راس الفلكيين العالميين ، بما تركه من معارف فلكية ضخمة ، وبما كان له من بالغ الاثر على الفكر الفلكي العالمي عبر العصور . ولولا ان علماء الاسلام دفعوا عجلة التقدم العلمي الى الامام لكان نزول الانسان على سطح القمر في هذه الايام ، حلما من الاحلام ، ووهما من الاوهام .

* * *

ان نزول الانسان على سطح القمر ليس بحول الانسان ولا بقوته ، فلولا العقل الذي وهبه الله للانسان ، ولولا الوسائل التي سخرها الله للانسان ، ولولا التوفيق الذي صاحب مغامرة الانسان ، ولولا الحكمة الالهية التي اقتضت رفع الغشاوة في هذا الزمان بالضبط عن عين الانسان ، لما استطاع الانسان بمفرده حولا ولا طولا . قال تعالى : « يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب » وقال تعالى : « يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما **يعرج** فيها ، وهو معكم اين ما كنتم ، والله بما تعملون بصير ، له ملك السماوات والارض ، والى الله ترجع الامور »

* * *

ان نزول الانسان على سطح القمر لا يغير من ايماننا بالله شيئا . فنحن لا نعبد شمسا ولا قمرا ، بل نعتبر كلا منهما مخلوقا ومسخرا ، ونظرنا اليهما هو ما قاله رسول الله (ص) في شأنهما ، في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في (كتاب بدا الخلق) عن عبد الله بن عباس (ض) : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت احد ولا لحياته، فاذا رايتم ذلك فاذكروا الله » . فاطلاع الانسان على هذا الجزء الصغير من الكون لا يزيد المؤمنين الا ايمانا ، اذ الكون ما هو الا مرآة مصغرة للمكون ، والخلق ما هو الا مظهر متواضع للخالق، وكلما زدنا علما بالكون والخلق زدنا علما بعظمة الله ، وزدنا ايمانا بقدرته ، وزدنا يقينا بحكمته (وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما الا بالحق ، ولكن اكثرهم لا يعلمون) — ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا، سبحانك ، فقنا عذاب النار)

هذا وان موقف الاسلام من الاكتشافات الفلكية والفضائية واضح كل الوضوح غني عن كل بيان ، وقد حدده كتاب الله في قوله تعالى : (يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطان) . ونحن نؤمن بان القمر ما هو الا كوكب صغير من بين ملايين الكواكب والنجوم التي تزخر بها السماوات العلى ، سائرة في افلاكها ، متنقلة في ابراجها ، دالة على عظمة الله ، وبالغ قدرته ، ودقيق حكمته .

وقد اعدنا الاسلام الذى هو دين العلم والعمل ، والبحث والاستكشاف لتلقي المزيد من العلم فى كل زمان ومكان ، واكرمنا الله بفتح البصيرة وتفتح الاذهان ، فلا خوف على المسلمين من أن ينال ثقتهم بالله اضطراب او فزع ، ولا خوف على المسلمين من ان ينال ايمانهم بالله شك او جزع . (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء)

❊ ❊ ❊

نعم . عندما قال الله تعالى فى كتابه : « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » اراد ان يقنع المتبجحين بعلمهم من البشر بأن ما عندهم من العلم انما هو حظ ضئيل لا يسمن ولا يغني من جوع، فلا ينبغي لهم أن يغتروا به ، ويجعلوه مناطا للفخر والكبرياء .

وعندما قال الله تعالى فى كتابه، مخاطبا لاعلم خلقه وافضل انبيائه « وقل رب زدني علما » ضرب المثل به لكافة البشر ، حتى يندفعوا الى الاستزادة من العلم دون انقطاع ، لان للعلم درجات لا نهاية لها ولا حصر .

وعندما قال الله تعالى فى كتابه : « يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء » اراد ان يعرف البشر بأن مفاتيح الغيب المجهول والعلم المستور انما هي بيد الله الحكيم ، فهو مصدر العلم الحقيقي الذي يفيض من علمه على خلقه ما يشاء، فى الوقت الذي يشاء ، وهو الذي يرفع عن اعينهم الحجاب ، ويكشف لهم النقاب ، فوجب عليهم ان يقدروا الله حق قدره ، وان يعترفوا بفضله عليهم يقوموا بواجب شكره (الله الذي خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن ، يتنزل الامر بينهن ، لتعلموا ان الله على كل شيء قدير ، وان الله قد احاط بكل شيء علما) .

❊ ❊ ❊

ها انتم ترون أن كتاب الله قد فتح ابواب العلم على مصاريعها فى وجه كل انسان ، فما علينا نحن المسلمين الا ان نجدد تقاليد آبائنا واجدادنا في الاتقان والابداع، ونلقي بدلونا بين الدلاء فى مجال الكشف والاختراع ، ولنا اسوة فى علمائنا الاولين ، الذين برزوا فى علوم الدنيا وعلوم الدين ، وكانوا مصابيح الهدى للبشر اجمعين ، ولننفض عنا غبار الخمول والكسل ، ولنقبل على العلم والعمل ، واننا لاقدر الناس بعون الله وتوفيقه على الجمع بين العلم والدين ، وتزويد الانسانية الحائرة بطائفة صالحة من العلماء المومنين .

الرباط ــ محمد المكي الناصري



هدف التفكير الاسلامي من نظامه الاقتصادي تحقيق العدالة الاجتماعية ، فالعدالة الاجتماعية يراها الاسلام هدفا ويراها وسيلة ، يراها هدفا لان المجتمع الذى يبنى على اساس سليم يلزم أن تتوافر العدالة الاجتماعية بين افراده ، ولا يمكن ان يكون المجتمع سليما اذا استبد به الاغنياء او كان فى مقدورهم حرمان الفقراء ، او تفاوتت الطبقات فيه تفاوتا ملحوظا فظهر فيه الفقير المحروم بجانب الغني المتخم . والعدالة الاجتماعية ايضا وسيلة للحب والتعاون اللذين يجب أن ينعم بهما كل مجتمع سليم .

وعندما جاء الاسلام وفرض نظامه الاقتصادي ، كانت هناك نظم متبعة شائعة انحدرت من اقدم العصور ، فجاء التفكير الاسلامي يمثل ثورة ضد هذه النظم ، وهاك بعض مظاهر هذه الثورة :

1 ـ قضى الاسلام على ما كان معروفا من قبل حيال الضرائب فقد كانت الضرائب واجبة على الفقراء يؤدونها للاغنياء ، وكان الفقير يدفع الضريبة من ماله أو من جهده او من دمه ، كان يعمل ليجمع مالا يؤديه ضريبة للغني ، أو كان يدفع الضريبة جهدا وعملا وكدحا ينمي به ثورة الغني ، فاذا تردد الفقير فى دفع هذه الضريبة بهذا الطريق او بذاك كان دمه الفداء ، او قل كان دمه الضريبة واجبة الاداء .

وجاء الاسلام فلم يوقف نظام الضرائب ، ولكنه غير اتجاهه ، فجعل الضرائب واجبة على الغني يدفعها للفقير ، وكان هذا التصرف موضع الدهشة والحيرة ، ولكنه لفتة السماء انارت به حياة الارضيين .

2 ـ وكان معروفا قبل الاسلام ان المالك هو الحاكم ، ففى النظام الاقطاعي باوربا كان مالك المقاطعة هو حاكمها ، وفى الجزيرة العربية كان شيخ القبيلة هو محورها فى السياسة والاقتصاد ، فلما جاء الاسلام قطع الصلة بين السياسة والمال ، ولم يجعل المال قط وسيلة للوصول لكراسي الحكم ، وشهدنا طبقة من الحكام المسلمين هم آلى الفقر اقرب منهم الى الغنى كمحمد وابي بكر وعمر وعلي ، ولم يصبح الملاك حكاما فى الاسلام **بسبب غناهم** الا فى عهد ضعف فيه التفكير الاسلامي بسبب الهزائم الفكرية التى منيت بها مباديء الاسلام امام زحف التيارت الثقافية الخارجية وامام تراجع الممثلين الحقيقيين للفكر الاسلامي .

وللاسلام فى سياسة المال مباديء خاصة ليست بالراسمالية ولا بالاشتراكية ولا بالشيوعية ، وانما هي مباديء اسلامية خالصة وسنلم بهذه المباديء فيما يلي :

1 ـ الاعتراف بالملكية الفردية وبالتفاوت فيها :

يقر الاسلام حق الملكية الفردية للمال الذى حصل عليه المسلم بالطرق المشروعة ، كما يقر التفاوت فى الغنى بقدر الجهد الذى يبذله الشخص وبقدر ما

يصادفه من توفيق ، فقد نسب القرآن الاموال الى الناس كما نسب لهم اولادهم قال تعالى: «انما اموالكم واولادكم فتنة » (سورة التغابن الآية 15) واقر الاسلام التفاوت فى الملكية قال تعالى :

ـ والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق (سورة النحل الآية 71)

ـ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر (سورة الشورى الآية 12)

ـ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر (سورة الرعد الآية 26)

ـ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات . (سورة الزخرف الآية 32) .

ولا نزاع ان التفاوت فى المال طبيعي جدا ، لان الناس متفاوتون فيما هو افضل من المال وانفس منه ، انهم متفاوتون فى الصحة والقوى العقلية والذكاء ، ومتفاوتون فى مقدار توفيقهم فى الزواج او الجوار او الصحبة ، ومتفاوتون فى مدى صلاح الاولاد ونجاحهم، ومتفاوتون فى الشكل واللون والصوت ، ولم يقل احد بوجوب محاربة هذا التفاوت وضرورة ان يصبح الناس سواسية فى صحتهم وعقولهم واولادهم عددا ونوعا وتوفيقا... فالنهج الاسلامي فى اباحة التفاوت نهج طبيعي واضح .

ثم ان الناس يبذلون جهودا متفاوتة فى العمل ، فمن الطبيعي ان يحصلوا على نتائج متفاوتة ، وقد حث الاسلام الناس على العمل كما تشير الى ذلك النصوص الآتية :

ـ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله (سورة التوبة الآية 106)

ـ فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه (سورة الملك الآية 15)

ـ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله (سورة الجمعة الآية 10)

ـ اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا .

وطبيعي ان استجابة الناس لهذه الارشادات ستكون متفاوتة ، وطبيعي تبعا لهذا ان تتفاوت نتائج جهودهم .

وليس معنى التفاوت فى الغنى ان يوجد فقير مدقع وغني متخم ، فالاسلام لا يسمح بالغنى مع وجود الفقر ، وانما يبدا الغنى والتفاوت فيه بعد ازالة الفقر والقضاء عليه نهائيا لقوله عليه السلام : من كان له فضل مال فليعد به على من لا مال له ، وليس معنى التفاوت فى الغنى تكديس الاموال فى ايد قليلة او ما يسمى بالطبقية الثابتة ، فقد نفر القرءان من ذلك بالآية الكريمة « كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » (سورة الحشر الآية السابعة) . ونظم الاسلام تكافؤ الفرص ، لتنقل هذه الملكية من يد الى يد كما وضع نظام الميراث لتفتيتها من حين الى حين .

والملكية الفردية التى يقرها الاسلام ويقر التفاوت فيها تشمل الملكية الزراعية كما تشمل ملكية المتاجر والمصانع والمباني ، هذا بالاضافة طبعا الى وسائل الاستعمال الخاصة كالمسكن الخاص ومحتوياته والسيارة وما ماثلها .

ويحرس الاسلام هذه الملكية بقوانينه المختلفة ، فيحميها من السرقة ومن عبث العابثين ، بالعقوبات التى فرضها على السارق وقاطع الطريق ، وعلى الذين يسعون فى الارض فسادا قال تعالى : « فاذكروا آلاء الله ، ولا تعثوا فى الارض مفسدين » (سورة الاعراف الآية 74) وقال « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ، ذلك لهم خزي فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » (سورة المائدة الآية 22)

وينقل الاسلام المال من مالكه الى اولاده بعد وفاته عن طريق نظام المواريث الاسلامي الرشيد .

ولا يجيز الاسلام للحكومة التدخل فى هذه الملكيات الا اذا تعارضت مع حق فرد او مع الصالح العام ، ويكون تدخل الحكومة ، حينئذ لا بالالغاء كما تفعل الشيوعية ، بل بالتوفيق بين حق الملكية الفردية الذى اقره الاسلام وبين المصلحة التى هي اساس من اسس التشريع الاسلامي

2 ـ المال مال الله وملكيته الخاصة وظيفة اجتماعية :

يقر الاسلام حق الملكية الفردية كما سبق القول ، ولكن المقصود من هذا التعبير هو ملكية الفرد بالنسبة للافراد الآخرين ، اوقل انه ملكية الظاهر او ملكية

الانتفاع ، اما المالك الحقيقي لكل شيء فهو الله سبحانه وتعالى ، وقد ورد هذا النص فى كلام عمر ابن الخطاب ، فقد روي عنه قوله : المال مال الله والعباد عباد الله (1) . وجاءت آيات قرآنية تؤدي هذا المعنى قال تعالى :

– لله ملك السماوات والارض وما فيهن (سورة المائدة الآية 120)

– ولم يكن له شريك فى الملك (سورة الاسراء الآية 111)

والمالك الحقيقي لكل شيء ، وهو الله قد فتح المجتمع البشري ملكية الانتفاع او ملكية الظاهر لما هو فى الحق والواقع ملك له .

ومقتضى هذا انه يستغل المالك ملكه فيما يخدم صالح المسلمين ولا يتعارض مع حقوقهم .

3 – القيام بحق الفقير من ملبس ومأكل ومسكن :

القيام بحق الفقير مبدأ مهم جدا فى التفكير الاقتصادي فى الاسلام ويهمنا ان نوضح باديء ذي بدء كلمة « حق » التى عنيت بها النصوص الاسلامية والباحثون المسلمون ، فالاسلام يرى ان الوفاء بحاجة الفقير عمل تلتزم به الحكومة ويلتزم به الاغنياء ، فليس ما يعطى للفقير منحة او صدقة او عطاء ، وانما هو حق لازم كالمرتب الذى يتقاضاه الموظف والاجر الذى يستحقه العامل ، ما دام هذا الفقير عاجزا عن الكسب او اذا كانت سبل لكسب غير ميسرة . وقد عنيت مصادر التشريع الاسلامي بكلمة « حق » عناية نبهت الباحثين على اهميتها ، قال تعالى :

– وفى اموالهم حق للسائل والمحروم (سورة الذاريات الآية 19)

– والذين فى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم (سورة المعارج الآيتان 24 – 25)

– وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل (سورة الاسراء الآية 26)

– وآتوا حقه يوم حصاده (سورة الانعام الآية 141)

وهذا الحق واجب على الحكومة الاسلامية تأخذه من مال الغني وتعطيه للفقير ، وعلى الحكومة ان تتعرف احوال الرعية ، وان تبحث عن الفقير لتعطيه بنفس الحماسة والحرص والداب التى تتبع فى البحث عن الغني لاخذ الضرائب منه ، وهذا الحق يشمل الزكاة ويشمل ما هو اكثر من الزكاة اذا لم تكف الزكاة طوائف المحتاجين او حاجة الدولة فى الظروف الاستثنائية .

الاقتصاد الاسلامي بين النظم الاقتصادية الاخرى :

للاسلام فى سياسة المال فلسفة خاصة ليست بالشيوعية ولا بالراسمالية ولا بالاشتراكية الغربية ، وقد بينا بايجاز ملامح هذه الفلسفة الاسلامية، ونريد الآن ان نعرف مكانها بين مختلف الاتجاهات .

الاقتصاد الاسلامي والشيوعية :

يبعد الاقتصاد الاسلامي عن النظم الشيوعية بعدا واسعا ، فقد سبق ان قررنا ان الاسلام يقر الملكية الفردية ويقر التفاوت فيها ويشمل ذلك ملكية الاراضي الزراعية وملكية المتاجر والمصانع ، ولا يجيز الاسلام التدخل فى هذه الملكية الا اذا تعارضت مع الصالح العام كما سبق ويحرس الاسلام هذه الملكية ونقلها لورثة المالك ، والاسلام بذلك يعارض الشيوعية التى كانت – كما وضعها ماركس وانجلز – تزعم ان حب التملك ليس اصيلا فى النفس الانسانية ، وتنكر هذه الغريزة التى سبق ان اوضحنا ان الاسلام يعترف بها ويقررها متمشيا مع الطبيعة التى ندركها فى انفسنا وفى الطفل الذى لا يعي . فلما ادركت الشيوعية بعدها عن الطبيعة البشرية بعد ماركس ، عادت تعترف بالملكية الشخصية ولكن فى حدود ضيقة .

وقد جاء فى الدستور السوفياتي ما يلي :

مادة 7 – لكل عائلة من عائلات المزرعة التعاونية – بالاضافة الى دخلها الاساسي الذى يأتيها من اقتصاد المزرعة التعاونية المشترك – قطعة من الارض خاصة بها ، وملحقة بمحل السكن ، ومنزل للسكنى ، وماشية منتجة ، وطيور وأدوات زراعية بسيطة كملكية خاصة .

(1) كتاب الاموال لابن عبيد ص 299 .

مادة 10 – ان حق الملكية الشخصية للمواطنين فى دخلهم وتوفيرهم الناجمين عن عملهم ، وفى مساكنهم واقتصاديات بيوتهم ، وفى الحاجيات والادوات المنزلية ، وفى الاشياء المستخدمة فى الاستعمال الشخصي والراحة ، وكذلك حقهم فى ارث هذه الملكية الشخصية ، حق مصون بموجب القانون .

ومع هذا التعديل الذى ادخله الشيوعيون على مذهب ماركس ، فان الهوة لا تزال واسعة بين التفكير الاسلامي والتفكير الشيوعي فى موضوع الملكية الفردية .

الاقتصاد الاسلامي والراسمالية :

الفرق بين الاقتصاد فى الاسلام والاقتصاد فى النظم الراسمالية عظيم للغاية ، فمع ان كلا النظامين يبيح الملكية الفردية والتفاوت فيها ، وارثها ، الا ان الهوة بعد ذلك تبدو واسعة بين النظامين ، فالملكية فى النظام الراسمالية مطلقة لا قيود عليها . ولكن الملكية فى النظام الاسلامي مقيدة فلا يجوز للمالك فى النظام الاسلامي ان يحتكر ، او يسرف ، او يكنز لان المالك الحقيقي هو الله، وقد حدد للمالك المؤقت وهو الانسان طرق الاستعمال ، وهذا بخلاف النظام الراسمالي فللمالك فيه ان يحتكر ويكنز ويسرف وغير ذلك مما هو فى الحقيقة طبيعة الراسمالية .

الاقتصاد الاسلامي والاشتراكية الغربية :

وتختلف اشتراكية الغرب عن الاقتصاد فى الاسلام، فاشتراكية الغرب تقوم على اساس من حرب راس المال ونضال الطوائف ، اما الاقتصاد الاسلامي فيقوم على اساس التعاون والاخاء .

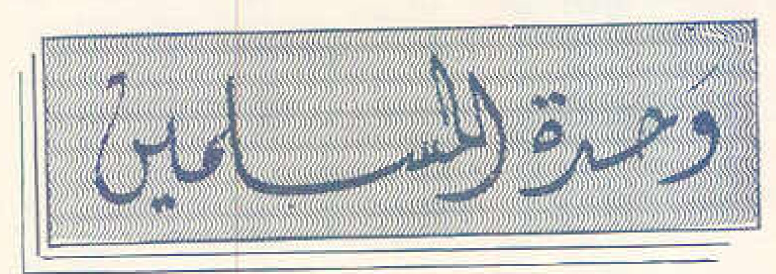
ومن الواضح لذلك ان الاشتراكية الغربية ترمي للقضاء على الثروات الكبيرة وتقف موقف العداء من الملكيات العظيمة ، وتحتم ان تمتلك وسائل الانتاج ملكية عامة وليس كذلك الاسلام ، فهو لا يتصدى لحرب مع الملكيات الكبيرة ما دامت هذه الملكيات قد تكونت على اساس سليم ، وما دامت بعد تكونها تابعة لروح الاسلام ، عاملة لخير المجتمع وغير ضارة به ، وانما ينتفع بها فيما ينفع المجتمع الاسلامي ويعود عليه بالخير . ويضع الاسلام وسيلة هامة يصل بها الى هدفه وهو ازالة الطبقية الثابتة وعدم تكديس الاموال فى ايد قليلة ، وهذه الوسيلة هي نظام الميراث الذى من طبيعته ان يفتت الثروات .

والاشتراكية الغربية تكثر من التاميم فتقترب بذلك من الشيوعية التى تعمل على ان تملك الدولة كل شيء ، اما التفكير الاسلامي فانه يسعى لتوزيع الثروة على الافراد كما يقصد ان تنتقل الثروات بين الناس تبعا للجهد والتوفيق .

والملكية فى الاشتراكية الغربية ملكية كاملة ولكنها فى الاسلام وظيفة اجتماعية ليس غير .

تلك مقارنة موجزة بين النظام الاقتصادي فى الاسلام وسواه من النظم ، ولا شك ان النظام الاسلامي حقق لتابعيه فى الفترات التى اتبع فيها اسمى الوان النجاح واليمن والبركة .

القاهرة : د. احمد شلبي



هدف أساسي للتبشير والاستعمار

للأستاذ أنور الجندي

ركز الاستعمار واداته التبشير على عدة اهداف كبرى : كان فى مقدمتها هدفان اساسيان :

(الاول) — ابعاد الاسلام عن مجال التأثير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي باعتباره دينا ونظام مجتمع ، فى محاولة لتصوير الاسلام « دين عبادة » قاصرا على الصلة بين الله وعباده ، مباعدين بينه وبين مفهومه الاجتماعي الاساسي فى بناء « منهج حياة » للافراد والمجتمعات التى تحكمها .

(الثاني) — القضاء على وحدة الجامعة الاسلامية ، وفكرة الوحدة الاسلامية ، وذلك بخلق تيار قوي من الاقليميات واقامتها على اساس التاريخ القديم ، والحيلولة دون قيام الوحدة العربية بحسبانها عاملا هاما من عوامل قيام الرابطة الاسلامية .

ومن هنا فقد كانت « الجامعة الاسلامية » اكبر اهداف التبشير منذ وقت بعيد ، وكان له عمله الخطير فى تحطيمها والقضاء على الدولة العثمانية حاملة لوائها واسقاط الخلافة الاسلامية ثم اعلاء امر الاقليمية والدعوات القومية الضيقة ، حتى اختفى فعلا من وجه الدراسات والكتابات التاريخية والسياسية كل ما يتصل بالعالم الاسلامي حتى انه لا يوجد كتاب فى العصر الحديث يعرض لهذا العالم كقوة متكاملة ، وانما تجري الابحاث كلها حول الروابط الافريقية والاسيوية والعربية ، ولقد بعدت الابحاث عن العالم الاسلامي وكل ما يتصل بالاخوة الاسلامية او الوحدة الاسلامية الا فى فترات متباعدة كعقد مؤتمر من المؤتمرات الجامعة التى كانت تنطفىء آثارها بعد انعقادها مباشرة وتعلو عليها موجهات الاقليمية والقومية حتى لا تترك اثرا فى النفوس يعيدها الى مكان الصدارة .

ولقد عرض كثير من المبشرين والمستشرقين لهذا الامر وكشفوا عن هدفهم واضحا صريحا من مقاومة الدعوة الى الوحدة الاسلامية .

يقول لورنس براون : « اذا اتحد المسلمون فى امبراطورية عربية امكن ان يصبحوا لعنة ، على العالم وخطرا ، اما اذا بقو متفرقين فانهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير » .

ويقول القس سيمون : « ان الوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب السمر ، وتساعدهم على التخلص من السيطرة الاوربية ، ولذلك كان التبشير عاملا مهما فى كسر شوكة هذه الحركة ، ذلك لان التبشير يعمل على اظهار الاوربيين فى نور جديد جذاب وعلى سلب الحركة الاسلامية من عنصري القوة والتمركز اللذين هما فيها ، واذا كانت الوحدة الاسلامية تكتلا ضد الاستعمار الاوربي ، ثم استطاع المبشرون ان يظهروا الاوربيين فى غير مظهر المستعمر فان الوحدة الاسلامية حينئذ تفقد حجة من حججها وسببا من اسباب وجودها ، من اجل ذلك قالوا :

يجب ان نحول بالتبشير مجاري التفكير فى الوحدة الاسلامية حتى تستطيع الفكرة (الغربية المسيحية) ان تتغلغل فى المسلمين » .

ولا شك ان هذين النصين بالاضافة الى نصوص اخرى تكشف بوضوح عن سر الكلمات الفاضحة التى يسرع بعض الكتاب ذوي الولاء لحركتي التبشير والتغريب باطلاقها عندما يتحدث اي باحث عن « الجامعة الاسلامية » مع محاولة تصويرها بصورة تاريخية رديئة ، حين يجري عرض تاريخ العثمانيين مع العرب ومحاولة تصوير العلاقة بينهما على انها كانت نوعا من الاستعمار شبيها بالاستعمار الغربي .

* * *

ولقد اولى الاستعمار واداته التبشير اهتمامه منذ وقت بعيد الى (الجامعة الاسلامية) ، وتناولها بالبحث والدراسة ، وخاصة فى مؤتمر 1911 بعد ان سقط السلطان عبد الحميد حامل لواء هذه الدعوة وسيطرة تركيا الفتاة من الاتحاديين اصحاب الدعوة الى الجامعة الطورانية على ازمة الحكم وانفتاح الطريق امام النفوذ التبشيري والاستعماري والصهيوني جميعا الى قلب العالم الاسلامي .

وقد اشار القس نلسن والقس ورنر فى تقريرهما الى ان اجتماع المسلمين بجامعة اسلامية بكل المعنى الذى يدل عليه هذا اللفظ « قد اصبح امرا وهميا لا ثمرة له غير توليد احلام تقلق رجال السياسة » واشارا الى ان مكة والطرق الصوفية هما من اكبر العوامل فى بث شعور الوحدة بين المسلمين .

ثم اشار الى « المخطط المنفذ » فعلا والذى يقضي باستحالة تحقق الوحدة الاسلامية حين قال :
« عبثا يبني هؤلاء آمالهم على الجامعة الاسلامية (لان التربية الغربية المسيحية التى تقوم بها (الارساليات التبشيرية) قد انبثت فى دمائهم بفضل مدارس التبشير وباحتياطات استمدتها حكومة هولندا ــ والاشارة هنا الى اندونيسيا ــ من شأنها ان تزعزع آمال المسلمين .

ولكنه اشار الى هدف الجامعة الاسلامية الحقيقي حين قال :

« ان العامل الذى يجمع الشعوب ويربطها برابطة الجامعة الاسلامية هو (الكراهية) الذى يضمره سكان البلاد للفاتحين الاوربيين ، ولكن (المحبة) التى تبثها ارساليات التبشير ستضعف هذه الرابطة وتوجد روابط جديدة تحت ظل الفاتح الاجنبي » ويقصد بالمحبة هنا ما تحاوله المدارس التبشيرية من خلق ولاء للغرب فى نفوس الشباب واثارة اعجابه بالغرب واحتقار بلاده وقيمها ..

ومن عوامل القضاء على الوحدة الاسلامية ما يعمل به الاستعمار واداته التبشير بالتركيز على الاقليمية ، ما تحفل به الابحاث عن تنمية (الكيان اللبناني) والاهتمام بالدعوة «الفينيقية» فى ربوع لبنان حتى يقول « جسب » (1) بمنتهى الصراحة : « ان المدارس التبشيرية والصحافة شبه التبشيرية والكنيسية ستتضافر على تحقيق ميلاد فينيقية جديدة حتى تكون النصرانية فيها اوسع انتشارا » .

ولعل من اكبر الخطط التى قادتها حركة التبشير بنجاح وحققت بها نتائج خطيرة هي خطتها فى القضاء على الوحدة الاسلامية واسقاط « الدولة العثمانية » بحسبانها نقطة التجمع الكبرى اذ ذاك فى مواجهة النفوذ الاجنبي الزاحف ــ والغاء الخلافة .

لقد ركزت قوى الاستعمار واداته التبشير على الدولة العثمانية بهدف اسقاطها وتمزيق الوحدة بين العرب والترك وتسليم الاجزاء العربية للاستعمار الغربي .

وقد استطاعت قوى التبشير بالاتفاق مع المحافل الماسونية العمل لخدمة النفوذ الاستعماري والصهيوني فى السيطرة على حزب الاتحاد والترقي وجماعة تركيا الفتاة ،فى مرحلتيها المتواليين :

مرحلة حكم الاتحاديين 1908 ــ 1918 ومرحلة حكم الكماليين (1919 ــ 1939) فالارساليات التى قدمت الى استانبول وبيروت ومصر فى منتصف القرن التاسع عشر قد استعانت بالقوى الماسونية فى العراق والشام ومصر على تنفيذ مخططها ، والمعروف ان المركز الضخم للعمل كله انما كان فى سلانيك مقر « الدونمة » وهم اليهود الذين اسلموا تقية وعملوا على تقويض الاسلام بالتعاون مع النفوذ الاستعماري

1) جسب احد قادة حركة التبشير وهو غير (جب) المستشرق المعروف

والصهيونية ويمكن القول بأن هذا العمل اخذ مجراه الجدي بعد عام 1901 ، على اثر المقابلة التي تمت بين هرتزل زعيم الصهيونية وبين السلطان عبد الحميد وانتهت بقرار حاسم من السلطان هو استحالة التفريط للصهيونية في شبر واحد من فلسطين . وكانت الخطة تهدف الى اقتطاع فلسطين لانشاء كيان يهودي بها يمثل راس جسر للاستعمار ، ويحقق خطة الاستعمار التي تقررت عام 1907 وهي ايجاد « حاجز بشري » بين قارتي افريقيا وآسيا . وقد وجد الغرب هذا الحاجز البشري جاهزا وممثلا في الصهيونيين (1) .

وقد سيطر « الدونمه » على حركة الاتحاديين الذين كانوا اساسا يتطلعون الى تحرير بلادهم من التاخر ومن النفوذ الاجنبي بالتماس اساليب الغرب ومناهجه في الحكم والحضارة ، ومن هذا المنفذ الدقيق استطاع مخطط التبشير ان يحطم القيم الاسلامية تحطيما تماما في حركة الاتحاديين ، ويدفعهم دفعا الى مفهوم عنصري خطير هو الجامعة الطورانية ويدفعهم دفعا الى تحويل الرابطة العربية التركية الى صراع دموي . وقد ظل هذا العمل يجري في الخفاء حيث انطلقت دعوة الجامعة الاسلامية التي حمل لواءها السلطان عبد الحميد ، والتي اثارت الرعب والفزع في صفوف الاستعمار والنفوذ الاجنبي حيث استجابت وحدات العالم الاسلامي الى اللواء الذي رفعه السلطان عبد الحميد ليس بحسبانه سلطان الدولة العثمانية ، بل بوصفه خليفة المسلمين ، وكان هدف دعوته التجمع والوحدة في مواجهة الزحف الاستعماري ، هنالك شعر النفوذ الاجنبي بالخطر الماحق ، فلم يتردد الاتحاديون ثمرة التبشير والنفوذ الاستعماري الاول وخريجي الارساليات الاجنبية من تقويض النظام السياسي القائم وتسلم أداة الحكم لتصفية الدولة في فترة لم تزد عن عشر سنوات ونقلها الى مرحلة اخرى اشد خطورة هي مرحلة الانقلاب الذي قاده مصطفى كمال لتصفية الطابع الاسلامي كله والغاء الخلافة وتحويل تركيا الى دولة غربية خالصة .

وهذا العمل الذي حققه الاتحاديون للمسألة الشرقية التي كانت اخطر قضايا اوربا في هذه المرحلة هو ما أشار اليه كثير من المستبشرين وسجله مؤتمر التبشير العام المنعقد سنة 1910 في ادنبره وجاء بالنص :

« اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية على ان معاهد التعليم التي أسسها الاوربيون كان لها تاثير على حل المسالة الشرقية يرجع على تاثير العمل المشترك الذي قامت به دول اوربا كلها » .

لقد تأكد مدى الترابط الخطير بين الارساليات التبشيرية والمحافل الماسونية التي تقدمت خطط الصهيونية عام 1897 وكان الانقلاب العثماني بالنسبة لهما معا عملا بعيد المدى في فتح الطريق أمام ارساليات التبشير للعمل بحرية على النحو الذي صوره الدكتور زويمر كبير المبشرين في تقريره في مؤتمر التبشير العام في لكنو 1911 حيث قال مشيرا الى الانقلاب العثماني 1908 بانه «فتح طريق المبشرين للتجول في البلاد العثمانية والعربية دون موانع (2) كما فتح الطريق امام الصهيونية الى فلسطين .

اما الموقف الثاني الذي استطاعت ان تحققه حركة التبشير في تلك المعاهدة السرية التي الحقت بمعاهدة لوزان والتي وافق عليها مصطفى كمال وحكومة انقرة وهي تصفية الاسلام ، واسقاط الخلافة والغاء الحروف العربية وذلك كشرط لتحرير تركيا وجلاء القوات المحتلة عنها . وكان ذلك نصرا لا حد له للاستعمار ولحركة التبشير ، استطاعت ان تستغل آثاره في العالم العربي وفي فارس والافغان.

واذا كانت الدول الاوربية قد اتفقت على ان «التبشير» هو الذي قام بحل المشكلة الشرقية فان التبشير هو الذي القى فلسطين كثمرة ناضجة في يد الصهيونية العالمية لتلتهما ، وقد كان الاستعمار والتبشير والصهيونية جميعا يتنافسون على فلسطين منذ ذلك الوقت البعيد ، بحسبانها قوة ضاربة في وجه الحرية والكرامة الاسلامية والعربية ، فقد كانت الصهيون هي الجسم الغريب الذي حلم به وزير خارجية في تصريحه الشهير .

ومما يتحقق اليوم على ايدي الصهيونية من اخطار بعيدة المدى في العالم الاسلامي والبلاد العربية ، انما كان محسوبا في ذلك الوقت ، لقد كانت كل الاهداف

---

(1) المشروع المعروف بمشروع لجنة باترمان سنة 1907

(2) ص 93 كتاب الغارة على العالم الاسلامي ـ لشاتليه

تلتقي حول هذ العمل ، وكان روتشلد الممول اليهودي يساعد هذه القوى جميعا ، ولقد جاء اليوم الذى تقول فيه البرقيات انه لولا بعض « المدارس الاجنبية الكبرى » فى الشرق لكان الحال اسوأ بين العرب واسرائيل ، وان هذه المعاهد كانت فى مستوى الهدف الذى انشئت من اجله وانها على كل حال قد بررت تماما كل قرش وضع فيها (اقرا تصريح اوتوباسمان فى جريدة النهار البيروتية فى 23 - 7 - 1968) .

وإذا كانت دول كثيرة استعمارية قد شاركت فى تمزيق وحدة العالم الاسلامي فان بريطانيا هي اكبر هذه الدول عملا فى هذا المجال : مجال تثبت النفوذ الاجنبي فى العالم الاسلامي والقضاء على وحدة المسلمين فقد كانت تملك فيه اضخم نصيب من الغنيمة « الهند : درة التاج البريطاني » ومصر والعراق والسودان وهي فى مجال الغزو الفكري عن طريق التبشير تعد اكبر مخطط ومنفذ .

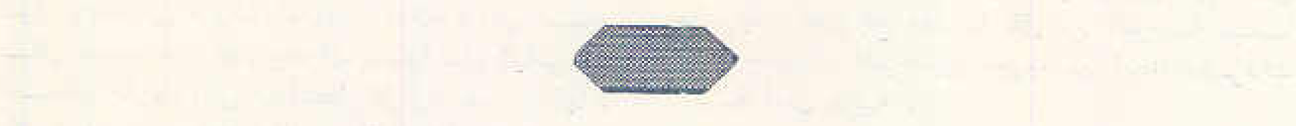
ويبدو هذا فى مراجعة ما ذكره غلادستون رئيس وزراء بريطانيا فى عهد الملكة فيكتوريا وهو يمسك بيده « المصحف » ويقول لاعضاء مجلس العموم البريطاني :

« انه ما دام هذا الكتاب فى ايدي المصريين فلن يقر لنا قرار فى تلك البلاد » ومن خلال هذه الصيحة بدا حملة الغزو التبشيري حاملة مخططها الذي برز فى « التعليمات » التى قدمها « دوفرين » الرجل الاستعماري الاول الذى جاء مصر بعد الاحتلال البريطاني مباشرة ووضع اسلوب العمل وقد ركز على التعليم بحسبانه العامل الاساسي لتركيز نفوذ الاستعمار البريطاني فى مصر والعالم الاسلامي كله.

وجاء بعده « كرومر » الذى فتن النفوذ الاستعماري الثقافي واشار فى تقاريره المختلفة الى اهمية التبشير والعمل فى مجال التعليم وفى مجال الصحافة والثقافة .

ومنذ صيحة غلادستون وضع الانجليز سياسة تعليمية وتبشيرية خطيرة الاثر ترتكز على اقصاء الدين عن مجال التربية وابعاد الاسلام عن التعليم والثقافة ، سوى بعض عبارات وصلوات وادعية صوفية ، والقرءان يقرا للبركة اما الاسلام كدين ومنهج مجتمع ونظام صالح للتطبيق فى مجال القانون الدولي فقد اقصاه كرومر وهاجمه هجوما عنيفا وكانت مدرسته الفكرية التى حكمت بعد ثورة 1919 بزعامة زغلول ولطفي السيد هي العامل الاول لتطبيق هذا المخطط واقراره وعنها اخذت كثير من الدول العربية والاسلامية .

القاهرة : انور الجندي





وقضايا الإسلام وثقافته

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

تمهيـــد :

ما من ريب فى أن المستشرقين جماعة من علماء الغرب شغفوا بدراسة لغة الضاد والدين الاسلامي فوجدوا فى ذلك حقلا خصبا ، وروضة ممرعة مما جعلهم يهتمون بالثقافة الاسلامية ، ذات الطابع الخاص والخصائص الممتازة .

واهتمام اولئك المستشرقين باللغة العربية والمحصول الثقافي الاسلامي يرجع فى حقيقة الامر الى قرون ماضية اولوا خلالها عنايتهم للعلوم التى تفوق فيها العرب من طب وفلسفة وهندسة ورياضيات وكيمياء وفلك وغيرها ، ونقلوا كل هذا الى اللاتينية التى كانت لسان العلم والمعرفة عندهم ، وذلك عندما بهرت امة الاسلام الاوروبيين بحضارة مدهشة ، وتقدم عظيم ، ومجد تليد ، فاشرأبت اعناق اولئك فى شوق ولهفة الى صنوف المعارف الاسلامية التى امست تشكل عصب حيوياتهم بعد أن يئسوا تمام اليأس من استيقاظ قارتهم التى عم الجهل كل ركن من اركانها ، وكل نجد من نجودها ، الشيء الذى دفع دوزي الى ان يقر حقيقة واقعة بقوله :

« لم يكن أمراء اسبانيا قبل استعادة بلادهم من العرب اقل همجية ووحشية من سادة البرانس المسيحيين .. بل لم يكونوا يعرفون الكتابة والقراءة او التعامل بالنقد ، وكان من يريد منهم ان يجمع بعض الارقام او يطرحها او يقيس حدود ارضه من الاراضي .. لا يجد بدا من الاستعانة بعربي كي يحقق له ذلك » .

وعندما هل القرن الثاني عشر امست الاندلس وخاصة طليطلة تعج بالمقاومين اليها من الافرنج كالمستشرق الايطالي جيراردي كريمونا (1114 — 1187) Gérard de Crémona الذى نقل من العربية رسائل الكندي فى العقل والمعقول وفى الجواهر الخمسة والمستشرق الانجليزي ميخائيل سكوت (1175 — 1236) Michael Scot الذى ترجم كثيرا من التراث العربي ككتاب الهيئة للبطروجي .

وقد اهتم ملوك أوروبا بالادب العربي والثقافة الاسلامية ايما اهتمام ، ومن ابرز اولئك فردريك الثاني والفونسو الحكيم (El Sabio) ملك قشتالة ، ومنذ ذلك الوقت وملوك اوروبا يشجعون على النقل والترجمة حتى بلغ عدد ما نقل من العربية مبلغا كبيرا حتى ان المترجمين عجزوا عن ايجاد مفردات لاتينية لمعان عربية .

وبعد أن جاء القرن الخامس عشر قامت روما ببعث المبشرين الى الشرق وبطبيعة الحال ان هؤلاء المبعوثين من اجل التبشير اضطرو الى تعلم العربية حتى يتسنى لهم تحقيق مرادهم ، ولهذا بدا المد الاستشراقي يقوى ويمتد امتدادا عظيما ، والفضل كل الفضل يرجع الى رومة التي عملت على انشاء المطابع العربية ، وطبع الكتب وحشدها فى مكتبة

الفاتيكان التي بها تجلى الاستشراق في صورة منظمة .

وبهذا العمل الذي اضطلعت به ايطاليا تشجعت فرنسا ودول اوربية اخرى على السير قدما في هذا الدرب الطويل ، اذ لم تعد الحركة الاستشراقية مقتصرة على رجال الدين والتبشير وحدهم بل اضحت همة القائمين تمتد الى اللغات الشرقية وثقافاتها .

ومنذ اوائل القرن السابع عشر الميلادي بدات مجهودات المستشرقين تترعرع وتتكاثف ، فظهر كتاب في قواعد اللغة العربية واللاتينية لاربانيوس (1548 – 1624) Erpenius, T.H. بعنوان « المقدمة الاجرومية » سنة 1613 ونشر « العوامل المائة » في النحو الجرجاني وامثال لقمان ومنتخبات من الحماسة لابي تمام ، وظهر كتاب الاسلام في مجلدين لريلاندوس (1676 – 1718) Relandus And الاول : « العقيدة الاسلامية » والثاني «تصويب فكرة الاوروبيين الخاطئة عن الاسلام » .

وعندما جاء القرن الثامن عشر وبعده ازدادت رغبة الغربيين قوة في الاطلاع على العربية ، وما يمت اليها من قريب او بعيد ، فنبغ عدد كبير منهم من ايطاليا وفرنسا والمانيا وعملوا على طبع الكتب العربية في شتى الفنون كما فعل البرت تولتنس (1686 – 1750) Schultenes, Alb. عندما قام بنشر مقامات الحريري وسيرة صلاح الدين لابن شداد ، ودوزي (1820 – 1883) Dozy, R.P.A. الذي نشر تاريخ « بني زيان » و « المعجب » للمراكشي و « بيان المغرب في اخبار المغرب » لابن عذارى المراكشي ودي خويه (1836 – 1909) Goeje M.J. de الذي نشر « غريب الحديث » لابي عبيد القاسم وغيره .

بعد ذلك اصبحت الامم الغربية تتوفر على عدد ضخم من المستشرقين كجولد تسهير (1850–1921) Goldziher, Y. وبوهل (1850 – 1932) Buhl F. واويستروب (1867 – 1938) Oestrup, J. E. وجو دمي (1897–1945) Gudine, P. de Hemmer وبلاشير (1900 Blachère, R.L. وغير هؤلاء مما لا يحصيهم العد .

والحقيقة التي لا يرتقي اليها شك ان المستشرقين قد افادوا العربية ، واسدوا اليها ايادي بيضاء تتجلى في احيائهم كثيرا من الذخائر النفيسة التي كانت حبيسة الظلام ، وتتجلى ايضا في ترجمتهم دواوين الشعراء كديوان امرىء القيس والنابغة وطرفة والمتنبي ، وكتبا لغوية « امثال تاج العروس » و « اطواق الذهب » ، وكتابة تاريخ آداب اللغة العربية ، كتابة ترتكز على المنهج العلمي والاسلوب الدقيق .

وصفوة القول ان المستشرقين حافظوا على التراث الاسلامي بنشره متنا وترجمة مما جعل الاجانب يتعاطفون مع الثقافة الاسلامية ويتسجمون والنبوغ الذي حمل مشعله المسلمون ويقفون على ما لعبه العقل الاسلامي من ادوار عالمية في ميدان الحضارة البشرية ، وبسبب هذه الاعمال الجليلة يجدر بنا ان نعترف لهم بالجميل ، ونكيل لهم الثناء خضوعا للواقع الملموس الذي لا مفر من الاذعان له .

بيد ان هذه الجماعات الاستشراقية منها افراد سخروا اقلامهم من اجل مصالح بلدانهم السياسية والاستعمارية ، وافراد آخرون عملوا على مشاغبة الاسلام والطعن في مقدساته ، واعلنوا حربا شعواء لا تبقي ولا تذر على اهم ما تضمنته المباديء الاسلامية السامية ، لكي ينشروا البلبلة الفكرية والضلال الخبيث في المجتمع الاسلامي ، وفعلا فان تشدق الطامعين المأجورين وجد بعض الآذان صاغية ، وامعيين روجوا له في سوق النذالة ، فتشربت عقول ضعيفة فجة افكارا مسمومة رعناء مضللة ، ومن بين الذين جنوا على العقول الفطرية وتجنبوا طريق الحق والنقد الموضوعي النزيه وليم بدويل (1561 – 1632) Bedmell, W. وهمفري بريدو (1648 – 1724) Prideaux, H. وجولد تسهير ، وهذا الاخير يعد اكبر ناقم على الاسلام وذلك في كتابه « العقيدة والشريعة في الاسلام» يشوه هذا المستشرق اليهودي في هذا الكتاب الحقائق الاسلامية تشويها اقل ما يقال فيه : انه تزوير فادح ، وتحريف خطير لسمعة الاسلام باسلوب مخالف كل المخالفة للدقة في النقد ، ومناقض اشد المناقضة للتمحيص في الاستنباط العلمي ، وهذا ليس بدعا من متقول حقود ويهودي مخاتل :

الابن ينشأ على ما كان والده
ان العروق عليها ينبت الشجر

وهناك فئة اخرى عاقلة حصيفة اعطت للاسلام حقه المشروع – تمسكا بالنقد الموضوعي – دون ان تعتنقه ، ومنها من حفزه روح الحق الى اعتناقه عن عقيدة وايمان امثال فلوري (1874 – 1935)

Flurg, S. وكرنكوف (1) (1872 – 1953)
Kren Kam, F. R. وغيرهما من اجناس مختلفة كبعض الالمانيين والسويسريين والبريطانيين :

وكيفما كان الامر فان الاسلام مهما حدقت به اباطيل ، وغمزت فى قناته طعون وحاولت ان تطمس مبادئه الانسانية الرائعة ، واسسه المشرقة لتظهره بمظهر الضعف والشعوذه ، او بصورة مشوهة نتيجة البغض المقيت والحقد الدفين والخداع المبيت والحيل الكاذبة ، فانه سيظل قوة عملاقة ، وقلعة ضخمة ترتد عنها الزعازع الهوجاء والرياح المتناوحة ، ما دام يستمد روحه من الله مبدع الوجود ، وسيظل أيضا ينفح العالم المتمدن نفحات الخير والبركة ، ويعمل على ايجاد ترابط كامل بين جوانب الكيان البشري ، واحداث توازن دقيق داخل النفس الانسانية لتوجيهها الى القيم الصحيحة والمثل المضيئة التى تكفل مهرجانا من الحياة ، زاخرا حافلا بمشي بطبيعة الانسان الى افق اشراقي ، تتعانق فى مرتقاه عوامل الخير التى هما اساس التعايش الاخوي الصادق الذي لا يحققه دين سماوي وارضي غير هذا الدين الوضيء الحيوي الذى يحتاج اليه العالم حاضرا ومستقبلا حاجة ماسة ، ذلك لكونه يمتاز بشريعة قويمة سمحة ، وقوانين عادلة منصفة يقصر العقل الانساني – مهما بلغ من النبوغ والعبقرية ما بلغ – عن خلق ذرة منها وما ذلك بمبالغة او مجاز فى التعبير لان القدرات الآدمية قزمية اذا قيست بالقدرات الالهية العملاقة .

اقول : ان الاسلام شريعة اتاحت للعقل البشري ان يعمل فى اوسع مضمار له على البسيطة ، وعالج الحياة من كل جانب من جوانبها فلم يدع جانبا الا وكان له فيه جولات وصولات ، فمزية هذا الدين هو انه يشمل كل الخطوط الدقيقة وغير الدقيقة التى تكمن فى اطواء الكيان البشري ، فيتناولها بالعلاج الى ان يخرج للوجود الانسان الصالح المتوفر على طاقات مختلفة جسمية وعقلية وروحية ، ولكنها فيما بينها متلاحمة متوازية لا تطغى احداها على الاخرى .

ورغم هذا التوازن المشرق الذى يهدف الى تحقيقه الاسلام من اجل غد مشرق للانسان الضائع يتعامى خبثاء الصليبيه ، ودعاة التبشير ومن لف لفهم عن الحقائق فتحشد كل ما لديها من امكانيات خارقة من الدعاية والتدجيل لاغراء السذج ، وعرقلة الامتداد الاسلامي وانتشاره لخلق اعوان يدورون فى فلكهم ، ويبشرون بتعاليمهم كي تصبح امة الاسلام فى حيرة فكرية وفراغ روحي . عند ذلك تجد الصليبية الفرصة ثمينة وثمينة جدا لغزو المجتمع الاسلامي بمفاهيم جامحة وتصورات سامة لتقتلع بقية الروح الاسلامية التى يقوم عليها كياننا المادي والمعنوي ، ويستند عليها وجودنا التاريخي بكل مقوماته .

وقد ظهرت بوادر هذا التسمم فى مجتمعاتنا الاسلامية ، وتتبلور فى تلك الاتجاهات المتعفنة المستوردة باسم التمدين، والشعارات المزيفة المتعددة التى لا يكف الشباب عن ترديدها والتغني بها ، والدعوة لها بكل اخلاص .

واعتقادي ان المسؤولية الاولي ينبغي ان يضطلع بها المثقف المسلم الواعد ، ويعمل بجدية فى كل فن من فنون الثقافة لتحديد الطريق ، وتحقيق الحصانة للفكر الاسلامي وحمايته من الطفيليات ، وتحريك القوى الفعالة المتعطلة .

والحق الذى لا ينبغي التعويل على غيره ان اولئك الغلاة المتعصبين من المستشرقين استجاروا من الرمضاء بالنار ، ذلك ان كتاباتهم عن الاسلام حملت الكثير من الغربيين الى ان يتدارسوا هذا الدين كي يقفوا على جلية الامر ، وكانت النتيجة الحتمية ان دخل رحابه منصفون عاقلون بعد ان وضحت امام اعينهم الحقائق ناصعة ، وفى هذا الصدد يبين المستشرف البريطاني المسلم خالد شلدريك كيف ان كتابات الخصوم دفعته الى اعتناق الدين الاسلامي عندما يقول :

« لم اتلق هذا الدين فى اول الامر من كتبه ولكنني تلقيته من كتابات الطاعنين عليه . لقد حملني البحث والتامل الى درس الديانات الاخرى فدرست البوذية والبرهمية وسائر الاديان ، وفى دور الكتب العامة بانجلترا بحوث من كل دين ما عدا الاسلام، فان الكتب التى الفت عنه مملوءة بالتحامل والمطاعن والعرض الظالم ، وزعموا ان الاسلام ليس دينا مستقلا ، ولكنه اقوال محرفة عن كتب المسيحيين ، وقد تساءلت فى نفسي اذا كان الاسلام لا اهمية له

---

(1) سمى نفسه محمد سالم الكرنكوي وانتخب عضوا فى المجمع العلمي العربي بدمشق .

الى هذا الحد فلماذا هم يبذلون كل هـذه الجهـود للتحامل عليه ومقاومته وتوجيه المطاعن اليه ، وقـد وقر في نفسي انه لولا ان الاسـلام دين يخشـاه هؤلاء الناس ويحسبون حسابا كبيرا لما فيـه من القـوة والحيوية لما بذلوا كل هـذه الجهود لمقاومتـه والطعن فيه وتشويه سمعته ، لذلك عزمت على قراءة هـذه الكتب التى كتبت عنه واحدا واحـدا . والاسلام لا يخفيه انتقاد منتقديه ، فمنتقدو الاسلام انما يظهرون وجهة نظر خصومه ، ومن هـذا مصلحـة له قـوة ودعوة ، والحق يبدو مهما حاول المبطلون اخفاءه . .

ونحن سنحاول على قدر الاستطاعـة في هـذا البحث ان نتصدى لبسط تلك الاقاويل الزائفة التى اشاعها خصوم الاسـلام ، ونضعـها تحت المجهـر ، ونناقشها مناقشة عقلية علمية محضة لا يرفضها الا المكابر المعاند .

وهذه الردود لا تقتصر على المجال الديني فقط بل تتعداه الى غيره وذلك تبعا لما امتدت اليه المطاعن الرعناء والمغامز الهوجاء .

وقد كان الحافز الرئيسي لتحرير هذا البحث انه طلب مني سنة 1965 ان اقوم بالقاء محاضـرة بنادي الاستقلال بتطوان بمناسبة رمضـان المعظم فلبيت الطلب بعد الحاح ، وكان موضوع المحاضـرة « دسائس حول الاسـلام » وكنـت قـد قسمـت المحاضرة الى اربعة عناصر رئيسية هي :

1) القانون الاسلامي والروماني

2) الاسلام والرق

3) تعدد الزوجات في الاسلام

4) الاسلام والتطور الحديث .

ونظرا لكون هذه المحاضـرة لم تكـن مكتوبـة ونالت اعجاب بعض الاخوان الحاضريـن ارتأيت أن اجعلها بحثا مفصلا مركزا تنضوي تحتـه مواضيـع متعـددة مختلفة ، ويتعقب جـل ما اثـاره بيـادق الصليبية ، وسماسرة التبشيـر والاستعمار مـن اتهامات مريرة ، ودسائـس مغرضة ، وبذلك اتسعت آفاق البحث ، ورحبت ابعاده واستغرق العمل فيـه زمنا غير قصير .

ولست ازعم بعد هذا انني اوفيت على الغايـة من استقصاء السقطات الاستشراقية، وبحسبي أن اكون قد شاركت بنصيبي في الذود عن الحق ، وأن اقنع من بقلبه مرض أو ريب من دينه وذلـك اكبـر الامل :

على قدر ما في الدن اسقيت شاربي
ولو كـان فيـه مـا يـزاد لزدتـه

والله يجزي المحسنيـن وهـو ولي التوفيـق والسداد .

تطوان ـ محمد المنتصـر الريسونـي



للدكتور أحمد الحوفي

- 3 -

المقاومة العملية

هاجر النبي الى المدينة ، وهاجر بعض المسلمين اليها قبله وبعده ، فهل سلموا من اذى قريش ؟

لقد ازدادت بغضا لهم ، وعزما على القضاء عليهم فى دارهم الجديدة ، وحرضت العرب ليشاركوها فى هذا العدوان .

فياللعجب ، المسلمون يدعون الى الحق والخير فى غير استعلاء ولا طمع فى مال او رياسة او جاه ، ولكن المشركين يضيقون عليهم ، ويصدون الناس عن سبيلهم ، وينكرون عليهم حق الحرية فى العقيدة والعبادة والعمل وحق الحياة .

فهل يسلك المسلمون سبيلا غير النضال عن انفسهم ، بعد ان ناضلوا بحقهم باطل خصومهم ، وبعد ان كافحوا بخيرهم شرور اعدائهم ؟ لا ، ان المسلمين مضطرون الى الدفاع عن عقيدتهم وعن وجودهم ، ولهذا تتابعت بين النبي وقريش موجات من الهجوم والدفاع .

وانه ليتبين لمن يمعن النظر المنصف ان النبي كان فى هذه الحروب مؤثرا للسلام على الخصام ، ويكفي ان نذكر بعضها على سبيل المثال .

1 ـ غزوة بدر .

كانت لقريش قوافل تجارية تتردد بين مكة والشام ، بلغت فى بعض الاحيان الفي بعير ، اذ كانت مكة المركز المختار لتجارة الجنوب القادمة من الهند والحبشة واليمن ولتجارة الشمال القادمة من الشام وما والاه .

واذا كان النبي لا يستطيع ان يحتبس الدعوة فى صدره ، ولا يطيق ان يعوقها معوق عن الذيوع والاستقرار ، فان قريشا لا تستطيع ان تكف عن رحلتها الى الشام ، ولا تطيق ان تقيم فى مكة بغير غد ورواح .

وقد كانت قريش منذ قاومت الدعوة ، ومنذ اضطرت النبي والمسلمين الى الهجرة فى حرب متصلة مع النبي ، لم يخفف من حدتها انه سالمها ما اتسع جهده للسلام .

فلم يكن بد للنبي من ان يرهب قريشا بقوته بعد ان عجزت وسائل السلم عن اجتذابها الى التفاهم والوئام ، فخرج الى القافلة القادمة من الشام ليرغم قريشا على ان تتخذ لقوافلها طريقا آخر ، حتى يطمئن المسلمون الى ان قريشا لن تفاجئهم بهجوم غادر ، او ليضطرها الى الكف عن مقاومته ، ويقرع اسماعها ، ويفتح عيونها ، لتوادعه موادعة تقيه وتقيها شرور العداوة المستمرة ، وتكفل له ان يدعو الى الاسلام ما وجد الى الدعوة سبيلا ، وتكفل لقريش امن طريقها الى الشام .

وذلك ان قريشا اذا ما ايقنت ان المسلمين بالمدينة يترصدون لها فى ثنايا الطريق المار بالقرب من بلدهم ، اضطرت الى مصالحتهم او موادعتهم ،

فكسبت اطمئنانها على مورد ثروتها ، واطمأن المسلمون الى سلامتهم والى نشر عقيدتهم بين الناس ، واستطاعوا ان يدخلوا مكة زوارا لاهليهم وحجاجا لبيت الله .

خرج النبي الى بدر ، وعلم رئيس القافلة ابو سفيان بخروجه ، فعدل عن الطريق المعتاد ، وسار الى ساحل البحر مسرعا ، فنجت القافلة ولكنه قبل أن يستوثق من نجاتها خشي ان يتعقبه المسلمون ، لانه يعلم انهم موتورون من قريش ، اذ عذبتهم وطردتهم من وطنهم ، واستولت على املاكهم واموالهم ، فبعث الى قريش يخبرها ان محمدا واصحابه تصدوا للقافلة، واراد مبعوثه ان يثير قريشا فقطع انف بعيره ، وشق قميصه ، وصاح ، فاستجابت له قريش ، وتجهزت للرحيل .

كانت القافلة قد نجت ، ولم يتعرض لها المسلمون بسوء ، وكان ابو سفيان قد وثق بنجاتها ، وخاف سوء العاقبة من صدام قريش والمسلمين ، فارسل الى قريش يقول :

انكم قد خرجتم لتحموا قافلتكم ورجالكم واموالكم ، ثم نجت ونجوا ، فارجعوا .

ووافقه على رأيه كثير منهم ، ولكن ابا جهل اصر على الا يرجعوا ، وصاح : والله لا نرجع حتى نرد بدرا ، فنقيم ثلاث ليال ننحر الجزر ونطعم الطعام ، ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا ابدا .

فلما سمعه القوم ترددوا بين الاقدام والرجوع، وخشوا ان يتهموا بالجبن اذا رجعوا ، فلم يرجع الا بنو زهرة ، وسار الباقون ليختاروا منزلا للقتال .

لقد كان المنطق السليم يوجب على قريش ان تستجيب لدعوة ابي سفيان فتعود الى مكة فرحة بأموالها التى نجت ، وبرجالها الذين سلموا .

لكنها قريش ، ابى عليها عداؤها لمحمد واصحابه الا أن تشتبك معهم فى حرب حيث لا مجال لحرب او صدام .

وما زال النبي حريصا على حقن الدماء ، فأوصى المسلمين الا يقاتلوا حتى يأذن لهم ، واوصاهم الا يقتلوا اناسا سماهم لهم ، لانهم اخرجوا مع قريش كرها ، ولو انهم خيروا لآثروا البقاء .

ثم لم يكن بد من القتال ، فقاتل النبي مضطرا ، ليحمي دينه ونفسه واتباعه ، وشاء الله ان ينتصر المسلمون ، وان تكون غزوة بدر بشيرا للمسلمين ونذيرا للكفار « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله » .

2 ـ غزوة أحد .

لم يكد يمضي على موقعة بدر عام وبعض عام حتى استنفرت قريش العرب ، وزحف على المدينة جيش ضخم ، ايثار من المسلمين ، وسخا اغنياؤهم بالمال لتجهيز المحاربين ، « ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ، ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون » .

فماذا يفعل النبي ؟

اليس مضطرا الى الدفاع عن المدينة وعن مسلميها ؟ ان الاعداء يهاجمونها ليقضوا على المجتمع المثالي الذى بها ، فليس لديه الا عمل واحد يجب عليه ان يسارع الى القيام به ، وهو الدفاع .

وقد انتصر المسلمون فى اول الموقعة ، ولكن الرماة خالفوا امر الرسول فانهزموا .

على ان انتصار قريش لم يشف حنقها وحنق حلفائها ، فتوعدت النبي بحرب اخرى ، بل فكرت فى ان تكر على المدينة عقب النصر ، لولا ان النبي اوهمهم انه جمع جموعه ليتعقبهم ، فخشوا ان يسترد النصر ، فاتجهوا الى مكة سراعا .

3 ـ غزوة الخندق .

حرض اليهود قريشا وغيرها من القبائل على محاربة النبي ثم تجمع الحلفاء من القبائل العربية ومن اليهود ليقضوا على النبي ، وليضربوا المدينة الضربة القاضية .

فلما علم المسلمون تحصنوا بمدينتهم ، واكتفوا بأن حفروا حولها خندقا يعوق المهاجمين عن دخولها ، ولم يبادئوا احدا بقتال .

ومكث الحصار شهرا ، كانت فيه قريش وغيرها يتحرشون بالمسلمين ، ويستفزونهم .

ثم يئست الاحزاب من دخول المدينة ، وانقسموا على انفسهم ، فرجعوا بغير قتال ، فضلا

من الله على المسلمين ونعمة «يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود ، فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيرا . اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم ، واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » .

4 ـ صلح الحديبية .

خرج رسول الله فى جماعة من المسلمين سنة ست من الهجرة ، ليعتمر ، وليعلم العرب جميعا ان الاسلام يجل البيت الحرام اكثر مما يجلونه ، ويبقى على الصحيح من الشعائر التى يمارسونها ، فيكسب الاسلام عطف بعض خصومه ، ويمحوا ما الصقته به الدعاية المغرضة الحاقدة .

ومن الذى يحول بين المسلمين والبيت الحرام ؟

انه بيت العرب جميعا ، بل ان حق المسلمين فيه اعظم ، فليس لقريش ان تصد عنه فريقا من ابنائها شرح الله صدورهم للاسلام ، ما دام هذا الفريق لا يبغي بقريش اي عدوان ، ولا يستذلها فى الوصول الى البيت الحرام .

ولقد اجتهد النبي فى ان يمحو ما قد يتسرب الى نفوس قريش من سوء الظن ، فاعلمهم منذ خروجه انه خرج معتمرا يريد السلام لا الخصام ، وانه لايبتغي الا ان يزور البيت الحرام . ثم حقق فعله قوله ، فخرج هو واصحابه لايحملون من السلاح الا مايحمل المسافر، وساقوا الهدى امامهم الى فقراء مكة .

لكن قريشا الضالة الحاقدة لم تشا ان تسالم من سالمها ، ولم ترد ان تترك للمسلمين الحرية فى زيارة بيت الله ، فعبأت قواها لحرب النبي .

وكان تدبيرها الى الحرب ان ارسلت مائتي فارس طليعة لها ، ليصدوا المسلمين عند عسفان ، فلما علم النبي بهذا قال : ياويح قريش ، لقد اكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين العرب ؟ فان هم اصابوني كان ذلك الذى ارادوا ، وان اظهرني الله عليهم دخلوا الاسلام وافرين ، وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش ، فوالله لا ازال اجاهد على الذى بعثني الله به حتى يظهر ذلك او تنفرد هذه السالفة .

وحرص النبي على السلام ، فامر اصحابه ان يعدلوا عن طريق فرسان قريش حتى لا يلتحموا بهم ، فساروا الى ان بلغوا الحديبية ، فنزلوا بها .

وحينئذ كرر النبي رغبته فى حقن الدماء بقوله : والذى نفس محمد بيده لا تدعوني قريش الى خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها .

ثم سفر الرسل بينه وبين قريش ، ونقلوا عنه انه لا يريد زيارة البيت ، وانه يؤثر ان تكون بينه وبين قريش هدنة لا حرب فيها ، ولكن قريشا رفضت وسخرت من بعض السفراء .

لم ييأس النبي من المسالمة ، فبعث سفيرا رابعا هو عثمان بن عفان ، فأبت قريش ان تجيبه الى ما عرض عليها من سلام ، واشتطت فى حنقها فحبسته عندها ، وهي تعلم ان النبي لم يحتجز سفيرا من سفرائها الذين اوفدتهم اليه .

وفى هذا الوقت ارسلت قريش خمسين رجلا ليطوفوا بالمسلمين ، لعلهم ان يصيبوا منهم غرة ، فلما رموا بالنبل والحجارة فى معسكر المسلمين اسرهم الحراس ، وجاءوا بهم الى رسول الله ، فعفا عنهم ، وخلى سبيلهم .

وبهذا كله اعلن النبي مرات بقوله وعمله انه مؤثر للسلام ، وسرعان ما ذاع بين المسلمين ان عثمان قد قتل ، فلم يجد النبي بدا من الاستعداد لمحاربة قريش ، بعد ان يئس من مسالمتها ، ويئس من جدوى التسامح معها ، فكانت بيعة الرضوان .

فلما علمت قريش ان المسلمين قد اعتزموا على الحرب لانت بعض اللين ، وارسلت بشروطها للموادعة ، وهي شروط متعسفة تظهر للمسلمين فى مظهر الضعف والانهزام .

ومع هذا قبلها النبي ، فدهش بعض الصحابة من قبوله ، وعجبوا من ان يرد المسلمون الى قريش من جاءهم مسلما ، والا ترد قريش الى المسلمين من جاءها من المسلمين .

لكن النبي كان ابعد نظرا ، لان الذين حجزتهم قريش بمكة فروا ، فتجمعوا حول رجل منهم ، وكان عددهم نحو سبعين رجلا ، وتربصوا بقريش بالعيص، وقطعوا طريقها الى الشام ، فلم يظفروا باحد منها الا قتلوه ، ولم تمر بهم عير الا سلبوها ، فطلبت قريش من النبي ان يلغي هذا الشرط ، واستحلفته ان يضم اليه هؤلاء ، لأنها لا حاجة لها بهم ، فآواهم رسول الله .

5 ـ فتــح مكـة

لم تقنع قريش بما فى صلح الحديبية من سماحة النبي وايثاره السلام، فنقضت العهد بعد سنتين . اذ ساعدت حلفاءها من بني بكر بن عبد مناة من كنانة على حلفاء النبي من خزاعة ، مع انها فى شروط الصلح تعاهدت على ان العرب أحرار فى انضمامهم الى النبي او الى قريش .

وتمثلت مساعدتها لبني بكر فيما قدمت اليهم من سلاح ومن رجال .

فارسلت خزاعة الى النبي تخبره وتستنجد به، وفاء بمحالفته لها، كما ساعدت قريش حلفاءها غادرة.

حينئذ كان النبي مضطرا الى مناصرة حلفائه ، وفاء بالعهد ، وانتصافا للمظلوم ، وصيانة لكرامة المسلمين ، وانجازا لوعدهم ، فتجهز النبي لفتح مكة سنة ثمان ، ومضى فافتتحها سلما لا عنوة ؛ اذ كان كثير من زعمائها قد اسلموا من قبل كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، واسلم ابو سفيان زعيم المشركين والمسلمون على مشارف مكة .

وفى هذا اليوم قال سعد بن عبادة احد قواد جيش الرسول وحامل راية الانصار : يا ابا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، يريد ان من اهدر دمه سيقتل ولو تعلق باستار الكعبة ، وسيمحو المسلمون الاصنام والصور التى تزعم قريش انها تعظيم للكعبة .

فنقل ذلك الى رسول الله ، فقال لعلي بن ابي طالب : ادرك سعدا ، فخذ الراية منه ، فكن انت الداخل بها .

وروي ان ابا سفيان قال للنبي لما حاذاه : امرت بقتل قومك ؟ قال : لا ، فذكر له ما قاله سعد ، ثم ناشده الله تعالى والرحم ، فقال النبي : اليوم يوم المرحمة : اليوم يعز الله قريشا . وارسل الى سعد فاخذ الراية منه ، فدفعها الى ابنه قيس .

وقد كان المشركون يتخوفون أن يتكل النبي بهم ، وان يثأر منهم ، لكنه لم يفعل بل عفا عنهم ، وهو قادر عليهم .

6 ـ الم يكن النبي فى علاقته بقريش مؤثرا للسلام ما وسعه الايثار ؟

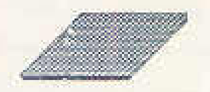
الم يكن داعية الى السلام ما وجد سبيلا الى الدعوة ؟ بلى .

فان لم يجد بدا من الحرب عمد الى تخفيف ويلاتها ، وتقصير ايامها ، وتقليل ضحاياها ، وذلك بان يعبيء جنوده ويذكي حماستهم ليتقدموا وامامهم هدفان اثنان : النصر او الاستشهاد ، ثم يفاجيء اعداءه ، ويبادرهم بالهجوم ، مجتهدا فى اخفاء خطته، وفي التهويل من قوته ، ليملأ الرعب من جيشه نفوس اعدائه فلا يثبتون طويلا امامه ، فيواتيه النصر الذي اراد .

هكذا كانت حروب النبي مع قريش ومع اليهود ، وهكذا كانت حروب الخلفاء الراشدين حروب اضطرار ودفاع ليس فيها استعلاء ولا عدوان .

البحث موصول

القاهرة : أحمد الحوفي





نظرة عن الثقافة الإسلامية *

انحطاط أم تخلف..

للعميد محمد عزيز الحبابي

ان النظرية التركيبية التى وضعها الاسلام ، وبعض المفكرين المسلمين (امثال الفارابي) ، والتى كانت متمرة لاتجاهها الشخصاني ولالتصاقها بالواقع ، سرعان ما وهنت وتآكلها الزمن ، ففقدت حيويتها . حقا، لقد نجحت فى تجسيد فترة معينة من التاريخ ، ولكنها اخفقت فى ان تكون حركة تاليفية منسجمة تجاري سير التاريخ المستمر . انه تخلف تعاقبت عليه قرون عديدة ، دون ان يتغلب عليه، بل نراه يزداد يوما بعد يوم .

كل فترة من التاريخ تنطوي على عنصرين : معرفة مكتسبة ، ومعرفة منشودة، مستهدفة . وهذان النوعان من المعرفة يتفاعلان ويتكاملان باستمرار . وعلى هذا النحو ، يسير العلم وتتجدد الثقافات . بيد ان الثقافة الاسلامية شهدت ، فى القرن السابع الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، انفصالا بين هذين النوعين من المعرفة . ومنذ ذلك الحين ، اخذت لا تستمد رمقها الا مما هو مكتسب ، اي من العرف والتقاليد، وقد امست العادات من المسلمات التى يومن بها الجميع ، دون أن تكون موضوع تمحيص من اي واحد . فنحن ، اذن ، امام ثقافة لم تمت ، ولكنها اصيبت بشلل ، من جراء التقليد ، فوقفت عن المسير والنمو . فيمكننا ان نصفها بالتوقف لا بالانحطاط ، لان التاخر او البطء فى التطور ، لا يمكن اعتباره تخلفا اصليا ، ولا جمودا كليا .

الواقع ان هذه الظاهرة لا تنحصر فى الثقافة الاسلامية وحدها ، بل ان كل ثقافة ، اذا توقفت وانطوت على نفسها ، ظنا منها انها قد بلغت المرحلة النهائية من التطور ، لابد ان تضع نفسها فى عزلة تامة عن المجرى التمالي للعالم. وهل الثورة الاصلاحية ، فى المسيحية (البروتستانتية) ، والسلفية فى الاسلام ، الا محاولات للتجديد والانبعاث ، والخروج من العقلية المتحجرة ؟ قد اعلن البروتستانتيون انفصالهم عن الكنيسة الرومانية (التي يترأسها البابا) وذلك باسم العقل (وهو اشمل صفة يمتاز بها الجنس البشري) ، وباسم الرجوع الى الكتاب المقدس الذى اتى بدعوة شاملة موجهة للجميع ، بصرف النظر عن الحدود الجغرافية ، والاعتبارات القومية او العنصرية .

كذلك الامر بالنسبة لزعماء حركة الاصلاح الاسلامية العصرية . فقد سموا انفسهم ب « السلفيين » ، او دعاة السلفية (نسبة الى السلف الصالح) . ومن اول ما فعلته هذه الحركة الاصلاحية، تحرير الذهنية الاسلامية من نير « العادة » وسيطرة العرف الكسول على العقل الوثاب المجدد « المجتهد » . حاربت السلفية الخرافات ، والجمود ، ودعت الى العقلانية . فاخذ الاعتزال يستعيد ، تدريجيا ، مكانته المرموقة الطليعية ، كما دعت الى «فتح باب الاجتهاد»، اي انها الحث على العودة الى

(*) انتهى الاخ الحبابي من نشر مقالاته ، بهذه المجلة ، عن « الشخص فى الاسلام » (وقد صدرت اخيرا بالقاهرة ، فى كتاب ، عن دار المعارف تحت عنوان : « الشخصانية الاسلامية » . ويبدا اليوم سلسلة جديدة . فله الشكر .

العقـل ، والى الاسـلام فى صفائـه الاول ، ونبـذ « القشور » التى اضيفت الى الديـن ، على تـوالي العصور . فهدف السلفيين الاساسي هـو السعـي لاستدراك التاخر الحالي والرجوع الى الاصول الصرف الشاملة التي قام عليها الاسلام في بدايته ، فلا ريب ان هذا التاخر الناجم عن ظروف خاصة ، غريبة عن روح الاسلام ، قد حال دون نمو التجربـة العميقـة الشخصانيـة التـى خاضهـا الاسلام فى عصـره « البطولي » الذهبي .

* * *

يجد الباحث فى التاريخ ، بالاضافة الى السبب الملاصق ، سلسلة من الاسباب لشرح كل حدث هام، يسوغ لنا ان نؤكد ، ان الازمـة الناشئـة عن البـون الشاسع الذى يفرق بين العالم الاسلامي المعاصـر وثقافته ، يمكـن تعليلهـا ، على وجـه العمـوم ، بثلاث كوارث نكب الاسلام بها ، من غيـر ان يكـون مسببها المباشر :

اولا ــ زحفت شعوب اسيوية على معظم الاقطار الاسلامية ، على الرغم من كونها متخلفة كثيرا ، ثقافة وحضارة . ففى الشرق الاسلامي ، ظهـرت بـوادر تصدع الكيان الحضاري فى القرن السابع الهجـري (القرن الرابع عشر للمسيح) عندما سقطت بغـداد فى حوزة المغول (1) .

وبعد مرور قرن واحد ، اخذ التفكير الخـلاق يخفت فى المغرب ، حيث تعاقبت عليه ثلاث غارات احتلالية :

ا ــ اجتاح الاسبانيون (على شاطـيء البحـر الابيض المتوسط) مدينة سبتة ، عام 1415 ، وطنجة، عام 1471 ، ومليليا ، عام 1491 .

ب ــ تلا هذه الحملة الاحتلال البرتغالي لشواطيء المحيط الاطلسي (ما بين 1461 و 1515) .

ج ــ احتلال الاتراك لافريقيـا الشماليـة حيث اخضعوا لسلطانهم ما يعرف اليوم بتونس وبالجزائر ، حتى تلمسان ونواحيها ، اي قـرب حـدود المغـرب الشرقية .

هكذا قضي نهائيا ، على الامبراطورية العباسية، واغتصبتها الاوليغارشية العسكرية العثمانية وجنودها التـي حلت محـل الاطر المثقفـة كما ان المغرب حرم من ثغوره البحرية ، غربا وشمالا ، واذا بالمسلمين يتكمشون على انفسهم انكماشـا قويا ، دفاعـا عـن كيانهم ، وصيانة لبقائهم . ولكن غريزة البقاء ما عتمت ان استحالت الى عادة رتيبة ، واصبحت تقليدا محافظا عقيما ... كل هذه الازمات الخطيرة زعزعت العالم الاسلامي ، وخنقته اقتصاديا ، فاتجه فى سبل اودت بمصادره وينابيعه الثقافية ، وتغلبت النزعة الصوفية وعبادة الاولياء على التيار العقلاني ، واوصد « بـاب الاجتهاد » .

ثانيـا ــ بعد اكتشاف امريكـا بـدا المحيـط الاطلسي يلعب الدور الاول فى المبادلات الاقتصاديـة والتنقلات البشرية ، مما افقد حوض البحر الابيض المتوسط المكانة الاولى التي تمتع بهـا ، زمنا طويلا ، فى تاريخ الحضارة والعمل على تواصـل الثقافـات وتكاملـهـا .

لقد كان هذا البحر من اهم طرق انتشار الاسلام ومحور اشعاع الثقافة الاسلامية . فنتج عن تقهقـر مكانة هذا البحر تضعضع فى تلك الثقافـة . وكان لابد، والحالة هذه ، ان يتجمد التعليـم ويتحجـر ، فينحصر فى حفظ الاحاديث والقرءان ، حفظا حرفيا، دون اعتناء بالتفسير والتأويـل ، كما كانت تحفـظ المؤلفات الفقهية والفلسفيـة عن ظهـر قلب . امـا «الشعر» فقد انحصر فى الحكميات والاراجيـز ، والمدح، والهجاء ، فى حين تحول « النثر » الى صناعة لفظية منمقة مسجعة (ادب المقامات) . وبالاجمال ، قد قتلت الحرفية الجامدة الروح الخافقة الخلاقة ، فى مختلف الميادين .

ثالثا ــ بالاضافة الى تحـول محـور التبـادل الاقتصـادي الـذى ذكرنـاه (مـن المتوسـط الى الاطلسـي) لابد من ذكر عامل آخر ، بالغ الاهمية ، وهو ما اوجزه السيد (ماتيو) بقوله (2) : « ان تاخـر البلدان الاسلامية عن الغرب ، فى ميـداني الاقتصـاد والتقنيات ، يعود ، فى معظمه ، الى حركة الملاحـة المنشطة والقرصنة فى البلدان المسيحية . وهـذه الحركة ، اذا تعمقنا فى دراستها واحصائها ، اتاحت

---

(1) دخلت جيوش (هولاكو) بغداد ، المرة الاولى ، سنة 656 هـ / 1258 م.

(2) J. Mathieux, « Trafic et reprise d'hommes » (in Annales, n° 2, 1954, p. 157)

لنا ن ندرك انها قامت بدور المكبح ، او بالاحرى الحائل الذى عاق نمو نشاط الاسلام فى حوض البحر المتوسط ، (خصوصا فيما بين القرن الرابع عشر والقرن التاسع عشر) » (3) .

* * *

انحطاط الشعوب ، كسائر الكوارث ، من الامور العسيرة التحديد، فكل ما نستطيع فعله هو ان نلاحظ ونصف ونحلل مظاهر الانحطاط ، مع اعترافنا بانه يستحيل تقديم شرح كامل لمجموع اسبابه . وقد شهد العالم الاسلامي ، فى مختلف العصور مصلحين من ذوي النزعة السلفية قاموا بمحاولات ، طورا موفقة ، وتارة فاشلة ، لمعالجة ازمة الوقوف والجمود . ففى العصر الحديث ، بشمال افريقيا ، حاولت جمعية علماء الجزائر ، بزعامة المرحوم الامام عبد الحميد ابن باديس ، والامام البشير الابراهيمي ، اصلاحا دينيا وانعاشا للثقافة العربية الاسلامية . اما بالمغرب ، فقد كان للسلفية اثر ملحوظ ، خلال السنوات الخمسين الماضية ، بفضل « مدرسة ابن العربي ». فمحمد ابن العربي العلوي من الشخصيات البارزة ، فى الصعيدين السياسي والديني ، على السواء . انه دائما يفضل ، على الدعوة الكتابية ، طريق الحوار ، شانه فى ذلك شان الحكماء القدماء ، يحاور فى دروسه ومحاضراته ، وفى الندوات الخاصة ، كما يفضل ان يجسم مبادىء الاسلام المتحررة فى حياته اليومية ومعاملاته (الدعوة بالقول والعمل) : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » (قرءان : 16، 125) . هذه الآية هي شعار ابن العربي . واحيانا يضطر الى استعمال طريقة السخرية فى الحوار ، مثله فى ذلك مثل سقراط وغيره من المصلحين . اشتهر ابن العربي بمقدرته التهكمية النادرة ، وبسعة معارفه . وهو كثيرا ما يلجا الى الاسلوب التهكمي الذى يمتاز، ايضا، بترفعه وصبغته الاقتناعية والمقنعة . اما تلامذته الذين اقتفوا اثره ، فهم كثر ، نخص بالذكر اشهرهم، وهم الاساتذة علال الفاسي وابراهيم الكتاني وعبد العزيز بن ادريس . ان للاستاذ علال الفاسي اتجاها اصلاحيا . تتجلى اسس تفكيره ، على الخصوص فى كتابه **«النقد الذاتي»** (4) . انه جهد للتعمق فى اسرار الاسلام ، ليتسنى له ان يصمد فى وجه كل من الراسمالية والشيوعية : يحاول علال ، كما ذكر ذلك فى مقدمة مؤلفه ، ان ينظر الى الاسلام نظرة جديدة مستمدة من الواقع المعاصر .

* * *

وعلى الرغم من جميع المحاولات التى بذلها المصلحون ، من الحركة الوهابية فى الحجاز ، الى حركة المنار فى مصر ، وجمعية الاخوان المسلمين مؤخرا ، الى جمعية علماء الجزائر ، ومدرسة ابن العربي وعلال الفاسي فى المغرب ، فان النتائج كانت دون ما يتوخاه المصلحون السلفيون . اما السبب فى هذا الفشل الجزئي ، فيقتضي بحثا منفردا خاصا يتعذر هنا الخوض فيه.

هذا الفشل الجزئي الذى منيت به حركات الاصلاح والبعث الروحي والفكري ، لا نجده فى الشرق فحسب ، بل فى الغرب ، ايضا ، حيث ادخلت الثورة الصناعية عوامل جديدة ، وقلبت الاوضاع راسا على عقب . وقد خبر ذلك واعترف به رجال السياسة ورجال العلم ، وكذلك الفلاسفة والمصلحون الدينيون . ومما زاد فى لوعة هذا النقص شدة وعمقا ، هو اقتناع الناس بأن العوائق التى كانت مستعصية فى القرون الغابرة ، ينبغي ان تضمحل فى عصرنا ، نظرا للتقدم الذى حققه الانسان فى العلوم الطبيعية والفنون التطبيقية ، وكذلك فى العلوم البشرية ، لاسيما وان هذا التقدم افسح امام الانسان مجالات جديدة ، وخوله مقدرة لم يكن ليحلم بها فيما سبق . لكن ، مع الاسف الشديد ، يتضح ، يوما بعد يوم ، ان المعرفة ، وان كان لابد منها لاستقامة الاخلاق، لا تكفي لضمان حياة طبقا للاخلاق. فالمعرفة شرط اساسي ، ولكنه شرط لا يكفي وحده .

* * *

اذا راقبنا تصرف الانسان، فى الحياة العملية، وجدنا هوة عميقة بين نشاطه الخلقي ومعارفه . فكثيرا ما نرى الرجل «الصالح» او «الخير» يتخبط فى غياهب الجهل النظري والعملي ، ناقصا من الناحية

(3) نذكر هنا ان القراصنة كانوا مسلحين من طرف هيآت خاصة ، واحيانا من طرف الدول الاوربية .
(4) القاهرة 1952 .

الفكرية والعقلية. وبعكس ذلك ، نرى « المفكر » او « العالم » فى سلوكه خلوا من القيم الاخلاقيـة . ان صاحب الضمير الحي ، وان توفرت لديه افضل النوايا، قد يقع في اخطاء خطيرة لعدم فهمه المعايير والقيم . كما ان كثيرا من رجال الفكر والعلم لا يتورعون عـن ارتكاب الجرائم ، كل يوم ... فلابـد من مسـتـوى ثقافي أدنى لكل واحد منا كيما يستنير فى افعالـه (ما دام الضمير وحده لا يكفي) . فالثقافة ، اذن ، حق يتحتـم اعطـاؤه لكـل الاشخـاص لاستكمال انسانيتهم ، فواجبهم ان يعملوا للحصول عليه ، وواجب الحكومات ان توفر ، لكل واحد ، الوسـائـل اللازمـة لتحقيق ذلك « الحق ـ الواجب » . لقـد صـدق (افلاطون) عندما قـال فى (الجمهوريـة الكتـاب السابع ، 518 ، ج) : « فى قرارة نفس كل انسان ، طاقة للمعرفة وعضو خاص بتحصيلها » .

* * *

بما ان جميع اعمالنا تحدث فى بيئة مجتمعيـة ذات أبعاد ثلاثة ، روحية وفكريـة وماديـة ، فان من واجب كل حضارة حقيقية ان تركز الاخلاق على ثقافة شاملة ، وان تبني الثقافة على اسس اخلاقية متينة . بهذه الحركة المزدوجة ، يمكن تحقيق حضارة كاملـة تمتـاز بروحهـا النضاليـة الشاملـة . قد يسوغ لنا ان نعتبر الاتجاه الشخصاني بمثابة مرحلة اعدادية تمهد ، اليوم ، الطرق « لحضارة الغد » . ذلـك ان غاية الحضارة الشخصانية هي ان لا يحصل فصل بين الهيام بالحقيقة والشغف بالعدالة ، كي يتكون رجال يجمعون بدورهم ، وفى ذواتهم ، بين صفات **المعرفة** وصفات النضال . ان الثقافة ، اية ثقافـة ، **يجب ان** تكون دائما ثقافا وثيقا ضد الظلم ، ضد الشر **والقبح**، مما يجعل العلم والفن والتقنيات تستهدف **الترقيـة** الانسانية .

* * *

فاذا البشرية لم تجعل من ثقافاتها ميادين خصبة للاهداف الشاملة (حيث المبـادىء والقيـم تتجاوز القوميات والحدود الاقليمية) يستحيل **عليها** ان تؤسس الحضارة فى معناها الكامل، والشخصانية بمفهومها الصحيح ، بل ستقتصر على **مجتمع القـوة** والخداع والزور الذى الفناه ، والذى وصفه **الشاعر** محمد اقبال ، فى قصيدة ، منها (5) :

« لقد طلى الانسان فكره باصباغ الثقافة ،
ليظهر وجهه الاسود ناصعـا كالثلـج ،
والبس قبضته الحديدية قفازا من المخمل ،
وسحر الناس ببيان قلمه ،
بينما كان يشهر السيف من غمده !
هكذا اقام ذلك المرائي هيكلا للسـلام ،
ورقص حوله على لحن العود وانغامه .
غير اني اكتشفته ، عندما الحرب ازاحت **النقاب**
عـن وجهـه ،
فظهر لي على حقيقتـه :
انه « سفاك دماء » (6) و « عدو لدود » (7).

الرباط : محمد عزيز الحبابـي

---

(5) عربناه عن الترجمة الفرنسيـة للنص الفارسي :
ترجمـة « Message d'Orient », E. Meyerovitch et M. Achena ، باريز ، 1956 ، ط . 133 .
(6) القرآن (6 ـ 30)
(7) القرآن (16 ـ 30) و (26 ـ 77) .



ما زلنا نعيش ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرءان الكريم . واربعة عشر قرنا ليست بالمدة اليسيرة ولا بالزمن القليل .. ومع ذلك فقد بقي القرءان – وسيبقى بحول الله – هو الوحي المنزل من الله ، وكما انزل ، وكانه انزل اليوم ، وسيظل كذلك الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، وهو خير الوارثين ..

وستمر القرون ، كما مرت ، والقرآن الكريم يجلى مشاكل البشرية فى كل عصر ، ويضع لها الحلول الناجعة . ذلك لان هذا القرآن هو كتاب الخلود .. « لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » .

نزل هذا القرءان لتردده السنة المومنين ، ويتلى حفظا وقراءة وكتابة ، ويبقى عربي اللسان بين اصحاب اللغات بمختلف انواعها . فاذا كان «كتاب» المسلمين الخالد اثبت رسوخا من الجبال ، واقوى ثباتا ودواما من الشمس ، فهو يدعونا الى اتخاذ كل الاسباب للتطور ، ومواكبة الركب العام ، لانه كتاب الاسلام العام الذى يدعو الى السلام والمحبة والعدل ، ويدعو الى التاخي بين مختلف الاجناس والثقافات والالوان ، ولست هنا بصدد بسط مزايا كتابنا المطهر ، وما يحويه من التعاليم والتوجيهات النيرة السامية ، فهذه المجلة القراء لا يخلو عدد من اعدادها مما ذكرت ، وهي المجلة التى ءالت على نفسها ان تخدم الثقافة الاسلامية الجامعة .. من هذا القرءان المقدس ، وهي سائرة – بعون الله – وجهود المسؤولين عنها فى اداء رسالتها الكبرى مشكورة .. وانما اردت ان القي بعض الاضواء على اهتمام المغاربة بكتابهم المقدس والجهود التى تبذل لاعادة احياء الكتاتيب القرءانية ودور « رابطة المجودين » ، ونحن نعيش الذكرى العزيزة الغالية على قلب كل مسلم ، ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرءان .

فالمعروف عن المغاربة انهم كانوا – ولا يزالون – يهتمون بحفظ القرءان اهتماما بليغا . وليس من الصعب علينا ان نحدد ذلك اليوم الذى تعلم المغاربة فيه القرآن . فالاسلام يحمل معه تلاوة الكتاب المقدس اينما حل .

ففي الوقت الذى ورد فيه المسلمون فاتحين المغرب فى عهد عبد الله بن ابي سرح ، وانتصر على الرومان فى معركة « سبيطلة » عرف المسلمون المغاربة سور القرءان التى تردد فى الصلاة والعبادة . ونحن نعلم الخليفة الاموي الذى بعث الى المغرب القراء ليفقهوا المغاربة فى امر دينهم ، كما نعلم ان «هرثمة ابن اعين » اسس رباطات شمال افريقيا .. وكانت هذه الرباطات عبارة عن مدارس لدراسة القرءان الكريم ، وحفظه ووعي لدعوته .

والواقع ان المغاربة تهافتوا على القرءان الكريم ، ووجدوا فيه ضالتهم المنشودة ووحدتهم يقرؤونه ما وسعتهم القراءة ، ويتلونه وما وجدوا الى ذلك سبيلا ،

وكانوا – ولا يزالون – يؤدونه بطريقة « ورش » ثم تجاوزوها الى مختلف الاداءات حبا منهم فى حذق تلاوته بطرق عديدة واشتغلوا بتجويده ، واشتهر فى ذلك كتاب العاصمية والشاطبية ؛ والف المغاربة المئات من المؤلفات فى التجويد والقراءات . وقلما نجد مؤلفا مغربيا لم يكتب فى موضوع التجويد والقراءات .. الشيء الذى جعل الدكتور الاهواني يقول – وهو صادق فى قوله حين قال : « ان المغاربة سيطروا فى هذا الفن سيطرة تامة » .

واذا عرفنا أساليب التعليم القرآني – كما يرويها الامام سحنون وابن العربي ، وابن خلدون ؛ عرفنا مدى العناية بالقرءان الكريم .. فقد تعود المغاربة ان يلحقوا اطفالهم بالكتاتيب القرءانية فى سن مبكرة جدا .. فقد تبدأ من الرابعة سواء كانوا اطفالا او كانوا طفلات ويبدأون بتعليمهم سور القرءان القصيرة يحفظونها عن ظهر قلب ، حتى اذا ما بلغوا سن الثانية عشرة كنت تجد الكثير منهم يحذق القرءان باجمعه .

ثم يعلمونهم فى نفس الوقت فن التجويد ، ومخارج الحروف وعددها فى القرءان من عناية خاصة بالفاظ معينة ينظمون في ذلك ابياتا يسمونها « النصوص » ، وقد بالغوا فى ذلك مما ادى بابن العربي ان ينتقد طريق تعليم القرءان فى المغرب كما انتقدها معه ابن خلدون من بعده . ولست هنا بصدد مناقشة هؤلاء ، او محاولة ابراز التفاضل بين الطريقة الشرقية والطريقة المغربية ، وانما احاول هنا اثبات عناية المغاربة بالقرءان واهتمامهم بحفظه وتلاوته ، والى عصور متأخرة ؛ والقرءان يدرس فى الكتاتيب القرءانية . وينهي الطفل حفظه بحفلة كبرى تقام بالكتاب وبمنزل الطفل . وكانوا فى الكتاب يكتبون القرءان بمادة الصمغ السوداء على الواح خشبية مطلية بالصلصال ، وكان من عادة المغاربة والاندلسيين أن يرسموا على هذه اللوحة – يوم ختم القرءان – دوائر هندسية ، وتخطيطات منسجمة ويملأون سطحها بآيات قرءانية فى حروف مجوهرة اندلسية وكوفية شرقية ، ومبسوط مغربي .. فتكون اللوحة آية فى التناسق الهندسي .. ولا شك انهم بذلك كانوا يعلمون الاطفال مبادىء الهندسة ايضا ..

جلالة الحسن الثاني واهتمامه باحياء التراث الاسلامي

ان جلالة الحسن الثاني لا يفتأ يواصل أعماله وجهوده ومآثره فى سبيل هذا الدين القيم ، والحفاظ على مقدساته وتربية الاجيال الصاعدة على التخلق باخلاقه سواء بالتوجيه الاسلامي الذى جعل جلالته من سنة الدروس الدينية الرمضانية منطلقا لتوعية المسلمين بأمور دينهم ودنياهم وخاصة منهم تلك الاجيال الصاعدة .. وقد حرص أمير المومنين على ان يساهم بنفسه فى هذه الدروس ضاربا بذلك المثل الحسن فى عمق الفهم والدراسة للدين الى جانب عمق الفهم ، وسعة الاطلاع ، وسداد التجربة فى شؤون الحياة ، ومختلف الوان العلم والمعرفة .

ونجد جلالته – حفظه الله – فى ميدان العمل، والحث على التخلق بالاخلاق الاسلامية الكريمة – يقدم للاجيال مصحفا كريما طبع باسم جلالته ، وقدمه للمواطنين فى افضل الشهور وهو شهر رمضان الاكرم ؛ كحلقة من سلسلة اعمال جلالة الحسن الثاني فى سبيل الاسلام والمسلمين ، وامتدادا للسنين الحسنة التى داب عليها الملوك العلويون المقدسون عناية منهم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

الكتاتيب القرءانية فى عهد الحسن الثاني

لقد شعر شبابنا كما شعر غيرهم فى العالم العربي والاسلامي بل وفى العالم المعاصر بالاغتراب والفراغ والسأم .. واندفع فى حيرة وقلق الى اعتناق مذاهب زادته اغترابا وسأما .. الا أن المصلحين لم يهتدوا الى ان اصل الاغتراب والقلق هو انعدام الثقافة الروحية ، وفقدان القاعدة التربوية ، هذه القاعدة التى يبنى عليها هيكل الثقافة والعلم .. فجاء جلالة الحسن الثاني ليعالج هذه الظاهرة بمهارته وحنكته وتحليله الموضوعي .. ولا شك ان جلالته – وهو الذى طبعه والده المقدس بالطابع الديني والاخلاقي – اراد ان يأخذ التجربة من نفسه وشخصه الكريم .. فنادى – اعزه الله – بوجوب فتح المدرسة القرءانية من جديد – وهو بذلك لا يعني ان يعيد التاريخ نفسه فى طريقة شكلية – وانما يريد ان يضفي على البعث تجديدا فى الخلق وتطويرا فى العمل .. اقتناعا من جلالته ان المدرسة القرءانية هي المعين الاول الذى يغذي الناشئة ، وفى رحاب

الكتاب القرءاني تتلقى ناشئتنا المباديء الاولى لتعاليم الدين الحنيف والوطنية الصادقة لتستطيع أن تكون جيلا جديدا ، قوي الايمان ، واثقا بربـه ، معتمـدا على نفسـه .

والتربية الاولى هي اساس كل تعليم وتثقيف لانها التربية التى تستقبل الغرس ، ولكونها تصادف قلبا خاليا فتتمكن ، وعلى أساسها تزرع الثقافة التى نريدها متجددة متطورة تساير الركب الحضاري بل تكون فى طليعته واثقة من نفسها غير محتشمة ولا شاعرة بمركب نقص لا تذوب فى غيرها ولا تنمحي ، وانما تتفتح لتعي الحاضر والمستقبل وتقوى على الركض فى ميدان السباق والعمل ..

وهكذا امر جلالتـه بان يوضع لهـذه الكتاتيب القرءانية برنامج تربوي يراعى فيه تنشئة الاطفال الصغار على مبادىء الدين الحنيف ، وحفظ ما تيسر من ءايات الذكر الحكيم ، وتلقين المعلومات الاولية باللغة العربية ، وانتداب مدربات رياضيات من وزارة الشبيبة والرياضة لاطفال هذه المدارس ، وخلق جو من النشاط والمرح لهم حتى يقبلوا عليها بكل رغبة وشوق .. والهدف من ذلك هو ان يتربى اولادنا من أول نشأتهم على العقيدة الاسلامية والتقاليد القومية، وان لا يسبق الى اذهانهم فى طفولتهم ما ينافي الفطرة السليمة ، والتعاليم الدينية السمحة .

ولا شك ان صاحب الجلالة يقصد من وراء انشاء هذه الكتاتيب ان تعوض الفراغ الذى كان يملاه الاجانب والبعثات التابعة لهم بما يفتتحون من دور للحضانة ، ورياض للاطفال التى تلقن صغارنا اللغة الاجنبية والتقاليد غير القومية ان لم تقل العقيدة غير الاسلامية ..

وهذا ما تفسره الفقرات الآتية التى ادلى بها امير المؤمنين حفظه الله ضمن خطابه السامي فى عملية تدشين الكتاتيب القرءانية قال جلالته :

« عملية الكتاتيب ترمي الى اهداف متعددة ، ترمي اولا الى التخفيف عن الاسرة من مشاكل الطفل مدة سنتين وترمي ثانيا الى ربح سنتين بالنسبة للتعليم الابتدائي اي ربح القراءة والكتابة ، ومن شأنها كذلك ان توفر على خزينة الدولة سنتين فى التعليم الابتدائي لتعليم الحروف الهجائية ، واخيرا **ستخفف على الشرطة اعباء محاربة تكوين اطر اللصوص ، واسافل الناس الذين لا اصل لهم ،** ويرتكبون اعمالا دنيئة ، وعمرهم لا يتجاوز خمس او ست سنوات ... وبالاضافة الى ذلك لما يصل ابناؤنا الى سن الخمس سنوات تدخلهم لبعض المدارس الاجنبية اذ يقع تسابق وتزاحم على ابواب تلك المدارس الاجنبية . **ونتيجة لدخول الابناء الى هذه المدارس تصبح اللغة الفرنسية لغة حديثهم فى المنزل مع آبائهم ، بل عوضا من ان يتغنوا باغانيهم العربية والشعبية يتغنوا باغاني اجنبية .. وهذا شيء مزر لا اقبله انا بصفتي وطنيا » .**

لقد كان خطاب جلالة الملك ، وهو يعلن عن تدشين حملة الكتاتيب القرءانية ، توجيها محكما ، ومرءاة صافية وصادقة للمستقبل الذى نراه قريبا مشرقا اذا احكمت تعاليم جلالته السامية ..

القراءة القرآنية في المغرب ، وفضل القراءة ..

يقول الله تبارك وتعالى : « ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله ، انه غفور شكور » . وفى هذه الآية اشادة بالتالين لكتاب الله تعالى ، وبيان لعظيم اجرهم وكريم جزائهم .. وما من شك فى ان المراد بالتلاوة ليس مجرد المرور بالكلمات وترديدها على الافواه من غير فكر ولا روية ، وانما المراد التلاوة التى يصحبها التمعن والتدبر الذى ينشأ عنه الادراك والتأثر ..

ولا شك ان التأثر يفضي بالقاريء لا محالة الى العمل بمقتضى قراءته .

عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله اوصني . قال : « عليك بتقوى الله تعالى ، فانها راس الامر كله » . قلت يا رسول الله زدني . قال : « عليك بتلاوة القرءان ، فانه نور لك فى الارض ، وذخر لك فى السماء » .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لله اهلين من الناس » قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « اهل القرءان هم اهل الله وخاصته ».

كثيرة هي الآيات والاحاديث النبوية الواردة فى فضل القرءان والحث على تعلمه وتعليمه ..

وكما أن لتالي القرءان هذا الثواب الحسن والفضل العظيم الذى دلت عليه الاحاديث والآثار فان لمستمعه مثل ما لتاليه من حسن المثوبة وكريم المنزلة

وعظيم الجزاء .. قال الامام الليث بن سعد : « مـا الرحمة الى احد باسرع عنها الى مستمع القـرءان لقوله تعالى : « واذا قريء القـرءان فاستمعـوا له وانصتوا لعلكم ترحمون » » .

وعن ابن عبـاس قـال : قال رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم : « من استمع الى آية من كتاب الله تعالى كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلا آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة » .

والتلاوة في بلادنا ، تختلـف عنها في بـلاد اخرى .. ذلك ان القراءة الجماعية تشتهر اكثر مـن الطريقة الفردية ، خاصة ايام الجمعة حيث ترتفـع أصوات المومنين بالتلاوة قبـل خـروج الخطيب .. واسجل هنا ملاحظة هامة وهي ان هذه الطريقة تحتاج الى توجيه وصقل بحيـث يختـار احسـن قـاريء لتسييرها والاشـراف عليهـا .. صيانـة لطابـع التجويد الذى تخلو منه القـراءة الجماعيـة تلـك ، والتقطيع الذى يصاحب هذه القراءة في غالب الاحيان خاصة في انصاف الكلمات .. والا فالقراءة المفردة تكون انسب وافضل في هذه الحال ما دام القـاريء والسامع يظفران بالثواب والاجر معا .. ذلك ان الله تعالى دعا المسلمين الى تجويد كتابه المحكم ومراعـاة احكام القراءة الشرعية . فقال تعالى : « ورتل القرءان ترتيلا » واشار ابن الجزري رحمه الله الى ذلك بقوله:

والاخـذ بالتجويـد حتـم لازم
مـن لـم يجـود القـرآن آثـم

لانـــه بـــه الالـــه انـــزلا
وهكـذا منـه الينـا وصـلا

على ان بلادنا ـ ولله الحمد ـ احتضنت كثيرا من العلماء الذين اختصوا بدراسة هذا الـفـن ، بـل ودونوا كثيرا من الكتب والمصنفات لا زالت تزخر بها خزائننا الوطنية ، والخزانات الخصوصية واشتهر كثير من حفاظ القراءات حتى انه كـانت القـراءة بالرواية محببـة في بعض المساجـد المغربية يتـولى قراءتها من لهم الاهلية في ذلك وهم الذين نسميهـم « الحمزاويين » . ورغبة في المحافظة على هذا الفن ـ فن القراءات والتجويد ـ عملت وزارة الاوقـاف والشؤون الاسلامية على تاسيس مدارس بكبريات المدن كطنجة والدار البيضاء وفاس وهناك محاولات عديدة لتاسيس « دار للقرءان الكريم » بعاصمة الرباط تلقن فن القراءات والتجويد على يد اخصائيين في هذا الفن وعسى ان يتحقق هذا المشروع في اقرب وقت خدمة لكتاب الله عز وجل ، ليضاف الى عدد هائـل من مشاريعها .

« ورش » في باكستان .. وماليزيا ..

من حسنات عهد الاستقلال ونعمة الحرية التى من الله علينا بها ، ان أصبـح المسلم يزور اخـاه المسلم في بلاده ، وفي بيته ، ويتصـل به اتصـالا مباشرا فيطلع على احواله ويجدد معه وشائج القربى ، وكريم الصلات ، خاصة اذا كان اللقـاء على مائـدة القـرءان ..

نعم .. لاول مرة في فجر الاستقـلال وجهت الدعوة الى وزارة الاوقاف والشؤون الاسلاميـة من طرف حكومة باكستـان الاسلاميـة لاختيار مقريء مغربي لحضور مهرجان القراءات القرءانية بكراتشـي الى جانب مقرئين يمثلون جميع البـلاد الاسلاميـة والعربية والافريقية .. وذلك بقصد الاطـلاع علـى اساليب القراءات فيها ، وتوثيق الروابط الروحيـة بين مختلف البلاد التى جعلت من كتاب الله دستورا لها . .وكان لصاحب هذا المقال شرف انتدابه مقرئا يمثل المملكة المغربية في مؤتمر القراءات بكرتشي ، الى جانب كبار القراء في الشرق مثل الشيخ محمود خليل الحصري والشيخ محمـد عبد الباسط عبـد الصمد والشيخ كبارة من لبنان، بالاضافة الى عـدد هائل من قراء آسيا وافريقيا وكانوا يمثلون سبـع عشرة دولة عربية واسلامية ، وكانت هذه احسـن فرصة سمحت لي للتعرف عن كثـب ، على طـرف القراءات في هذا المؤتمر القرءاني العظيم .. الـذى جندت له الحكومة الباكستـانية كل امكانياتها المادية والادبية مما جعل الزائـر لهذا القطـر الاسلامـي يغتبط اغتباطا كبيرا ، لفكرة اقامة مثل هذا المهرجان من جهة ، وللروح الدينية القوية والمتاججة في نفوس ابناء هذا الشعب المسلم من جهة ثانيـة ، ثم لمظاهـر الحفاوة والتقدير والتبجيـل الـذى يظهـره ابنـاء باكستان نحو قاريء القرءان الكريـم سواء اذا كان مارا بالشـارع او خلال المهرجان الذى كان كثيرا ما يقام وسط سرادقات مزينة بالاضواء والزهـور ، ومفروشة بافخر الزرابي الشـيء الذى يضفـي على مكان الحفل هالة من الاجلال والبهـاء.. واذا كانت هذه الفكرة صائبة وناجحة من حيث مبدا التعـرف على اساليب القرءان الكريم ، فقد استطاع مقريء

المغرب ان يثير اعجاب الجمهور بل وحتى القراء انفسهم لمحافظته على طريقة «ورش» فى القراءة التى يعتبرونها هناك اصعب قراءة سلكها المغاربة ، واحتفظوا بها منذ اقدم العصور .. وكنت اؤكد لاخواني القراء فى هذا الصدد ، حينما نجتمع لبعضنا، ان المغاربة كانوا دائما يميلون الى الاخذ من مناهل العلم ، ولو سلكوا فى ذلك اعوص الطرق ، حرصا منهم على الكرع من منابع المعرفة والبحث ولاسيما ما يمس شؤونهم الدينية .. والحديث عن هذا المهرجان القرءاني بباكستان يتطلب كثيرا من الوقت لتسجيل ما احتفظت به من ذكريات طيبة ، وانطباعات جميلة لا تنسى ولن تنسى مدى الدهر . وما قلته عن مهرجان باكستان اؤكده على لسان صديقي واخي الشريف الاستاذ المقرىء احمد العلمي الذى مثل المغرب هو الآخر فى رمضان المنصرم فى المباراة السنوية التي تجري ببلاد ماليزيا كمقرىء وحكم فى آن واحد . فقد استطاع الاخ العلمي أن يحمل معه اجمل الذكريات عن هذا المهرجان القرآني الكبير الذى تعد له حكومة ماليزيا ملكا وحكومة وشعبا اكبر العدة واصبح من المؤتمرات العالمية التى ينتظرها اخواننا القراء بفارغ صبر ، وشديد العناية ولاهتمام ..

وبالاجمال فان عقد مؤتمرات ، على مائدة القرآن ، سواء عقدت على المستوى الوطني والشعبي — لهي فكرة جميلة وجميلة جدا ، تذكر المسلم بكتاب الله ، وتجعله يعتز بانتمائه لاهل القرءان الذين هم اهل الله وخاصته ، ثم انها من الاسباب التى تبث فى نفوس الجيل الصاعد محبة قرءانهم ، ولفت نظرهم الى ضرورة الاعتناء به والاهتمام بشأنه، ككتاب سماوي، انزله الله على احب الخلق اليه ، واعظمهم منزلة لديه، وامر المسلمين باستظهاره ، وتلاوته ، بأحسن الاصوات واجملها ..

ولا غرو أن مثل هذه المؤتمرات تكون — من جهة اخرى — احسن فرصة للتعارف والتآلف ، وابراز مدى تقدم هذا البلد أو ذاك فى مختلف المجالات ، ليطلع المسلم في قارة آسيا على حقيقة بلاد اخيه المسلم فى اقصى المغرب مثلا ..

ومما يثلج الصدر فرحا وغبطة ان تمثيل المغرب فى مهرجاني باكستان وماليزيا ترك وقعا كبيرا فى نفوس المسؤولين الحكوميين ، ولدى الاوساط الشعبية ، وعند اخواننا قراء العالم الاسلامي .. والرجاء معقود فى ان تتاح الفرصة قريبا ليقوم المغرب بدوره الفعال ، فى هذا الشأن ، خاصة وان رابطة المجودين التى تأسست فى اعقاب احتفال المغرب بذكرى مرور 14 قرنا على بدء نزول القرآن اخذت — منذ تاسيسها — تسعى جادة فى خدمة القرءان والقراء فى المملكة المغربية بما تقيم من مهرجانات كل سنة وفى المناسبات الدينية كالاسراء والمعراج ، وكذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم .. واسجل هنا — وبكل ارتياح — وكامين عام للرابطة، ان هذه الجمعية استطاعت ان تكتشف — من خلال المهرجانين اللذين اقامتهما منذ تاسيسها فقط — عددا من المواهب الصوتية التى لم تكن تعرف من قبل .. الشيء الذى يجعلنا نتفاءل بمستقبل القراءة فى بلادنا

وبعد ، فان هنا فى بلادنا : خطوات موفقة يخطوها المسؤولون عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية للحفاظ على كتاب الله ، كما ان « رابطة المجودين » التى ينضوي تحت لوائها قراء المملكة لا تألو جهدا فى خدمة كتاب الله والاعتناء بشأنه ، وتقديم المعونة للقراء ، للتعريف بهم وبامكانياتهم ليصبحوا فى عداد القراء المجودين ، والمجيدين للقراءة

والله سبحانه ، هو المسؤول ، ان يوفق الجميع لما فيه رضاه ويعيننا على خدمة كتابه ، لنندرج فى سلك هؤلاء الاعلام الذين نقلوا الينا القرءان مجود الحروف مضبوط الكلمات ، محكم الالفاظ ، متقن الآيات ، مصونا من التحريف والتصحيف ، وحتى نندمج فى صف من قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيركم من تعلم القرءان وعلمه »

الرباط — عبد الحميد احساين



للاستاذ عبد الله كنون

من كلمات جبران الخالدة « نحن فى غنى عن الاستعطاء » وهي كلمة صادقة الى ابعد حد ، ولكن ايماننا بها ضعيف جدا مع الاسف . ومن مظاهر ضعفه الشك فى قيمنا واخلاقنا اذا لم يزكها الاجانب ؛ وما عانيناه منذ فجر النهضة الحديثة من تلمس وجوه الموافقة بين واقعنا الاجتماعي وقضايانا التشريعية وهذه المدنية الغربية ، اعظم شاهد على ذلك ، كأن مدنية الغرب قد سلمت من كل علة ، وصارت هي المحك الذي يختبر به الزائف من الصحيح .

ولولا قيام الجماعات الاسلامية المتحررة من عقدة الاجنبي هذه ، فى الثلاثينيات والاربعينيات المنصرمة ، بتصحيح هذا الوضع ، لكنا اليوم قد جرفنا السيل وخسرنا كل مشخصاتنا الدينية والقومية .

واذا كنا قد تفادينا بعض الشيء ، الانسياق فى حبل الاجنبي من الناحية العقدية والوطنية ، فاننا فكريا ما نزال مرتبطين بعربته ، يتعسف بنا المجاهل كما يريد .

ومن نتائج هذه التبعية الفكرية ما نشأ بيننا فى السنين الاخيرة من التغزل بجائزة نوبل للآداب ، وتطلع بعض ادبائنا الكبار لنيلها ، وتحسر غير واحد من الكتاب والنقاد عندنا لعدم حصول اي عربي على هذه الجائزة ، اعتبارا بانها اكبر جائزة دولية لتتويج الآداب العالمية ، ومن ثم فانهم يستنتجون من هذا الاضراب ، اضراب الهيئة المشرفة على جائزة نوبل فى استوكهولم عن اجازة الادب العربي فى شخص احد اعلامه ، ان هذا الادب لم يحصل بعد على صفة العالمية ، وانه ادب غير انساني ، انما غايته المتعة الذهنية والتلاعب بالالفاظ ، ان كان قديما ، والتقليد والاجترار ان كان جديدا ، وهكذا يشكون فى انفسهم فيشك الناس فيهم ، ويكونون هم اول من يبخس بضاعتهم بعرضها فى سوق الكساد .

ان اول ما يتوجه على هذا الكلام ان الادب اذا لم يعتز به اهله ، ولم يغالوا بقيمته ، فهو احرى ان لا يعترف به غيرهم ولا يبالي بـه بالة ، والادب العربي ككل ادب غيره ، اول ما يجب ان يفرض نفسه على قومه فيعيشون له ومعه ، ويملأ كل فراغ فى حياتهم ، ويفتح قلوبهم لمعاني الحب والجمال ، ويكيف شعورهم بمقتضى دورهم فى المجموعة البشرية ورسالتهم اليها . ويكون عندهم بمثابة العقيدة المقدسة فوق كل طعن وتجريح ، واذ ذاك لا يحتاجون الى الموازين الاجنبية ، تنصب لوزنه وتقديره ، ولا الى المساومات المغرضة تبخسه وتضع من قيمته ، بل انهم ليستهينون بمن يروم مطاولته ويتهمون ادراكه ، فترى الناس يتهافتون عليه ويحاولون معرفة ما فيه من ذخائر وكنوز .

وفى الوقت الذى كان العرب مومنين بادبهم ، متحمسين له ، لم يطلبوا من غيرهم ان يقيمه ويجيزه ،

حتى انهم انما نظروا فى فلسفة اليونان وعلومهم اخذوا منها ما شاءوا ولكنهم لم يأخذوا من ادبهم شيئا ، لاعتبارهم اياه ادبا وثنيا يرتد بالانسانية فى حافرة الجاهلية الاولى .

وكان ذلك باعثا للقوميات والجنسيات الاخرى على دراسة الادب العربي والاقتباس منه ، وفيها من كان اسبق حضارة من العرب كفارس والروم ، فمن المحقق ان الادب العربي اثر فى الادب الفارسي اعظم تأثير واخذ هذا منه الشيء الكثير حتى الاوزان الشعرية على ما هو معروف ، كما اثر فى الآداب الاوروبية عند نشأتها بالرواية من الادب اللاتيني الذي استقى غير قليل من الادب العربي على ايدي شعراء التروبادور وغيرهم فى اسبانيا اثناء الحكم الاسلامي .

ومن ذلك نعلم ان التقدير يأتي من الداخل لا من الخارج ، وان جائزة نوبل ليس باستطاعتها ان ترفع ادبا ما الى الاوج ، اذا لم يكن هذا الادب رفيعا في نفسه ، لاسيما بعد التكييف السياسي الذي دخل عليها منذ قريب ، حين اعطيت لباسترناك ، وهو فى نظر النقاد ، ليس اديب قومه الممتاز ولا طبقة في الادب الروسي الحديث ، وانما قدمته الاصابع الخفية التي تسدي وتلحم فى السياسة الدولية لتنال من قوم ارضاء لقوم .

واكثر من ذلك لما اعطيت لكاتب اسرائيلي غير معروف من قبل ، بحجة انه وصف كفاح شعب مخصوص من اجل احراز كيانه ، فهل جعلت هذه الجائزة الادب الاسرائيلي ادبا عالميا ام انها فضحت نفسها فقط وامدت اسرائيل بمعونة مالية على حساب السلام الذى هي اعدى اعدائه ، وان رغم انف نوبل النبيل ؟!

افلم يكن من الواجب ، اذا كان ما زعمته لجنة نوبل حقا ، ان تمنح جائزتها لمحمد اقبال الذي هو صاحب فلسفة وادب رائع ، انبثقت منه دولة ذات كيان مستقل وشخصية متميزة ، ملات فراغا عظيما فى مجال التنمية والانشاء ، والتعمير فى ءاسيا ، وتتكون من مائة مليون نسمة ، ولم تقم كما قامت اسرائيل على حرب ولا على اضطهاد ولا على سرقة ارض غيرها وتشريد سكانها واغتصاب اموالهم وممتلكاتهم ، والتضريب بين الامم والشعوب حتى عادى بعضهم بعضا واصبحوا مهددين بنشوب حرب

الصارخ والابقاء ، على ذلك الكيان الممسوخ .

نعم ان دولة باكستان التى تفوديت بانشائها حرب طاحنة ، كانت ولا شك ، ستنشب بين سكان الهند غداة الاستقلال ، هي اولى بالتنويه واجازة الاديب الذى نشات عن دعوته وكانت ثمرة ادبه .

ولكن او لم يكن فى هذا الادب مادة (الف ، سين ، لام الف ، ميم) تلك المادة التى هي علة العلل فى بخس الادب العربي والفلسفة والعلم والفن عند العرب ، وانكار كل فضل للعرب على الحضارة الانسانية ، والقعود لهم بكل مرصد حتى فى لجنة جائزة نوبل ليلا يرتفع صوت بانصافهم او يجهر احد بالاعتراف لهم بالجميل .

ولكي يكون القاريء على بينة من الامر ، ما عليه الا ان يقرأ رواية (جسر على نهر درينا) للكاتب اليوغسلافي ايفواندريتشيش التي نال عليها جائزة نوبل للاداب ، فانها رواية تقطر بالحقد والتشنيع على الاسلام مجسما فى الحكم العثماني لدول البلقان ، ولا يخجل كاتبها من اظهار ارتياحه من تقلص ظل هذا الحكم وحلول الاستعمار النمساوي محله ، وان قسا على السكان وتحكم فيهم ما لم يتحكمه العثمانيون .

وهو يجعل من الحبة قبة ، ويتناول الحادثة النادرة البسيطة ، فيبني عليها العلالي والقصور ، ولا يزال يضخمها وينفخ فيها ليثير شعور القاريء ويحرك مكامن الغضب فيه ، هذا اذا كانت الحادثة وقعت فى العهد العثماني ، فاذا كانت مما حدث فى العهد الاستعماري الجديد ، فانه يهونها وينفض يده منها سريعا وان اثرت في السكان بما يجعلهم يتأسفون على العهد السابق .

وليقرا من يريد ان يتحقق من هذا الكلام ، العبارة الآتية فى المقارنة بين الحكم العثماني والحكم النمساوي : « بعد ضروب سوء التفاهم وانواع الصراع التى قامت فى اول الامر ، شعر الناس ان الحكومة الجديدة صلبة العود طويلة الاجل . كانت الحكومة غير شخصية ، وكانت تمارس السلطة على نحو غير مباشر ، فكان هذا وحده كافيا لان يجعل احتمالها اسهل من النظام التركي ! ان كل ما يشتمل عليه الحكم الجديد من قوة وشراهة ، كان متخفيا تحت ستار من الوقار والمهابة والتقاليد . كان الناس

يخشون باس السلطات ، الا انهم كانوا يخشونها كما يخشى المرء الموت او المرض ، لا كما يرتعد خوفا امام الخبث والشقاء والعنف ، وكان معظم ممثلي الحكومة الجديدة ، العسكريين منهم والمدنيين ، اجانب لا يعرفون السكان » (1)

ان هذه العبارة من عشرات مثلها كافية وحدها فى ابراز ما يكنه الكاتب المجاز بجائزة نوبل للسلام من كراهية وبغض للاسلام والمسلمين الذين حكموا بلاده بمنتهى العدل والتسامح ، ولم يرغموها على اعتناق دينهم كما فعل الاسبان الذين قتلوا وحرقوا مسلمي الاندلس الممتنعين من التنصر ، والادهى والامر هو انه يقر بفظاعة الحكم الجديد وشدته ، ولكنه يبرز ذلك ويغلفه محاولا ان يجعل القاريء ينساق معه فى رفض حكم الاتراك وتجريحه وقبول حكم النمساويين ومباركته .

فأي دس مثل هذا ومكر وخداع يشتمل عليه كتاب ككتاب (جسر على نهر درينا) الذي يشيد بالظلم في ناحية ويندد به في ناحية اخرى ولو كان دون ما يشيد به ، وينفث التعصب الديني فى كل حرف من حروفه على حين ترتفع الاصوات فى كل مكان بالتسامح والاخوة البشرية ، ومع ذلك ترتضيه لجنة نوبل للسلام وتعتبره ادبا انسانيا وتجيز صاحبه ؟!

ولعل تلك العبارة التى نقلناها تكفينا عن الاتيان بغيرها من العبارات التى يطمس الكاتب فيها الحقيقة ويزور الكلام ليدل على غير المراد منه ، « فأيام السكينة العذبة التي عرفها العهد التركي قد ذهبت الى غير رجعة ، وتنظيم المدن فى ايام الاتراك بترقيم البيوت مثلا يثير الشعب حتى انه لينزع لوحات الترقيم ويحرقها بخلافه فى العهد النمساوي فانه يعتبر علامة تقدم وسبيلا لاحصاء السكان ، والضريبة التى كانت تستخلص فى ايام الاتراك بالعنف فيما يزعم ، ها هي تستخلص الآن باكثر من ذي قبل ولكن بنظام والتجنيد الذى لم يجرؤ عليه الاتراك ، يرغم عليه الشبان ارغاما وينشر الحزن والرعب بين السكان ، ومع ذلك فهو جائز لان الآمر به هو الامبراطور لا الخليفة . » الى غير ذلك من المفارقات الغريبة التي يظهر انها صادفت هوى في نفوس لجنة الجائزة لانها كلها طعن فى الاسلام وتسويء لسمعته وتشهير به .

وهذا بله الالفاظ البذيئة وكلمات السباب التى تتجنب بحكم التثقيف والتهذيب فى الكتب العادية فكيف بعيون الادب العالمي المجازة من اكبر هيئة ادبية دولية كهيئة نوبل ؟ ؟

ومما يقوي الشبهة فى حكم اللجنة الموقرة لكتاب « جسر على نهر درينا » بدافع من التعصب على الاسلام والمسلمين انه لم يقتصر على التهليل والتكبير لجيش الغزاة المسيحيين والحكام النمساويين ، بل ملح بمدح اليهود والتنويه بصفاتهم وفضائلهم فى شخص يهودية تدير فندقا وترتبط بعلاقات مع الخارج ، وبذلك ضمن الحصول على تأشيرة الدخول لحظيرة المجيزين من هيئة نوبل بلا تردد .

اننا بذلك نعلم ان هذه الجائزة انما ارصدت للكتاب الصهاينة والصليبيين الذين يمجدون الاستعمار ويؤرثون العداوة بين الشعوب بدل الدعوة الى السلام والاخوة الانسانية .

وما احمد لسارتر شيئا ما احمد له رفض هذه الجائزة بشمم واباء واشاحته عنها واستخفافه بها بعد ما ابتذلت وامتهنت ودخلتها الاغراض وتحكمت فيها النزعات ، فما بال ادبائنا الكبار يترشحون أو يرشحون لها المرة بعد المرة وهي تنصرف عنهم وتتدلل عليهم اعني بصريح العبارة انها تستهين بأدبنا وتراه غير كفء لها ، فهلا اخذتهم النخوة التي اخذت سارتر وسحبوا ترشيحهم، واكتفوا بالجوائز التقديرية التى ينالونها من حكوماتهم وشعوبهم والاعتبار السامي الذى تلقاه ءاثارهم واعمالهم فى مختلف البلاد العربية والالقاب الكبيرة التى يخلعها عليهم المثقفون والنقاد من بني قومهم ، ففي ذلك ما هو اعظم وابقى من جائزة نوبل وما كان على غرارها من تقدير مشبوه واحترام مدخول .

اما اندريتيتش الكاتب اليوغسلافي ، وقد عرفنا دخيلته وسر فوزه بهذه الجائزة ، فاننا لا نرد عليه بغير كلامه ، وبفقرة واحدة منه تعفي بخلفيتها على كل ما لمز به العثمانيين اي المسلمين وحكمهم لاوروبا الشرقية ، وتظهر الفرق بين حكم الاسلام وحكم

---

(1) نعتمد فى الانقال التى نوردها فى هذا المقال على ترجمة الدكتور سامي الدروبي للرواية

غيره وغير المسلمين ، جليا واضحا من حيث الاعتبارات الانسانية خاصة والعدل والنبل والترفع عن الشماتة والانتقام .

يقول اندريتشيتش متحدثا على لسان احد اغوات الاتراك الذي يخاطب مواطنا له اسمه علي خجا(1) وقد توالت الانهزامات على العثمانيين وتراجع السكان المسلمون غير مرة الى الوراء مهاجرين :

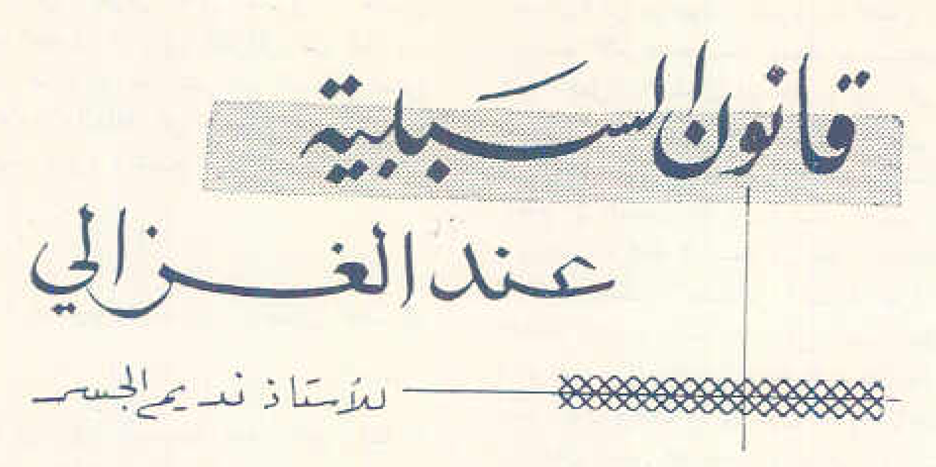
— « لقد وصلنا يا عزيزي علي خجا (1) الى حيث لا يعرف المرء ان يندس . الله وحده يعلم اننا ، انا والمرحوم والدي ، قد فعلنا كل ما يجب ان نفعله للمحافظة على ديننا وللمحافظة على اخلاقنا الاسلامية. لقد مات جدي فى أوتيسة ، واغلب الظن ان قبره هنالك قد اندرس فلم يبق منه اثر ، وقد دفنت ابي فى نوفا فاروخ ، وست ادري الم تدسه القطعان المسيحية بالاقدام ، وكنت اقدر ، انا على الاقل ، ان اموت هنا ، فى هذه البلدة التى يسمع فيها صوت الآذان ، يدعو المومنين للصلاة ، ولكن يظهر لي الآن انه قد كتب على سلالتنا ان تبيد ، وان لا يعرف احد منا قبر اسرته بعد اليوم . هذه ارادة الله على كل حال » .

مرحى ! مرحى ! فهذا اعتراف اندريتشيتش على النصرانية وحكمها فى بلاد البلقان التى احتضنت من المسلمين الاتراك واهل البلاد الاصليين العديد من الملايين مدى عدة قرون ، فاين قبورهم الآن ، واين مساجدهم ؟ بل اين احفادهم وسلالاتهم ؟ .. والاندلس وصقلية ؟ اين قبور النوابغ من علمائها وفلاسفتها واطبائها وأدبائها وشعرائها ؟ واين المساجد فيها ؟ فى حين تضيق بلاد الاسلام بكنائس النصارى وبيع اليهود وغيرها من معابد الاديان ومدافن اهلها عليها الصلبان والشعارات ، متحرمة محروسة لا يؤذيها احد ولا تطولها يد . ان التسامح وحسن المعاملة وسعة الصدر التى امتاز بها الاسلام وحكمه والمسلمون حتى فى عصور تأخرهم هي ما يقضي لهم بأنهم اصحاب رسالة وليسوا فاتحين ولا غزاة كما صورته يا اندريتشيتش ، (ومن فمك ادينك يا اسرائيل)

طنجة — عبد الله كنون

---

(1) كذا فى الترجمة ونظنها خوجه .



قرات فى مجلة (الوحدة) المغربيـة مقـالا للفاضل المفكر الاستاذ صالح الزعيمي عن (نظريـة المعرفة عند الغزالي) ، فرايت فى اخرياته اتهاما للغزالي بانه ينكر قانون السببية العقلي الفطري ، وبانه يشبه ، فى هذا الفيلسوف (دفيد هيـوم) شيخ الشكاك المحدثين ، بل شيـخ السوفسطائيين المتاخرين ، فاردت ان اتلاقى ، مع الاستاذ الزعيمي الكريم ، على الحق فى هذا الظن ، الذى سبـق اليـه كثير ممن تحدثوا عن (حجة الاسلام) .

بعد ان اوجز الاستاذ الزعيمي الكلام فى نظرية المعرفة ، وبسطه عن حياة الغزالي ، وتتبع خطواتـه فى طريق الشك التى انتهت به الى اليقين ، ببيـان جزل يدل على علمه وفضله ، انتهى فى اخريات مقاله الى مسالة السببية عند الغزالي ، فنقل بعض اقواله فيها ، ولكنه لما وصل الى (تحقيق المعنى المراد) من الغزالي بهذه الاقوال ، زلت به قدم الصواب ، ونبـا به سيف الحجة ، واستعصى عليه لسان البيان فقال، فى جملة ما قال :

1 ــ الا ان اهم مسالة اثارها ابو حامد الغزالي في موضوع العلم هي مسالة السببية ، او ما نسميه اليوم بالحتمية العلمية . وهي مسالة عميقة الجذور فى الفكر الانساني . وابو حامد، فى هـذه المسالـة، يكون اقرب ما يكون الى الفيلسوف الانكليزي (دفيد هيوم) . فهو يرى ان العلاقة بين ما نعتقده سببا وما نقول عنه انه مسبب ليست علاقة ضرورية اصلا) اهـ

2 ــ (ويعتقد الغزالي ا ناحراق النار للاشياء ، واطفاء المـاء للنار ، ليست اسبابا ومسببات ، بـل نحن الفنا ذلك الترادف بين تقريب الشيء نحو النار وحصول الاحتراق ، كما الفنا ان تقريب الماء من النار يليه انطفاؤها ، ومع هذا فان الماء ليس هو سبب اطفاء النار ، ولا النار سبب احراق الثـوب مثـلا، بل ان الفاعل ، فى كل الاحوال ، هو الله تعالى ، وهـو ، سبحانه ، قادر على تغيير هذه المادة) اهـ

3 ــ (وعلى الرغم من ان موضوعنا ليس مناقشة النظرية الغزالية فى المعرفة ، بل هو مجرد عرضهـا وتجليتها ، فان من السهل ان تلاحظ ملاحظة عابرة هي : ان القضاء على مبدا السببية ــ وهو مبدا عقلي نعتقد انه صالح للانطباق على العـالم الخـارج عن اذهاننا ــ هو فى نفس الوقت قضـاء على امكانيـة قيام علم طبيعي ذي قوانين ثابتة وكلية وضروريـة . **ونكتفي بالقول هنا بان الغزالي لم يكن يؤمن بامكانية قيام علم من هذا النوع دون ان يتعارض مع المعتقدات الدينية** بان يحد من مدى الارادة الالهية . كيف اذن نستطيع ان نكون معرفة بهذا العـالم ؟ ان المنطـق يدفعنا الى القول بأن الغزالي يبدو وكأنه يقترح علينا قبول العالم كما هو ، والعمل فى مجاله بما تقتضيه الفضيلة الدينية ، مع التسليم ، فى كل آن ، بأن من الممكن جدا ان يتحول سير العالم وظواهره الى شكل آخر ، وبذلك لا يكون للعقل الانسـاني دور رئيسي فى البحث فى موضوعات العالم الخارجي) اهـ .

ان هذه الاقوال ، التى نقلناها هنا بحروفهـا ، لتزري بعقل الامام الغزالي ، وتزري بعلمه ، بل تزري بدين الاسلام وبعلماء المسلمين الذين لقبوا الغزالي (بحجة الاسلام) . ونحن فى تصحيحها لا نرى خيرا من نقل صفحات من كتاب (قصة الايمان بين الفلسفة

والعلم والقرءان) عن الحوار الذي جرى : حول (الفهم الصحيح العميق) لرأي الغزالي في قانون السببية ، وحول ما وقع به كثير من الناس من الاخذ بظواهر كلامه والغفلة عن بواطنه حتى شبهوه بالفيلسوف (دفيد هيوم) شيخ الشكاك .

(1)

من فصل (خصومة المؤمنين) ننقل الحوار الآتي :

عندما مر ذكر قانون السببية عند (ابن رشد) قال الشيخ ابو النور الموزون السمرقندي لتلميذه (حيران بن الاضعف البنجابي) .

الشيخ — ... (وكذلك كان شانه ، اي شان ابن رشد ، عندما جادل الغزالي في علاقة الاسباب بالمسببات .)

حيران — وهل انكر الغزالي الاسباب والمسببات حتى جادله ابن رشد فيها ؟

الشيخ — (ان الغزالي لم ينكر ، ولا يعقل ان ينكر ، علاقة السبب بالمسبب ، او خواص الاشياء التي وضعها الله فيها ، بل اراد ان يظل تفكير الانسان متجها الى خالق الاشياء وخالق الخواص والنواميس، ليقصي عن العقل فكرة (المادية الملحدة) ، التي تقول بتكون تنوعات العالم ، بالمصادفة ، من تفاعل عناصر المادة بذاتها ، وبقوة من طبعها، فانكر وجود (ضرورة عقلية) توجب ان تكون للاشياء هذه الخواص التي هي فيها ، ليتوصل الى القول بانها مفتقرة الى من يمنحها وجودها ، ويعطيها خواصها وطبائعها ، فقال : ان ما تشاهده من التقارن بين السبب والمسبب لا يجوز ان (نقطع) بكون سبب الظواهر ، طالما ان وراء علمنا اسرارا خفية ، قد تكون هي السبب الاصح في ظهور الظاهرة ، ويضرب الغزالي على ذلك الامثال بحجر الطلق الذي يحول دون الاحتراق ، والاعمى الذي يصبح بصيرا ويحسب ان ازالة الغشاوة عن عينيه هي السبب الوحيد للابصار ، حتى اذا ذهب النهار وجاء الظلام ، ادرك ان وراءالعين المبصرة سببا آخر يسمح للعين بالابصار ويمنعها منه ، وهو النور ، اما ابن رشد فلم يخرج ابدا عن هذا المنطق السليم والايمان الكامل حيث يقول (واما هل الافعال الصادرة عن موجود (ضرورية الفعل) او هي (اكثرية) او فيها الامران جميعا، فمطلوب يستحق الفحص عنه فان الفعل والانفعال الواحد ، بين كل شيئين من الموجودات ، انما يقع باضافة ما من الاضافات التي لا تتناهى فقد تكون اضافة تابعة لاضافة . ولذلك لا يقطع ان النار اذا دنت من جسم حساس فعلت (ولابد) ، لانه لا يبعد ان يكون هنالك موجود يوجد له الى الجسم الحساس اضافة تعوق تلك الاضافة الفاعلة للنار ، مثلما يقال في حجر الطلق . ولكن هذا لا يوجب سلب النار صفة الاحراق ما دام باقيا لها اسم النار وحده) ثم يقول — وما احكم ما يقول — (والعقل ليس هو شيئا اكثر من ادراكه الموجودات باسبابها ، وبه يفترق عن سائر القوى المدركة . فمن رفع الاسباب فقد رفع العقل . وصناعة المنطق تضع وضعا ان هاهنا اسبابا ومسببات . وان المعرفة بتلك المسببات لا تكون، على التمام، الا بمعرفة اسبابها . فرفع هذه الاسباب هو مبطل للعلم ورافع له ، فانه يلزم ان لا يكون هاهنا شيء معلوم اصلا على حقيقته ، بل ان كان ، فمظنون ، ولا يكون ها هنا برهان ولا حد اصلا . ومن يقنع انه لا علم واحد ضروري ، يلزمه ان لا يكون قوله هذا ضروريا . واما من يسلم ان هاهنا اشياء بهذه الصفة ، واشياء ليست ضرورية وتحكم النفس عليها حكما ظنيا وتوهم انها ضرورية وهي (ليست ضرورية) فلا ينكر الفلاسفة ذلك).
ثم ينتهي ابن رشد الى ان يقول — وما اعظم ما يقول ، وما اصدقه اتفاقا ، في النتيجة ، مع الذي قصد اليه الغزالي من استدامة التوجه الى خالق الاشياء ومعطيها طبائعها وخواصها — **(فلا ينبغي ان لشك في ان هذه الموجودات قد يفعل بعضها ببعض ، وانها ليست مكتفية بانفسها في هذا الفعل ، بل بفعل من خارج ، فعله شرط في فعلها ، بل في وجودها فضلا عن فعلها)**

(2)

ومن فصل (تلاقي العباقرة) ننقل الحوار الآتي:

عندما جاء ذكر هيوم شيخ الشكاك ، الذي ينكر قانون السببية (ويزعم ان علاقة العلة بالمعلول هي علاقة وهمية لا اساس لها الا اننا نرى حدوث ظاهرة يعقبه حدوث ظاهرة اخرى فنظن الثانية مسببة عن الاولى ، مع انه ليس بين الظاهرتين رابطة عقلية

ضرورية توجب ان تكون الظاهرة الاولى علة للثانية) جرى بين حيران بن الاضعف وشيخه ابي النور الموزون الحوار الآتي :

حيران ــ ان قول هيوم عن عدم وجود رابطة ضرورية بين الظاهرتين يشبه ما ذكرته ، يا مولاي ، عن الغزالي ، عند الحديث عن ابن رشد .

الشيخ ــ لا يحزنني ان تكون فهمت تلخيصي لقانون السببية عند الغزالي فهما سيئا ، فقد شاركك في سوء الفهم كثير من العلماء الذين قرأوا (تهافت الفلاسفة) . لذلك ارى ان نرجع الى ما كتبناه ونعيد النظر فيه .

قال حيران بن الاضعف : وقلبت صفحات الدفتر الذى اخط فيه حديث الشيخ ، واعدت عليه قراءة ما كتبته عن الغزالي ، فقال ماذا رايت ؟

حيران ــ لم ار فرقا بين القولين ، فالغزالي قال ان ما نشاهده من الاقتران بين السبب والمسبب لا يجوز ان تقطع بكونه سبب الظواهر ، وهيوم يقول الشيء ذاته .

الشيخ ــ كلا يا حيران ، فالفرق في الحقيقة ، بين القولين ، عظيم . ولابد لك من ايضاح جديد فاصغ الى ما اقول .

حيران ــ كلي آذان يا مولاي .

الشيخ ــ لا ينفعني ، فى تيسير انفهم لك ، ان اضرب مثل النار الذى ضربه الغزالي ، لانك نشأت وانت تعرف ، معرفة تشبه اليقين ، ان النار محرقة ، فلا يمكن ان تدرك معنى قول الغزالي انه لا يوجد (ضرورة عقلية) توجب ان تكون النار محرقة ، لذلك اترك النار جانبا واتخذ لك مثلا آخر : هذا الزيت ، زيت الزيتون ، لو رايته لاول مرة فى حياتك ، واخبرك انسان ان فيه نارا كامنة تستطيع اخراجها باشعاله فهل كنت تصدق ؟ .

حيران ــ كنت اصدق لو جرب ذلك امامي .

الشيخ ــ وبعد أن يجرب ذلك امامك ، هل تجد (ضرورة عقلية) تقضي بأن يكون الزيت قابلا للاشتعال ؟

حيران ــ كلا يا مولاي ، كما اني لا اجد (ضرورة عقلية) فى ان اعتقد ان (نترات الكليسيرين) فيها خاصية الانفجار ، قبل ان ادرس ذلك واعرفه من طريق العلم والتجربة .

الشيخ ــ عظيم جدا يا حيران .. . ان هذا المثل الذى جئتني به خير من مثل الزيت . والآن اطرح عليك سؤالا جديدا لو جئتك بجسم من الاجسام لم تعرفه فى حياتك ولا سمعت به ، ثم سالتك : هل من ضرورة عقلية تفرض عليك ان تعتقد (اقتضاء هذا الجسم للتحيز) فماذا تقول ؟

حيران ــ اقول انني ارى ضرورة عقلية تفرض علي ان اعتقد اقتضاء كل جسم للتحيز .

الشيخ ــ لمـــاذا ؟

حيران ــ لانني ارى ذلك امرا بديهيا .

الشيخ ــ ولماذا لا تجده امرا بديهيا اقتضاء الزيت للاشتعال ، واقتضاء نترات الكليسرين للانفجار ؟

حيران ــ لانني لا اجده بديهيا ، ولا اجد ضرورة عقلية تفرض هذه البداهة .

الشيخ ــ هذا هو ما اراده الغزالي يا حيران . فالغزالي لم ينكر مبدا السببية من اصله واساسه، وحاشاه ان ينكره . ولكنه يقول ان هذه الظاهرة التى تسميها (سببا) ليست مقتضية (اقتضاء عقليا ضروريا) حصول ذلك الاثر الذى نسميه (مسببا). فالعقل لا يجد ضرورة عقلية توجب عليه الجزم بان النار محرقة ولابد للخشب ، ولكنه رأى بالتجربة ان ظاهرة الاحتراق عند مس النار للخشب هي ظاهرة (مطردة) فاعتقد ان النار سبب الاحراق . ولولا هذا (الاطراد) الذى يراه العقل ، لما كان مفروضا عليه (ضرورة) ان يعتقد اقتضاء النار للاحراق ، كما هو مفروض عليه (ضرورة) ان يعتقد اقتضاء الجسم للتحيز . وانما يريد الغزالي بهذا ان يتوصل الى القول : طالما ان خاصية الاحراق غير مفروض وجودها (بالضرورة عقلا) فى النار ، وكان يمكن ان تكون هذه الخاصية بعكس ما هي عليه ، فلابد ان الذى اعطى النار ، وكل الاشياء خواصها وطبائعها ، هو الذى خلقها ، وهو الذى يستطيع سلبها هذه الخاصة .

(3)

من فصل (بين دارون والجسر) ننقل الحوار الآتـــي :

حيـــران ــ فهمت من كلام (الجسر) انه يعتقد بتاثير الاسباب الطبيعية ، فما هو رايــه فى قانــون السببية الذى تكلم عنه الفلاسفة ؟

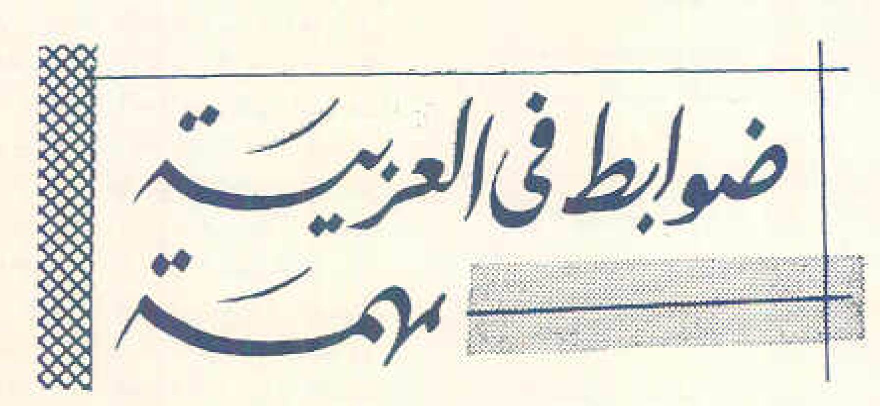
الشيخ ــ لا يخرج راي الجســر فى الاسبــاب والمسـببات عما ذكره الغزالي ، وعما اوضحته لك عند الكلام عن (هيوم) شيخ الشكاك . وفى ذلــك يقــول (ان الله تعالى ، وان يكن ربط المسببات بالاسبــاب فهو الخالق للاثنين : فاننا لو نظرنا الى تلك الاشيــاء التي تنشأ عنها الآثــار ، وتاملنا فى حقيقتها ، لوجــدنا انها ليست (مقتضية) لتلك الاثار ، اذ لاشيء فيها يلزم العقل بانها (مقتضية) لها . فالحرارة مثــلا ، تذيب الثلج ، والبرودة تجمد الماء . ولكــن اذا نظرنــا الى حقيقتهما لم يظهر للعقــل وجــه (اقتضاء) هذين الاثرين كما يظهر وجه (اقتضاء) الجسم (للتحيز)، ووجه اقتضاء عدم حلول الجسمين فى حيز واحد . فاقتضاء الجسم للتحيز ، وعدم حلول جسميــن فى حيز واحد ، هما امران يرى العقل ضرورة تقتضي الاعتقاد بهما . واما كون الحــرارة تذيــب الثلــج ، والبرودة تجمد الماء فلا يجد العقل ضرورة تقتضي بان يكون اثر الحرارة الاذابة ، واثر البرودة التجميد. اذ يقال عقلا : لم لم يكن الحال بالعكس ؟ فان قيل ان الحـــرارة سبب الاذابة لانها تضعف قوة الملاطفة بين ذرات الجسم قلنا ولم لم يكن الامر بالعكس؟ فلابد اخيرا من القول : ان اختصاص كل من الحرارة والبرودة بما خص به كان بتخصيص مخصص اراد ان يكون الامر كذلك ، وهذا المخصص ، الذى جعل فى كــل شيء خاصية وطبعا هو الله الفاعل المختار .

حيران ــ هذا يكاد يكون نفس ما قاله ابن رشد .

الشيخ ــ نعم ، وانت ترى ان (الجسر) لا ينكر الاسباب والمسببات ، والخواص والطبائع والنواميس، كما لم ينكرها احد من علماء المسلمين وفلاسفتهـــم . وكيف السبيل الى انكارها ، يا حيران ، والاشيــاء ما كانت متمايزة الا بخواصها وطبائعها ، فاذا عدم الشيء خواصــه وصفاته المميزة لم يعد هو هــو ، بل عــاد شيئا آخر . وما دام العقل لا يرى ضـــرورة عقليــة تقتضي ان يكون للشيء خاصة بذاته من ذاته ، فلا مجال لهذا العقل ان يرتاب بأن الله خالق الاشياء هو الذى منحها خواصها وطبائعها ، وانه قــادر عــلى سلبها . ولو كانت الشرائع السماوية تنكر الاسباب والمسببات لبطل التكليف ، ولقعــد الانســـان عــن السعي ، ولفتح الناس باب العــذر فى ترك الاوامــر واجتناب النواهي . وهذا ابطال للشرع ، بل افســاد للعقل ، وتعطيل للايمان الذى لا يكون الا بالعقــل . فمن ظن ان دين الاسلام يقول بذلك فقد دل على جهله وقلة عقله) .

هذا ، ما اردت نقله لك من (قصة الايمان بين الفلســفة والعلم والقرءان) وما فعلت دفاعا عن الغزالي، ولكن صيانة لشباب المسلمين من ان يسيئوا الظن بالغزالي فيسري سوء ظنهم (بالامام حجة الاسلام) الى دين الاسلام نفســه . وما اردت الا الخير، واحسب اني، فى هذا الخير، اتلاقي مع الاستــاذ الزعيمــي المفكر المؤمن المخلص . وعلى الله قصد السبيل .

لبنـــان : نـديـــم الجســـر



للدكتور مصطفى جواد

لما شاع استعمال القاطرة البخارية Locomotive في أوربا استعملت لها سكة من الحديد سميت بالفرنسية Chemin de fer اي سكة من حديد ، ثم استعمل الشرقيون هذه القاطرة وسكتها فقيل لها بمصر « السكة الحديد » ولا تزال هذه التسمية شائعة بمصر وعدة بلاد عربية ، وهي موائمة لطبيعة اللغة العربية من حيث هي مؤدية للمعنى المراد حق التأدية ، فالعرب المحافظون على عروبتهم ، والمستعربون بأصالة ثقافتهم قلما يحيدون عن مشارع العربية ومناحيها وذوقها ومجاريها ، فقولهم «السكة الحديد » ، تكون كلمة «الحديد» فيه نعتا للسكة ، ولا يراعى في هذا النعت وامثاله التذكير والتأنيث ولا الافراد والتثنية والجمع، كما تراعى في نعوت اخرى ، ذلك لان النعت جاء بالشيء الحسي نفسه . أي المادة نفسها ولا يقوم مقامها غير لفظها بعينه ، فالحاق ياء النسبة بالنعت معناه ان النعت منسوب الى ذلك الشيء وله صلة به قوية كانت او ضعيفة لا انه الشيء بعينه وهو المراد بالقول ، لا ان له صلة بالصفة كائنة ما كانت ، الا ترى الى قوله تعالى : « الزجاجة كانها كوكب دري » (1). وجاء في مختار الصحاح وهو اسهل المراجع اللغوية الموجزة « والكوكب الدري : الثاقب المضيء ، نسب الى الدر لبياضه ، وقد تكسر الدال فيقال : دري مثل سخري وسخري ولجي ولجي (2) » . فالدري على القول الذي نقلناه لا يعني انه من الدر بل يعني ان له صلة بالدر من حيث الاضاءة والبياض ملحوظان .

وضابط النعت الذي ذكرناه في ذكر السكة الحديد وارد في كتب النحو منصوص عليه ، جاء في شرح الكافية لرضي الدين الاسترابادي في ذكر انواع الاوصاف : « وثالثها جنس مصنوع منه الشيء يوصف به ذلك الشيء نحو : هذا خاتم حديد . قال سيبويه : يستكره نحو خاتم طي وجبة خز وخاتم حديد وباب ساج في الشعر ايضا (3) » وانا لا ارى وجها وجيها لاستكراه سيبويه ذلك الضرب من الاوصاف ، ما دام الاستعمال شائعا عند الفصحاء حتى لقد ورد في احاديث موضوعة على النبي محمد عليه الصلاة والسلام — في القرن الثاني للهجرة ، ومنها حديث اسند الى جرير بن عبد الله البجلي جاء فيه ان رسول الله — ص — قال : « تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة لاهلها اسرع

---

(1) سورة النور « من الاية 25 ».
(2) تفصيل الكلام على « دري » القرءان الكريم في اعراب القرءان الكريم لابي البقاء البكري 2 : 165 طبعة سنة 1280 بالقاهرة ، وتفاسير القرءان.
(3) شرح الكافية « طبعة الاستانة 1 : 225 » .

هلاكا من السكة الحديد ، فى الارض الرخوة »
وفى رواية اخرى « لهي اشد سوخا فى الارض من السكة الحديد » وفى رواية ثالثة « اسرع ذهابا فى الارض من الوتد الحديد فى الارض الرخوة » (4) اراد واضع الحديث « مدينة السلام » التى انشاها ابو جعفر المنصور قرب بغداد القديمة الزمان بالجانب الغربي من دجلة ، ولم يبق لها اثر شاخص ولا طلل غير دارس منذ عدة قرون . ولم يرد فى هذا الحديث الموضوع « السكة الحديدية » لان السكة المرادة مصنوعة من الحديد حسب ، وهي حديدة الفدان التى تحرث بها الارض . وقال ابو الحسن المسعودي المؤرخ العالم فى كلامه على الفلك : « وان الفلك مستدير يدور بمحورين وقطبين وانهما بمنزلة محوري البخار والخراط والذى يخرط الاكر والقصاع وغيرها من الالات الخشب » (5) . قال « الالات الخشب » لانها كلها من الخشب ولم يقل «الخشبية» .

وجاء فى كتاب الحوادث الذى نشرناه سنة 1351 باسم الحوادث الجامعة تصديقا لاحد الباحثين ولم يك اياه فى الحقيقة « وفيها (اي سنة 653) حملت القصعة الحجر المعروفة بقصعة فرعون من سر من راى الى بغداد فى كلك ورفعت تحت دار الخليفة وكانت عظيمة جدا » (6) قال : « القصعة الحجر » ولم يقل «الحجرية» لانها كلها من مادة الحجارة ، وورد فى كتاب الهدايا والتحف المنسوب غلطا الى ابن الزبير الغساني الاسواني « ثوب صيني حرير» (7)، ولم يقل القائل « حريري » لان جميعه من الحرير ، وقال ابو قابوس الحيري يخاطب ابا الفضل جعفر بن يحيى البرمكي :

ابا الفضل لو ابصرتنا يوم عيدنا
رايت مباهاة لنا فى الكنائس

فلو كان هذا المطرف الخز جبة
لباهيت اصحابي به فى المجالس (8)

فهذا شاعر نصراني عرف ضابط الوصف لنشأته بين العرب الفصحاء فقال « المطرف الخز » ولم يقل «الخزي» . وتحدث ابو اسحاق الزبادي قال : كان عسكر مولى سليمان بن علي يشرب عند ابان اللاحقي فسكر ابان فقال له الفضل بن عروة الثقفي : لو سمحت لعسكر بجبتك الخز لكثر من بشكرك عليها ويعوضك منها . فخلعها عليه فلما اصبح ندم وقال :

أتاني عسكر اخزا
ه من اباي قد اخزى

وقد البست من شقو
ة جدي جبتي الخزا (9)

وقال الحسين بن الضحاك الباهلي لابي عمران مولى بن عمران البصري :

ان لي حاجة فرايك فيها
انا فيها وانت لي سيان

جبة من جبابك الخز كيما
لا يراني الشتاء حيث يراني(10)

فالناثر الثقفي المختار والشاعران وصفا الجبة بالخز نفسه من غير نسبة اليه ، وقال ابو عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري في قول عمرو بن سعيد الاشدق لمعاوية بن ابي سفيان : اجعلها بالوافية : « يريد دراهم فارس؛ الدرهم زنة المثقال الذهب » (11) . وجاء فى اخبار سنة 398 هـ فى ذكر كنيسة قمامة للنصارى « وربما جاء ملك الروم وكبراء بطارقته متنكرا يحملون اليها الاموال والثياب والستور والفروش ويصوغون لها القناديل والاواني

---

(4) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، ج 1 ص 28 ـ 32 .
(5) مروج الذهب ، ج 1 ص 75 ، 76 طبعة دار الرجاء بالقاهرة سنة 1357 ـ 1938 .
(6) كتاب الحوادث ، ص 306 .
(7) كتاب الهدايا والتحف ، ص 3 طبعة حكومة الكويت ونشرها .
(8) كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ، ص 164، طبع بمطبعة عبد الحميد الحنفي ، سنة 1357 وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، 7 : 157 .
(9) الاوراق للصولي ، 1 : 45 طبعة مطبعة الصاوي سنة 1932 بالقاهرة .
(10) طبقات الشعراء المنسوب الى ابن المعتز ، ص 270 طبعة دار المعارف بالقاهرة .
(11) نسب قريش ، ص 177 طبعة دار المعارف بالقاهرة .

الذهب والفضة » (12) . قال القائل : « الاواني الذهب والفضة » ولم يقل الذهبية والفضية . وقال ابو الحسين هلال بن المحسن ابن الصابي في حضور رسول ملك الروم مجلس صمصام الدولة البويهي بدار المملكة ببغداد سنة 376 هـ : « وقد وضعت بين يديه الكوانين الذهب فيها قطع العود تتقد وتبخر » (13). قال : « الكوانين الذهب » ولم يقل الذهبية ، وقال المسعودي في اخبار يعقوب بن الليث الصفار الشعوبي الخارجي : « وقد كان انتخب من اصحابه الف رجل على اختبار لهم والغناء الظاهر منهم والنكاية في حروبهم فجعلهم اصحاب الاعمدة الذهب كل عمود منها فيه الف مثقال من الذهب ثم يليهم في اللباس والغناء فوج ثان : اصحاب الاعمدة الفضة فاذا كان في الاعياد او في الايام التي يحتاج فيها الى مباهاة الاعداء والاحتفال دفع اليهم تلك الاعمدة وانما ضربت هذه الاعمدة عدة للنوائب (14) ، وجاء في اخبار سنة 451 هـ قول ابن الجوزي : في استقبال الخليفة القائم بامر الله العباسي للسلطان طغرل بك السلجوقي : « فاخذ الخليفة مخدة من دسته فطرحها له بين يديه وقال : اجلس. فاخذ المخدة فقبلها ثم تركها وجلس عليها واخرج من خبائه الجبل الياقوت الاحمر الذي كان لبني بويه فطرحه بين يديه » (15) . فالمسعودي قال « الاعمدة الذهب والاعمدة الفضة » من غير نسبة ، وقال ابن الجوزي « الجبل الياقوت » ولم يقل الياقوتي ، لان الاعمدة الاولى مصنوعة من الذهب الخالص والاعمدة الثانية من اللجين الخالص ولان القطعة الكبيرة من الياقوت الاحمر المشبه للجبل كانت من الياقوت الطبيعي .

ومثل هذا النعت كثيرة يمتد تاريخها من القرن الثاني للهجرة بل من أواسطه الى العصور التي فسد فيه كثير من التعابير العربية وامسى الادباء لا يميزون بين الموصوف بالجواهر اعيانها والموصوف بالمنسوب اليها « كالكوكب الدري » ولا سيما الاجانب على اشتهار فضلهم وعظم خدمتهم للادب العربي واللغة العربية فضلا عن العلوم الاسلامية ، ولعل الغلط سرى منهم الى الادباء العرب وقد مضى تصريح سيبويه باستقباح الوصف بالجوهر نفسه مع انه لم يذكر ما يقوم مقامه ومضت الشواهد التي تدحض قوله ادحاضا ؛ وفي سنة 1923 ظهرت «تذكرة الكاتب» تاليف الفاضل اسعد خليل داغر وظهر فيها قوله : « ويقولون سافر فلان في السكة الحديد ، فكانهم يضيفون السكة الى الحديد او يجعلون الحديد وصفا للسكة وكلاهما خطأ والصواب ان يقال : سكة الحديد . او : السكة الحديدية » (16) ؛ فهذا الفاضل لم يتم دراسة « النعت والوصف » من نحو العربية ، فخطأ القائل « السكة الحديد » مع انه قول صحيح فصيح ، وعد كثير من الناس قوله صحيحا فسمت بعض الدول العربية سكة حديدها او سككها من الحديد « السكة الحديدية » و « السكك الحديدية » مع ان هذا الموصوف وصفته يدلان على معنى آخر ذكرنا مثاله في «الكوكب الدري» ، فدعوى الاصلاح ادت الى الوقوع في الخطأ بعد ترك الصحيح ، وهذا الفاضل المدعي الاصلاح في الذي قال لم يذكر دليلا على صحة قوله ولا ضابطا نحويا له ، ومن المعلوم ان الوصف يكثر فيه المشتق وما جرى مجراه كقولك : هذا رجل كريم عربي . ولكن النحاة اجازوا الوصف بالجامد لما رأوه مستعملا في كلام العرب الفصيح (17) . كما ذكرنا آنفا .

ومن ضوابط النعت غير المقررة في كتب النحو وصف جمع غير العاقل وجمع المؤنث السالم بجمع افعل ومؤنثه فعلاء فكثيرا ما كنا نقول

---

(12) المنتظم في تاريخ الملوك والامم لابن الجوزي ، 7 : 239 طبعة حيدر آباد الدكن

(13) رسوم دار الخلافة ، ص 16 طبعة مطبعة العاني سنة 1383 هـ — 1964 .

(14) مروج الذهب ، 2 : 444 طبعة المطبعة البهية بالقاهرة سنة 1326 .

(15) المنتظم ، 8 : 207 .

(16) تذكرة الكاتب ، ص 41 مطبعة المقتطف بالقاهرة . وقد توفي هذا الفاضل سنة 1935 وكان قد جادل الاب انستاس ماري الكرملي بعد انتخابه عضوا في مجمع فؤاد الاول للغة العربية سنة 1933 وذلك في جريدة الاهرام وانتقد عليه اوهاما في انشائه ، ورجا مني انستاس ان اكون حكما بينهما فكتبت في السياسة الصادرة في 11 يوليو سنة 1933 مقالا في ذلك ثم نشره انستاس مع مقال اسعد خليل داغر في كتابه اغلاط اللغويين الاقدمين ، ص 10 — 49 .

(17) كتابي المباحث اللغوية في العراق ص 13 طبعة المجمع العلمي العراقي .

« الكريات البيضاء والكريات الحمراء والاعداد الصماء والاوراق الخضراء والاعلام الصفراء » اعتمادا على ضابط فى النحو ناقص التحديد وهو جواز وصف الجمعين المذكورين بالصفة المؤنثة ، مع انه غير مطرد فى الوصف بفعلاء ، قال ابو العباس المبرد : (18)«ما كان من باب افعل اسما فجمعه على افاعل نحو افكل وافاكل والاكبر والاكابر نحو أحمر وحمر واصفر وصفر ... فان اردت نعتا محضا يتبع المنعوت قلت : مررت بثياب سود وبخيل دهم ، وكل ما اشبه هذا فهذا مجراه » . فهذا الضابط يثبت غلط الاوصاف التى قدمنا ذكرها ، وهي البيضاء والحمراء والصماء والخضراء والصفراء ، ويوجب « البيض والحمر والصم والخضر » . ويؤكد هذا الضابط ما ورد فى كلام العرب الفصحاء فضلا عن القرءان الكريم، قال تعالى : « عاليهم ثياب سندس خضر » وقال ـ عز من قائل ـ : « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ». ولم يقل بيضاء ولا حمراء ولا سوداء ، وورد فى مادة ع ل ق من مختار الصحاح « وفى الحديث (19) ارواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة » . ولم يقل القائل « الخضراء » وجاء فى مادة ح ر ر « والحرة ارض ذات حجارة سود نخرة كأنها احرقت بالنار » .

وبذلك نعلم الخطا فى ضبط وصف « حجارة » فى قول اللغوى فى مادة ل و ب « قال ابو عبيدة : اللوبة والنوبة بوزن الكوفة فيها : الحرة الملبسة حجارة سوداء » (20) ، وضابط السوداء فى هذا النص اللغوي اما الشيخ حمزة فتح الله ـ رح ـ واما الشيخ احمد العوامري ـ ر ح ـ كما جاء فى آخر الكتاب ، ص 746 . فالشيخان لم يعلما هذا الضابط الذى ذكرناه ، فالصواب « سودا » بالنصب .

ومن الضوابط الصرفية التى يجب ان تقرر القياس فيما يشيع استعماله بين الناس كصيغة الفعل الرباعي « فعله يفعله تفعيلا » بمعنى نسبه الى اصل معنى الفعل وهو الذى ذكرنا جوازه فى هذه المجلة البارعة (21) ولم نذكر شرط استعماله ، فشرطه ان يستعمل للانسان لا لغيره قياسا على امثاله من الافعال التى وردت فى كلام العرب الفصحاء بذلك المعنى كقولهم : بخله تبخيلا اي نسبه الى البخل وبدعه تبديعا : نسبه الى البدعة ، وبرأه تبريئا وتبرئة : نسب اليه البراءة ، وجرمه تجريما : نسب اليه الجرم وجوره تجويرا : نسبه الى الجور ، وحمقه تحميقا : نسب اليه الحمق ، وخطاه تخطيئا وتخطئة : عزا اليه الخطا ، وخونه تخوينا : عزا اليه الخيانة ، وخوره تخويرا : نسبه الى الخور، وزكاه تزكية : نسب اليه الزكاء، وزناه تزنية : نسب اليه الزنا ، وسفهه تسفيها : نسب اليه السفاهة ، وصدقه تصديقا : عزا اليه الصدق ، وضلله تضليلا : عزا اليه الضلال ، وظلمه تظليما : نسب اليه الظلم ، وعدله تعديلا : نسبه الى العدل ، وعقله تعقيلا : عده عاقلا ، وغلطه تغليطا : عده غالطا ، وفجره تفجيرا : عده تفجيرا : وقدسه تقديسا : نسبه الى القدس ، وكفره تكفيرا : عده كافرا ، فهذه واحد وعشرون فعلا خطرت ببالي عند ذكر هذا الاشتقاق الذي اراه قياسيا، فليست العربية خلية من افعال اخرى جاءت بهذا المعنى العام الخاص بالبشر ، فلذلك يجوز ان يقال :

« بررت فلانا » اي عددته برا وبارا ، اما « برر فلان عمله » او بررت فعل فلان فلا يجوز لانه خاص بالبشر ، كما ذكرت آنفا ، وينبغى ان يقال « سوغت عمله او فعله تسويغا » ، او « ابررته ابرارا » على ضعف اي جعلته مبرورا ، قال ابن فارس فى مقاييس اللغة : وتقول : بر الله حجك وابره وحجة مبرورة اي قبلت قبول العمل الصادق » . وجاء فى مختار الصحاح « وبر حجة بفتح الباء ، وبر حجه بضمها وبر الله حجه يبر يبر بالضم فيهما برا بالكسر فى الكل » . وعلى البناء للمعلوم يكون الحج بارا ، وباستعمال « ابره ابرارا » يكون معناه « جعله الله بارا » مع الضعف الذى اشرت اليه .

ومن الضوابط الناقصة الحد استعمال «النيف» قال مؤلف مختار الصحاح : « النيف : بوزن الهين : الزيادة ، يخفف ، يقال : عشرة ونيف ومائة ونيف وكل ما زاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد

---

(18) الكامل فى الادب ، 1 : 37 طبعة المطبعة الازهرية بالقاهرة .

(19) يراد بالحديث فى الصحاح ومختاره الحديث عموما لا الحديث النبوي الشريف خاصة .

(20) مختار الصحاح ، 607 طبعة المطبعة الاميرية سنة 1337 ـ 1919 م

(21) دعوة الحق ج 1 ص 52 فى شعبان 1388 ـ 1967 للسنة الثانية عشرة .

الثاني ، ونيف فلان على السبعين اي زاد ، واناف على الشيء اشرف عليه واناقت الدراهم على المائة اي زادت . وقال الشيخ ابراهيم اليازجي : « ويقولون : جاء بعدد ينوف على كذا اي يزيد . والصواب : ينيف، بالتشديد » . ومن هذه المادة يقولون : نيف وعشرون دينارا . فيقدمون النيف المسموع تأخيره ، يقال عشرون ونيف ومئة ونيف » (22) .

وقد اصاب الشيخ اليازجي في قوله الاول واخطا في اول القول الثاني ، لانه اعتمد على قسم واحد من الاستعمال وترك غيره ، فقد نقلنا ما جاء في مختار الصحاح في ذلك وهو ان يقال : عشرة ونيف ومائة ونيف وكل ما زاد على العقد نيف حتى يبلغ العقد الثاني » فليس في النص اللغوي ان « النيف » يبقى مؤخرا اذا بلغ العقد الثاني وما بعده من العقود الى التسعين ولو كان ذلك لمثلوا له، والصحيح ان الضابط هو ان النيف، اذا بلغ العقد الثاني وتجاوزه الى الثالث ولم يكن معه عدد معلوم وجب تقديمه ، فقولهم : « نيف وعشرون دينارا » هو الصواب في هذا التعبير ، وقول اليازجي : « وعشرون ونيف » خطأ مبين ، قال المبرد « وحدثني الحسن بن رجاء قال : قدم علينا علي بن جبلة الى عسكر الحسن بن سهل والمامون هناك (23) بانيا على خديجة بنت الحسن بن سهل المعروفة ببوران ونحن اذ ذاك نجري على (نيف وسبعين الف ملاح) وكان الحسن بن سهل يسهر مع المامون » (24) . وقال المبرد يروي عن النسابين في ذكر ام خارجة المضروب بها المثل في سرعة زواجها : « فكانت قد ولدت في العرب في (نيف وعشرين حيا) من آباء متفرقين » (25) وقال ابو محمد الهمداني في وصف بعض قصور البحر ومرافقه: « وفيها الاسطوانات العظيمات طول كل واحدة منها نيف وعشرون ذراعا » (26) . وجاء في اخبار الخوارج « فلم يزل الربيع الاجذم يقاتلهم نيفا وعشرين يوما حتى قال يوما : انا مقتول لا محالة» (27) وجاء ايضا : « وحمل يزيد (بن المهلب) عليهم وبه نيف وعشرون جراحة وقد وضع عليها القطن » (28) . اما مثال النيف الذي معه عدد معلوم فمثل ما ورد من قول كاتب الوزير القاسم بن سليمان وذكره ابو الحسين هلال بن المحسن المعروف بابن الصابىء ، قال : ثم اقبل الوزير على الكاتب وقال له : كم جملة ما ارجته مما كتب به خطه ؟ قال : ستة وثلاثون الف دينار ونيف . قال : واي شيء بقي من الاعمال ؟ » (29) . فالنيف مؤخر فيه .

فهذه شواهد واقع اللغة العربية في استعمال « النيف » تثبت ان ضابط الاستعمال لم يكن تام الضبط في كتب اللغة ولا في كتب القواعد الاخرى ؛ وهذا مصداق قولنا في مقالة النظرات : « وكما يصيب التعديل القوانين يصيب القواعد العربية ، ولمثل هذا انشئت المجامع اللغوية ، في العالمين والفت من علماء باللغات متبحرين قد بلغوا من علمها اطوريه وعرفوا من دقائقها كثيرا ، ومن اسرارها مقدارا وفيرا » (30)

---

(22) لغة الجرائد ، ص 29 مطبعة مصر بالقاهرة .
(23) هناك اشارة الى فم الصالح بلدة على مخلج نهر الصلح من دجلة في اواسط العراق ، وقد اندفن النهر ودثرت البلدة قبل عدة قرون ثم اندفنت دجلة واسط في القرن الثاني عشر للهجرة وخربت واسط الحجاج ، وهي من كبريات مدن العراق .
(24) الكامل في الادب 1 : 216 طبعة المطبعة الازهرية .
(25) المرجع المذكور، 2 : 54 .
(26) كتاب الاكليل ، 8 : 42 ، طبعة مطبعة السريان ببغداد سنة 1931 .
(27) الكامل في الادب ، 3 : 174 الطبعة المذكور
(28) المذكور ، ص 224 .
(29) كتاب الوزراء ص 285 طبعة دار احياء الكتب العربية سنة 1958 .
(30) دعوة الحق ، ص 50 .

وقد كنت استهدفت (31) الدفاع عن قطاع (32) اللغويين المدافعين عن لغة العرب من دائرة المعتنين بها اجمعين ، فى مقالتي المنشورة سالفا بعنوان « نظرات فى مجلة مجمع العربية » فوقعت فيها غلطات مطبعية يجب تداركها فقد جاء فى الصفحة الخمسين من الجزء الاول « اثناء مرضي » والاصل « فى اثناء مرضي» لان الاثناء ليست بظرف محض للمكان منصوب على الظرفية ، وقد وقع حذف حرف الجر قبل الاثناء فى كلام الاديب البارع الرحالة ابن جبير وليس ذلك بفصيح ، وجاء فى الصفحة الحادية والخمسين « توجب السكة الحديدية » والاصل « توجب السكة الحديد » وجاء فيها « حدباك » والاصل « حدباك » ، وجاء فيها « راسما » والاصل « واسما » . ووقع فى الصفحة الثانية والخمسين « اي المضي » والاصل « اي العضي ». ووقع فيها ايضا «قروتها» والاصل «قوتها» . وفى الصفحة الثالثة والخمسين «الثقات» والاصل «التفات» . وفى الصفحة الرابعة والخمسين «مجادلها» والاصل «مجاولها» جمع مجال وفيها ايضا الفعل «عشر» والاصل «عشق» وفيها «سنة فائدة» والاصل «فلا فائدة». وفيها «باب الاستقامة» والاصل «باب الاستعارة» . وفى الصفحة الخامسة والخمسين «من الثلاثية المعتدي» والاصل من «الثلاثي المتعدي». وفى الصفحة السادسة والخمسين «يجدر ان يكون جديرا» والاصل «اي يكون جديرا» .

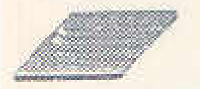
وانا اخشى ان استديم نشر المقالات اللغوية فى دعوة الحق البارعة لان خطي تركي من نوع «الرقعة» ويصعب على مرتبي الحروف المغاربة اقتراؤه وما هم بملومين ، والله تعالى الهادي الى سواء السبيل .

بغداد ـ مصطفى جواد

---

(31) جاء فى نهج البلاغة فى وصف الدنيا « العيش فيها مذموم والامان منها معدوم ، وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ، ترميهم بسهامها ، وتفنيهم بحمامها » قال العلامة عز الدين ابو حامد عبد الحميد ابن ابي الحديد المدائني الشافعي فى الشرح : ومستهدفة بكسر الدال : مهياة للرمي ، وروي مستهدفة بفتح الدال على المعقولية كانها قد استهدفها غيرها اي جعلها اهدافا » (شرح نهج البلاغة مج 3 ص 83 ، 84 طبعة دار احياء الكتب العربية الاولى) .

(32) القطاع على وزن صراف ، ويخطيء كثير من المدعين بالراد والخطباء فياتون به تارة على وزن كتاب وتارة اخرى على وزن غبار ، قال ابو عبد الله محمد بن احمد الخوارزمي الكاتب : « الشكل القطاع بفتح القاف وتشديد الطاء : قطعة من دائرة راسها اما على مركزها واما على محيطها مثل هذين الشكلين (مفاتيح العلوم ص 130 طبعة الطباعة المنيرية بالقاهرة سنة 1342) . وذكر ابن ابي اصيبعة ان لابي الحسن ثابت بن قرة الحراني كتابا فى « الشكل القطاع » (عيون الانباء فى طبقات الاطباء ج 1 ص 219 طبعة المطبعة الوهبيةبالقاهرة سنة 1299 هـ ـ 1886 م) .





للأستاذ الطاهر زنيبر
بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

اختلف العلماء والنقاد والادباء في التعريف بلفظة ثقافة وتحديد معناها ولسنا بحاجة الى تعداد مختلف مفاهيم هؤلاء العلماء للثقافة ، بل الذى يهمنا ان هذه المفاهيم تغيرت فى هذه الحقبة الاخيرة من العصر الذى نعيش فيه وان الملكات التى كان يجب على المثقف ان يكون حاصلا عليها ليحمل هذا الاسم صارت تكون نوعا من الثقافة فقط هو ما يمكن ان نسميه بالثقافة العامة وهو حسب المفهوم الجديد لا ينطبق الا على الحالة التى يوجد فيها الشخص الذى يريد ان يتعمق في ميدان الثقافة ، وبعبارة اخرى فان الحاصل على وسائل الثقافة العامة اصبح وكان له قدرة على الفهم والاستيعاب دون ان تكون له قدرة على الابتكار والخلق .

واننا اذا اردنا ان نزيد تعمقا فى هذا الموضوع فان الثقافة انقسمت الى فروع مختلفة كل فرع يكون ثقافة قائمة الذات ، فالعلوم تعددت حتى اصبح من الصعب ارساء قائمة قارة لها وكذلك التكنولوجية التى هي القواعد والوسائل التى ينبني عليها تطبيق العلوم ، ومثل هذا يمكن ان يقال في الآداب والفلسفة والتاريخ والفنون الجميلة وغيرها من مجالات المعرفة ، وهذه الظاهرة الجديدة قد فرضتها ظروف الحياة الجديدة التى صارت تطلب المزيد من التقدم ، بل ان البشرية تصبح كل يوم وهي تتساءل عما جد فى ميدان الابتكار والاختراع فى جميع المجالات ، من المجالات النووية والاليكترونية الى مجالات علوم التغذية والنسيج والخياطة والتجميل ، وبعبارة ادق فانه اصبح لكل مجال من هذه المجالات طائفة من الخبراء على اختلاف مستوياتهم العلمية والتقنية ، رصدت نفسها واتجهت بكل ما تملك من طاقة للمضي قدما في البحث للمزيد من الابتكار اصلا وفرعا للتقدم بالمجال الذى تخصصت فيه الى الامام .

وقد اصبح من البديهيات فى عصرنا أن الجامعات في الدول المتقدمة صارت تتطور بكيفية مطردة وانها لا تكتفي بتلقين العلوم والاداب والفنون على الكيفية التقليدية وحسب قواعد راسخة ، بل تضطر فى غالب الاحيان ان تغير برامجها وأساليبها كل سنة لئلا تتخلف عما وصل اليه البحث العلمي ولتزود طلابها بالمعلومات التى تساعدهم على ولوج الحياة وهم مسلحون بآخر ما وصلت اليه المعرفة بل ان الدول الراقية صارت تؤسس بجانب كل جامعة جهازا يتوفر على نخبة من العلماء تكلفهم بالبحث العلمي لتزويد كل مصالحها ، وفى مقدمتها الكليات ، بكل انتاج جديد فى مضمار البحث والتنقيب والاختراع، ومن انعكاسات هذا الوضع الذى لم يعرف من قبل فى التاريخ ، فان الجيل الصاعد من الطلاب صار يتخوف من المستقبل ويخشى الا يصبح غدا فى مستوى ما تصل اليه التيكنولوجية فى العالم واصبح يعبر عن قلقه فى بعض الاحيان بالعنف وصار يحسب لارائه الحساب ، ويطلب ان يشارك فى وضع البرامج وتقرير تعديلها او تحويرها ، وان يكون له صوت فى تقرير مواد واساليب الامتحانات .

اتينا بكل هذا للتدليل على ان العلم الذى صار يتقدم بخطى سريعة وعريضة صار لا يمكن ان ينتظر المترددين أو الخائرين او المتقاعسين وصار المعنيون بالامر وهم طلاب اليوم الذين سيصبحون علماء واطر الغد، يخشون من ان يسبقهم الركب فلا يكونوا فى مستوى الاحداث وان ينعم غيرهم بالفوائد المادية والمعنوية التى يخولها لهم ارتباطهم بمسايرة البحث العلمي ، بينما يكتفون بالبقاء فى ابراجهم العاجية وفى اطرهم التقليدية ، فتتحجر افكارهم ويصيرون يدافعون عن بضاعتهم البالية ، وتقف المجالات الجديدة التى انبثق عنها البحث العلمي امامهم عقبة كاداء لا يستطيعون صعودها فتنتج لهم عن ذلك عقد نفسية يرتطمون بها ولا يمكنهم التحلل منها الا اذا اعترفوا بالواقع وولجوا من جديد ابواب العلم والمعرفة ، لئلا تسبقهم الاحداث، وفى هذا الصدد فاننا نرى الدول المتقدمة تعمد الى علمائها وخبرائها فى مختلف المجالات وتفرض عليهم بعد حقبة من الزمن ان يدخلوا من جديد الى مؤسسات خاصة لمراجعة معلوماتهم وجعلهم يتابعون ما توصل اليه البحث العلمي ، وتنفق الدولة أو الشركات مبالغ هامة من اجل تكوين الاطر من جديد ولا تعتبر ان الانفاق فى هذا السبيل سيذهب سدى بل انها تعتقد اعتقادا جازما ان هذا انتج عمل توظف فيه الاموال ، وبالتالي تهيىء بواسطته الارباح الطائلة التى ستحصل عليها بسبب توفرها دائما على علماء وخبراء وتقنيين هم دائما فى ذروة ما وصل اليه البحث العلمي والتكنولوجية الحديثة .

وفى هذا المضمار ينبغي ان نبرز ان الدول الراقية لا تتحمل وحدها اعباء البحث العلمي بل ان الشركات والمؤسسات الصناعية والتجارية ترصد اعتمادات هائلة للبحث العلمي الخاص بعملها ، وتنشيء الى جانب مصانعها ومعاملها مؤسسات للبحث والتنقيب ، ومخابر للقيام بالتجارب العلمية توظف فيها عددا كبيرا من العلماء الاكفاء ، بل ان البحث العلمي اصبح فى غالب الاحيان يكون غاية لربح الاموال زيادة على كونه وسيلة لتقدم العلم والعرفان ، وبيان ذلك ان عددا من المؤسسات الصناعية صارت تحصل على عدد من المخترعات بواسطة علمائها ومخابرها فتبيع الاستفادة من كل المخترعات التى لا يمكنها ان تستثمرها بنفسها ، وبذلك تصبح بالاضافة الى اتجارها فى منتوجاتها الصناعية تستثمر العلم نفسه ، فيدر عليها ارباحا طائلة ، وهكذا اصبح العلم يكون مادة من المواد الخام التى تمر بالمختبرات فتصبح طاقة خلاقة تباع وتشترى ، وتسجل فى السجلات القانونية وتحرر فى شانها العقود ، وصار يوجد فى العالم سوق للمخترعات ، له رواده وزبناؤه كل هذا يدلنا على ان شجرة العلم اصبحت راسخة القدم عميقة الجذور وان فروعها اينعت وانتجت من البراعم ما لا يصله العد والاحصاء وان متعهدي هذه الشجرة يكرسون مجهودهم على ان تلد من الثمرات دائما ما هو احسن كما وكيفا ، فطوبى لمتعهدي هذه الشجرة فالمستقبل لهم والسعادة تنتظرهم فى خاتمة المطاف .

واننا فى هذه العجالة وعلى اعمدة هذه المجلة لا يمكننا ان نأتي بكل الجوانب التى تكتنف هذا الموضوع الضخم الذى لا يكفي لايضاحه والقاء الاضواء الكافية عليه عدد من الكتب ، وانما مقصدنا فى هذه السطور ان ننبه القاريء الكريم وعلى الاخص طلاب الجامعة ، والمتعلمين على وجه العموم انه طرا تحول كبير فى العصر الذى نعيش فيه فى مدلول ومفهوم الثقافة والعلم فبينما كان العلم والثقافة يتطوران بكيفية بطيئة بحيث يمكن ان نحسب مراحل هذا التطور فى الماضي على اصابع اليد فان هذا التطور صار اليوم يثب وثبات سريعة مطردة حسب دبدبة يمكن ان تقارن بدبدبة التيار الكهربائي ان صح هذا التعبير ، ولا ادل على ذلك من الاخبار التى نتلقاها كل يوم عن تطور العلم والثقافة ، فعلى كل الذين يهتمون بهذه الميادين الحيوية ان يجعلوا هذه الحقائق نصب اعينهم وان يفهموا ان التخصص هو سر النجاح فى الثقافة ، وان هذه اللفظة التى كانت غامضة فى الاذهان ، اصبحت اليوم واضحة بفضل التحول الجذري الذي انتهجه البحث العلمي ، وان الذى كان عليه فى الماضي ان يعرف بشيء من التلكؤ والتعثر لفظة ثقافة صار من السهل عليه الان ان يحدد مدلول الثقافات وبالتالي فان المتخصص فى كل فرع من فروع الثقافة او فى احدى الثقافات اصبح يبني صرحا جديدا للعلم والمعرفة ، واننا نربأ بعلمائنا ان يتخلفوا عن الركب الذى يضطلع بهذه المهمة السامية النبيلة ، وهذا الهدف الذى تشرئب اليه الاعناق فى جميع ربوع المعمور .

سلا : الطاهر زنيبر

آفاق عربية إفريقية

الأحوال اللغوية في افريقيا السوداء ومركز العربية في القارة

للأستاذ المهدي المرجالي

للغة العربية في افريقيا السوداء ، ماض طويل ، وحاضر غني بمختلف الوعود ، فالى اين يتجه الضاد في مناطق جنوب الصحراء ؟ وهل من امكان لاسهامه في القضية اللغوية الكبرى ، التي تواجه افريقيا الحديثة ؟

اللغات التي يتكلم بها في افريقيا السوداء ، بالغة حدا اقصى من الكثرة والتشعب ؛ بحيث انك تستطيع ان تحصيها في نطاق القطر الواحد ، بالعشرات ، اما اذا اضفت اللهجات الصغيرة المستعملة في نفس القطر فيسعك حينئذ ــ في بعض الاحيان ــ ان تعد ذلك بالمئات ، ففي « الكامرون » مثلا ، يرتفع عدد اللغات واللهجات المتكلم بها الى 70 وفي ساحل العاج 72 . ولغات « نيجيريا » تقدر بنحو 50 . اما في غانا ، فاللغات تتراوح فيما بين الاربعين والستين، واما اللهجات الصغيرة ، فيحصونها بحوالي 800 . وهكذا الحال بصورة تقل عن هذا او تكثر في المناطق الاخرى من افريقيا . وقد يعلل المرء هذه الحالة من التعدد الواسع في اللغات واللهجات الافريقية ، بكون عدد هذه المناطق لافريقية عاشت طويلا في عزلة عن بعضها البعض ، وذلك بفعل الحواجز الطبيعية كالادغال والصحاري والانهار والمستنقعات ونحوها . وقد يوتى بغير هذا من التعليلات ، يحاول بها تفسير الصورة الموجودة . وعلى اي ، فالتعدد اللغوي المتمثل في كثرة اللغات واللهجات بالقارة واختلافها عن بعضها البعض، يقوم كظاهرة قائمة وبارزة في افريقيا . ومن اكبر الظواهر التي تلفت انتباه الدارس للاوضاع الافريقية. ولا شك أن كثرة اللغات في المنطقة الواحدة على نحو ما ذكرنا . يخلق في العادة حالة ضعف في قدرات هذه اللغات المتكاثرة ، وتشعبا في التعبير بها لا يساعد على تكوين صورة ثقافة قوم من الاقوام ، تتميز بقوة ايحاءاتها ، وتناسقها الضروري . وفي افريقيا ، يلحظ ايضا شيء من هذا في الكثير من اللغات التي تنتشر على نحو متشعب في طول القارة وعرضها . فالعديد من هذه اللغات ، محصور في نطاق التعبير عن احوال الحياة البسيطة اليومية ، ولا يتوفر لها في معظم الاحوال تنظيم كتابي ولا اطار كافي لتقعيد الاسس التي يقوم عليها التعبير بها ، ومع ذلك فان حركة الفكر والثقافة بافريقيا الحديثة ، تسير خطوات متقدمة ، ويسجل الانتاج الثقافي الافريقي ارقاما لا باس بها بسبب ما يصدر للمؤلفين الزنوج من قصص ودواوين وابحاث مختلفة ، وبعض هذا الانتاج ينصب على القضايا الافريقية بالذات ، ويتجاوب مع الافكار والحقائق الجديدة في القارة . وغني عن البيان ان اللغات الافريقية الصغيرة، المنتشرة على نطاق قبائلي في افريقيا ، لم تهيا ــ في الغالب ــ لتكون اطارا مستوعبا لحقائق الفكر الافريقي الجديد وتطورات الحياة العصرية التي تندرج افريقيا في سلكها اكثر فاكثر ، وحتى لو كانت هذه اللغات الافريقية الكثيرة المتشعبة ، لها نصيب ما من القدرة

على شيء من هذا القبيل ، فان تعددها البالغ ، يحول بينها وبين أن تعبر عن اضخم فكرة افريقية ، واولاها في عصرنا ، وهي فكرة الانبعاث الافريقي المتوازي ، المستمد روحه وصورته من اصول الحضارة والثقافة المشتركة بين الشعوب الافريقية ، ومن ثم ، فان اللغات الصغيرة التى ذكرنا ، محكوم عليها – كما يظهر – ان تستمر كمجرد ادوات صغيرة للتفاهم ، مثل ما هنالك من لغات محلية صغيرة فى مختلف اطراف العالم ، يبقى اذن جانب اللغة أو اللغات الثقافية بافريقية ، اللغات المفروضة فيها ان تكون وعاء لحمل معطيات الثقافة الزنجية ، بشتى اشكالها والوانها . ان هناك فى افريقيا – على ما يبدو – تسليما عاما بضرورة تطوير الوضع اللغوي بالقارة ، ليسير فى هذا الاتجاه الحتمي ، القاضي باعادة بناء الشخصية الثقافية الافريقية ، واذا قلنا عن اللغات الصغيرة المتشعبة ، انه من المحكوم عليها ان تبقى أدوات للتخاطب على نطاق جد محدود ، فذلك انه لا يبدو ان هناك فى القارة اتجاها حقيقيا الى تطوير هذا الخضم الهائل من اللغات، واعداده. هكذا التعبير عن الحضارة الافريقية والوحدة الثقافية الافريقية فى نفس الوقت . ولا يستمر الفكر الافريقي فى الانتظار، ليجد بديلا لغويا ، يستعين به فى التعبير عن تطلعاته وانفتاحاته ، لقد وجد المثقفون فى افريقيا منذ البداية هذا البديل ، فى صورتين قد تبدوان متناقضتين من جهة، ولكنهما استصلحتا – مع ذلك – وبكل ما يوجد بينهما من تباين ، فى خدمة اهداف الادب الافريقي الحديث ، المحتاج للتعبير عن نفسه ، بأي وسيلة يكون هذا التعبير . (الصورة الاولى) تضم مجموعة اللغات الاوروبية السائدة فى القارة ، وهي الانجليزية والفرنسية ، بدرجة اولى ، ثم البرتغالية بنسبة أقل ، وتأتي الاسبانية بعد ذلك ، وشأنها ضئيل بالنسبة لغيرها . لقد صيغ الكثير من اشكال الادب الافريقي ، الصادر خلال هذا القرن ، فى اساليب اوروبية ، يبلغ بعضها درجة مهمة جدا : فى مضمار البلاغة الاوروبية ، بيد ان مضمون هذه الانتاجات او مضمون البعض منها على الاقل ينضح بنكهة بارزة ، وتتبلور من خلاله آفاق فكر ، تتفق مع التطورات الواسعة التى تعرفها القارة الافريقية (الصورة الثانية) وتشمل عددا من اللغات الافريقية التى استصلحت خلال العقود الماضية ، أدوات تعبير عن الفكر المحلي ونشرت بها – ضمن هذا الاعتبار – كتابات افريقية مختلفة .

أن هذه اللغات الافريقية ، لا تدخل فى باب اللغات الصغيرة المنتشرة فى افريقيا ، والتى تستعمل عادة كوسيلة تخاطب ، اكثر مما تستخدم لغات تعبير عن معطيات الفكر والحضارة بل تعتبر – عكس ذلك لغات كبيرة ، بسبب ما لها من سعة فى امكانيات التعبير ، وما لبعضها من احتكاك يمتد على مدى التاريخ ، بالتيارات اللغوية والثقافية ، الواردة على افريقيا من نواح اخرى فى العالم! وعلى هذا ، فهناك مجال للتمييز فى ميدان التعبير اللغوي بافريقيا بين لغات صغيرة ، واخرى كبيرة ، وهذه الاخيرة ، تقوم بدور لا بأس به فى التعبير عن بعض مناحي الكتابة الصدفية ونحوها ، وتمثل من خلالها – كما سلف – الوسيلة الثانية المستعملة فى الكتابة ، بافريقيا . اما الوسيلة الاولى ، فهي وسيلة اللغات الاوروبية ، وابرز اللغات الافريقية الكبرى التى ذكرنا ثلاث لغات : اللغة السواحلية ، وتسود مناطق شرقي افريقيا بوجه عام. ويتكلم بها هكذا فى كل من «كينيا» و «اوغندة » و « طانزانيا » واقاليم الكونغو الشرقي وزامبيا وجزر القومور والساحل الغربي لـ « مدغشقر » ويقدر مجموع المستعملين للسواحلية بما يربو على الثلاثين مليونا ، اما اللغة الكبيرة الثانية فى افريقيا فهي لغة « الحاوسة » وتروج فيما بين نيجيريا والنيجر ويتخاطب بها ما يربو على العشرة ملايين منتشرين فى مساحات شاسعة .

واما ثالثة هذه اللغات فهي لغة « البوله » وموطنها بالخصوص فى غربي افريقيا ، وتنتشر بين مجتمعات مختلفة هنا وهناك ، تمتد من السينغال على الساحل الاطلسي الى الكامرون و «البوله» ليسوا سودا خالصي السود، وانما هم اقرب الى السلالة البربرية او الحبشية ، وقد اسسوا دولة غانا فى القرن العاشر

ان هناك ملاحظات بشأن هذه اللغات الكبيرة ، يمكن ابداؤها فى النقط التالية :

1) انها رائجة فى افريقيا على مستوى واسع جدا ، يشمل دولا عديدة ، وتلتقي فى محيطه مجتمعات قبائلية متعددة ، تنتشر هنا وهناك فى القارة . ويصف البعض اللغة السواحلية على الخصوص بانها لغة دولية ، والواقع هو هذا وان كان لا يعني أن هذه اللغات توجد وحدها فى المناطق المنتشرة فيها ، بحيث لا يزاحمها فى ذلك مزاحم

2) للغات الكبيرة هذه ، امكانيات مهمة جدا ، لا تتوفر قيمة اساسية للغة ما الا بها ، ومن ذلك انها ، اي هذه اللغات او بعضها على الاقل لغات مكتوبة ، ثم ان لها ، الى ذلك مجالا اوسع بكثير مما لغيرها فى مجال التعبير عن الصور والحقائق ، مضافا الى هاتين الميزتين ارتباطها بتراث ثقافي وحضاري مما تعتز به افريقيا . وتعتمده فى جملة ما تعتمد عليه من معطيات دالة على ثقافتها فى السابق ، وكل هذا مما لا يتوفر لكل لغة صغيرة او لهجة جارية ، مما يهب او يدب هنا وهناك فى افريقيا او غيرها .

3) ارتباط هذه اللغات ، وبالاخص السواحلية، باللغة العربية ، وتأثرهما بهذا الارتباط ، تأثرا ايجابيا بالغا ، والواقع أن الميزات التى اسلفنا ان اللغات الافريقية الكبرى تتمتع بها ، هذه الميزات راجعة فى الاغلب الى هذا الارتباط الذى لها بلغة الضاد .

* * *

يبرز هنا سؤال عن مركز العربية نفسها فى افريقيا السوداء ، ما دام ان لها كل هذا الدور الذى لعبته فى القارة الى حد ان تعتبر كمصدر لبعض الميزات التى تتوافر لبعض اللغات الافريقية الكبيرة ؟ الحق ان للعربية وضعا خاصا فى افريقيا لا يماثلها فيه غيرها ، فهي ليست ــ بطبيعة الحال ــ من قبيل اللغات الاجنبية التى تروج فى القارة ، لانها تنتسب الى القارة فعلا ، وتعتبر ــ فى الاساس ــ لغة افريقية، على اساس انها اللغة القومية لمجموع الشريط الساحلي ، الشمالي لمجموع افريقيا ، ويمتد هذا الشريط على البحرين المتوسط والاحمر كليهما ، فللعربية من هذه الناحية ، تلاحم صميمي مع القارة، الا انها فى نفس الوقت ، لا تعد لغة زنجية ، كلغات افريقية الزنجية، ولا نقول هذا بالنظر لاصلها السامي، واللغات الاخرى لغات حامية ، وانما نقوله لسبب آخر ، وهو ان العربية لا تقوم كلغة قومية وحيدة فى قطر من اقطار افريقيا السوداء ، لكننا اذا نظرنا الى الامر ــ من جانب آخر ، فاننا نجدها ــ رغم هذا ــ ذات تداخل واسع مع اللغات الافريقية ولها من التأثر فى هذا المضمار خلال الماضي والحاضر ما يعطي الحق فى ان تدرج ضمن الحديث عن اللغات السائدة فى جنوب الصحراء ، ان للعربية ــ بناء على هذه الاعتبارات ــ وضعا خاصا داخل مناطق جنوب الصحراء ، وهو وضع يتميز ــ فى الكثير ــ بايجابيته التى لا تنكر ، ويتلخص فى كون العربية وان كانت غير متكلم بها فى افريقيا السوداء على نطاق واسع ، فانها ــ مع ذلك ــ يجب ان تعتبر عنصرا لغويا هاما فى المنطقة ، ويجب أن يقيم مركزها هناك ، على أساس هذا الاعتبار بالذات .

* * *

يعود عهد اللغة العربية بافريقيا السوداء الى تاريخ طويل جدا ، يقترن بتاريخ الانتشار الاسلامي جنوب الصحراء. وقد امتدت حركة الاسلام عبر الصحراء الكبرى الى افريقيا ، على مراحل طويلة ومتدرجة . وكذلك كان دخول العربية الى المنطقة ، بحيث يصعب تحديد تاريخ جد مضبوط ، يميز بين فترة الانتشار الاولى، وفترة الاستقرار الذى تلا ذلك مباشرة، وادى الى تمكن هذه اللغة من امرها فى المجتمعات الافريقية ، وبدئها عملية التأثير الفعال على الاوضاع اللغوية الافريقية ، على انه مهما كانت بداية هذا التأثير الفعال ، فان حياة العربية فى افريقيا ــ وقد تطورت خلال القرون الموالية ــ قد رافقت مراحل السياسة والثقافة بالقارة السوداء ، وشاركت فى ذلك بالقدر الذي يؤهلها اليوم لان توصف بانها جزء من التراث القومي الزنجي ، ومصدر من مصادره الرئيسية ، وليس من همنا هنا ان نعرض لهذا الماضي الطويل ، بكل ما يمكن ان يتبين من معالمه ، وانما ينحصر الفرض فى نطاق محدود ، هو استجلاء بعض الآثار الموجودة الآن فى افريقيا ، والدالة على اهمية هذه الماضي ، وما تم خلاله من تداخل عميق بين العربية ، واللغات الزنجية الكبرى فى القارة .

ولنتطرق ــ اولا ــ الى الملابسات الانسانية البادية بهذا الصدد ، واول ما نلحظ من هذا ، ان الظاهرة المتمثلة فى اللغات السواحلية ، وما تشير اليه من دلالات عربية لها شأنها ، فقد نشأت اللغة العربية فى ظروف تميزت بحركة تمازج عربي افريقي بعيد المدى فى افريقية الشرقية ، وقد تجلت الصورة الانسانية لهذا التمازج فى الجماعات الافريقية التى تعمر الكثير من مناطق الساحل الشرقي الافريقي والتى يجري فى عروقها خليط من دماء عربية وزنجية، اما الصورة اللغوية لهذا التمازج ، فتتجلى فى اللغة السواحلية بالذات ، التى هي مزيج من لغة «البانتو» الزنجية ، واللغة العربية ، ويشير اسمها نفسه الى هذه الصلة التى لها بالعربية ، لان الاسم اسم عربي تماما ، يعني النسبة الى السواحل ، ويقصد بذلك على ما يظهر ــ اما أن السكان الذين يتكلمون هذه اللغة،

يعيشون على الساحل ، وهم ينتشرون فعلا على امتداد المناطق الساحلية لشرق افريقيا ، واما يراد به أن العرب الذين امتزجوا بالسكان الزنوج فى المنطقة ، قد أتوا فى الاصل عن طريق الساحل ، وهذا ما تم فى الواقع اذ هاجرت اعداد كبيرة من عرب الجنوب والخليج ، الى السواحل الشرقية لافريقيا واستقرت بها ، حيث أثرت بصورة قوية على المنطقة ، وطبعها بطابع سلالي ولغوي ذي صبغة خاصة ، ويقدر بعض الباحثين . ان ما تحويه اللغة السواحلية من الفاظ عربية الاصل ، يبلغ نحو الاربعين فى المائة ، واكثر من هذا ، فان هناك بعض الاجزاء من المنطقة ، يقوى فيه استعمال العربية نفسها ، وان كان ذلك على طريقة اللهجات العربية السائدة فى الجنوب والخليج .

واذا حولنا النظر من شرقي افريقيا الى اواسط افريقيا ، حيث يوجد للغة الحاوسة مجالات انتشار مهمة ، فاننا نلحظ ايضا نفس الحضور اللغوي العربي ، يتمثل فى هذه اللغة هي الاخرى ، مثل ما يتمثل فى اللغة السواحلية ، ان لغة « الحاوسة » لغة زنجية ، تنتمي — من حيث الاصل اللغوي — الى لغات العائلة التشادية ، واكبر مواطنها — كما سلف — فى النيجر ، وخاصة الجنوب منه ، كما تنتشر على نطاق واسع ايضا فى شمال نيجيريا . وتستعمل ايضا — على درجات متفاوتة فى نواح مختلفة اخرى من غربي افريقيا وتعتبر لغة الحاوسة على العموم كلغة صلة بين المناطق الذاهبة من الطوغو الى الكامرون ، ومن الصحراء الكبرى الى خليج « غينيا » ومن هنا ، اهميتها كلغة مشاعة ، مثل ما هو الحال بالنسبة لـ « السواحلية » وقد انتشر الاسلام بين قبائل « الحاوسة » الذين هم خلطاء « البوله » ابتداء من القرن 14 م . ومن ذلك الحين و « الحاوسه » كلغة — تعرف نموا متزايدا بفعل ما تتلقاه من مصطلحات عربية ، كما تعرف نفوذا مطردا كنتيجة لاتساع الصلات بين الشمال الافريقي والجنوب الافريقي عبر الصحراء ، اما اللغة الاخرى، لغة « البوله » فتنتشر كما تعرف ، فى غربي افريقيا وتمت اليها بالصلة جملة من اللهجات بفولتا العليا و « فوتا دجالون » وغير ذلك ، وتنطوي فى مختلف الاحوال على عناصر عربية مهمة واذ نواصل فحص المؤثرات العربية فى لغات افريقيا ، نجد فى الخط العربي المكتوبة به هذه اللغات ، عنصرا مهما جدا من عناصر هذا التأثير ، وصورة قوية من صوره ، فسواء فى اللغة السواحلية او لغة الحاوسة او غيرها من اللغات المكتوبة فى افريقيا ، فان الحروف العربية استعملت خلال القرون اداة للكتابة عند الذين يكتبون لغة من هذه اللغات . وصلاحية هذه الحروف للغات الافريقية قد اغنى افريقيا خلال العصر الوسيط عن تلمس طريقة اخرى للكتابة بحروف غير الحروف العربية ، ومن ثم ، اندمجت مختلف الابجديات الافريقية فى نطاق الخط العربي ، وان ذلك لم يحل دون التصرف بالحروف العربية ، لتلائم ظروف اللهجة الافريقية ، وفى العصور الحديثة ، وبسبب تولي الاوروبيين مقاليد الامور بجنوب الصحراء ، واحتكاك الافارقة باللغات الاوروبية ، ظهرت اتجاهات متعددة الى الاخذ بالحروف اللاتينية ، عوضا عن الحروف العربية ، مثل ما حدث فى اندونيسيا وتركيا بالقارة الاسيوية ، بيد أن هذه الاتجاهات — وان كانت قد ادت فعلا — الى « تلتين » الكتابات الافريقية فى عدة احيان ، فانها لم تستطع — رغم هذا — من اقصاء الحرف العربي بالمرة ، حيث لا يزال العمل جاريا به عند الكثير من الافارقة ، وخصوصا الذين تعودوا عليه من الناطقين بالسواحلية و « البوله » و « الحاوسة » وقد يبدو ان السواحلية، اشد تمسكا من غيرها بالتأثير العربي ، نظرا لارتباطاتها الخاصة باللغة العربية ، ونسبة التمازج العربي الزنجي العميقة جدا فى ربوع افريقيا الشرقية ، ولكن الذى هو ملحوظ فى واقع الامر ، ان غربي افريقيا ، يوجد فيه هو ايضا آثار من هذا التحدي للنزعة اللاتينية على الرغم من ان « التلتين » قد تحققت له نجاحات فى هذه المنطقة من افريقيا ، اكثر مما حققه مع افريقيا اللغة السواحلية ، فعندما يخالط المرء قبائل ، افريقيا غربية ، كـ « الولوف » و « السونينكي » وغيرها ، يشهد كثيرا من الحالات التى تقع فيها الكتابة بالحروف العربية ، وحتى فى افريقيا الشرقية بدت نماذج خط للغة السواحلية بالحروف اللاتينية ، لكن الذى يمكن تاكيده هو ان الحرف العربي اعمق أثرا فى افريقيا السوداء من ان يتلاشى أثره فيها ، ولا شك انه سيستعيد بعضا مما كان له من سابق ذيوع فى افريقيا بعد ان اخذت العربية تسترجع قدرا اكبر من الحيوية فى المنطقة .

* * *

تميز العقدان : الحالي والذى قبله ، بالحركة التاريخية الكبرى التى عرفتها جنوب الصحراء ، وادت الى تتابع استقلال الاقطار الافريقية ، بما فيها

من اراض قارية وجزر الى ان يكاد يتم استقلال القارة كلها ، اذا ما استثنينا مناطق الاستعمار البرتغالي والاوضاع العنصرية ، وبعض البقايا الصغيرة غير ذلك . وعندما اندفع التيار التاريخي الجديد ، لم يؤثر في منطقة مخصوصة اكثر من غيرها ، ومن ثم ، فانه لم يمض الى تحرير افريقيا الناطقة بالانجليزية اكثر من تلك التي تنطق بالفرنسية ، وغيرها ، ولم يبق على التي تتكلم بالبرتغالية ، بعيدة عن التيار، وان كانت لم تتحرر بعد ، وتلتحق بالتيار، ان اندفاعية التحرر ، بشكلها المتوازي ، الشامل لافريقيا لتعكس في هذا ، قدرا كبيرا من التشارك في المصير السياسي للقارة ، ومثل هذا الثقافي ايضا ، فمن اقوى النوازع واكثرها اجتذابا للاهتمام الافريقي الآن ، لم شعث الثقافات الافريقية ، واحياء ما يجب احياؤه منها ، وتجديد ما يتعين تجديده ، والبحث عن مختلف السبل والوسائل المؤدية لذلك ، مع الابقاء على الجوهر الذى تقوم عليه العناصر والاكثر فاعلية مما انحدر الى افريقيا من ماض ثقافي له قيمته واهميته ، من هذا الباب ننظر الى ظاهرة العناية الواسعة التى اخذ كثير من اقطار افريقيا يوليها للعربية ، فهذه الظاهرة لا تستمد اهميتها من مجرد وجودها بالذات ، بل ايضا لما تنطوي عليه من دلالات بليغة ، تتصل بكيان اللغة العربية فى افريقيا السوداء من اساسه، وبماضي ثقافة القارة ، وهي ثقافة تعبر عنها العربية مباشرة او بالايحاء للغات الافريقية المختلفة ، كما يتصل الامر كذلك بمستقبل ثقافة افريقيا ، باعتبار كون العربية جزءا من التراث الافريقي ، وقد اتخذت عناية الاقطار الافريقية بالعربية ، اشكالا ايجابية ، تتعلق عموما بتعليم الناشئة ، فتوسع — على هذا الاساس — نطاق تعليم العربية — بالمعاهد الافريقية ، وطورت بعض المؤسسات ، التى تسود فيها العربية، وانتهجت احيانا سياسات لتكوين معلمين بالعربية ، وكل هذا ، الى استمرار المؤسسات التقليدية في اداء ادوار بهذا الخصوص ، ادت مثيلها منذ قرون. واذا ما اتخذنا غرب افريقيا كمثال — وهو فعلا من اهم الامثلة التى يمكن سوقها في الموضوع — فامامنا فى هذه المنطقة من القارة منطقة الغرب الافريقي ، ثلاث دول رئيسية ، هي : مالي والسينغال وغينيا وكل من هذه الدول سلك سبيلا مشجعا للعربية ، خاصة في ميدان التعليم . ويكفي ان ندرك ان كلا من الدول الثلاث ، قد ادخلت الضاد الى معاهدها

الثانوية ، يدرس هناك بصورة منتظمة للاطفال المحليين ، وفى نيجيريا صورة مماثلة لهذا ، حيث اقر فيها — هي ايضا — تدريس العربية داخل المؤسسات الثانوية ، وهناك — الى هذا مدارس عديدة — تقوم على تلقين اصول الثقافة الاسلامية ، ويرجع تاسيس بعضها الى مبادرات عربية ، وقد قدر عدد رواد هذه المدارس بالالاف ، ولا شك ان نسبتهم ستزداد ارتفاعا كنتيجة لارتفاع قيمة العربية فى افريقيا ، ثم بسبب تهيؤ الفرصة هكذا لعشرات الآلاف من المتعلمين كي يحصلوا على معرفة بالعربية، فى اطار برنامج عصري يضم كثيرا من المعلومات الحديثة ، وقد كانوا يتلقون العربية قبل ، باساليب عتيقة ، لم تكن تمكنهم من الضاد بما يجب ان يعرف به . ان هذه العناية بالعربية التى راينا صورا منها فى افريقيا على المستوى الرسمي ، هذه العناية لا تنبع دوافعها — كما نرى — من اعتبارات دبلوماسية ونحوها ، حيث ان المبادرات المتخذة لتشجيع العربية، لا تتعلق بالضرورة بمصالح دولة من الدول التى تعنيها العربية خارج منطقة افريقيا السوداء ، بل ان الامر فى كل ذلك موجه مباشرة لابناء الدول الافريقية نفسها التى تبذل هذه العناية ، فاذا تحصل هذا ، فهو يعني — بالبداهة — ان مسالة تشجيع العربية ، وتركيز تعليمها مسالة قومية ، تدخل فى مضمون الاعتبارات القومية ، التى توحي للدولة من الدول باتخاذ نهج ما ، مستوحى من الحقائق الانسانية الماثلة في مجتمعها ، وقد لا يكون مدلول هذه العبارة واضحا — بما يكفي — اذا لم نذكر تبيينا له — ان نهج سياسة تشجيع العربية فى افريقيا السوداء انما هو تجاوب مع حقيقة اجتماعية وثقافية يقوم عليها امر المعرفة الاولية عند المجتمعات التى تنهج فيها مثل هذه السياسة ، لقد قامت المعرفة فى هذه المجتمعات — وطوال قرون — على اساس العلم بالقرءان — اولا — وما يقتضيه حفظ الكتاب الكريم من دراية بالابجدية العربية ، وهذا منطلق المعرفة الاساسية ، المنطلق الذى يصار منه — بعد ذلك — الى طرق ابواب الثقافة الاسلامية لمن تيسر له شيء من ذلك، كما نعرفه فى المجتمعات العربية ، وخاصة قبل نشوء المدرسة الحديثة ، وهو نفس السبيل الذى يسلك فى كثير من اقطار افريقيا الاسلامية ، لا يختلف فى هذا شيء عن شيء ، الا فى وجود الثقافة العربية منتشرة على اوسع نطاق في المجتمعات العربية ، ومحدودية وجودها الواقع فى اضيق نطاق بافريقيا ،

نظرا لوجود لغات محلية غير العربية ، تقوم بما تقوم به العربية عند العرب ، لقد احصوا في اوائل هـذا القرن بـ « نيجيريا » وحدها ، حوالي خمس وعشرين الف مدرسة قرءانية ، تضم بطبيعة الحال عشرات الآلاف من المتعلمين النيجيريين ، وهذا العدد الضخم يمثل مجرد جيل واحد من الاجيال المتعاقبـة التـي يقودها العرف السائد الى نفس المدارس القرءانية، ولتسلك نفس الطريق. وقد زاد العدد بعد ذلك ولم يتقلص ، على الرغم من بروز المعاهد الحديثة . وقد أصبحت ـ كما سلف ـ تلقن هي ايضا أصولا عربية ، وما في حكمها : ان عدد المدارس القرءانية يبلغ الآن حوالي ثلاثين الفا او تزيد . و « نيجيريا » صورة واحدة من صور كثيرة اخرى مماثلة لهذا في غرب افريقيا . ففي السينغال ايضا ، يقاد الاطفال عادة من سن الخامسة ، الى الكتاتيب القرءانية ، وكثيرا ما يقضي الطفـل سنوات صبـاه كلها تلميذا بالكتاب القرءاني حتى يشارف سن المراهقة !. وفي افريقيـا الشرقية ، تنتشر المدارس القرءانية كذلك على نطاق واسع ، بحيث تجد في كل قرية كتابا قرءانيا تقريبا، وفي مختلف الحالات ، تقوم بين المعلم او الفقيـه ، وبين التلاميذ ، علاقات تعاونية متينة ، على غرار ما هو معهود قديما في الكتاتيب القرءانية ، وتستعمل في عدة احـوال اللغـات المحليـة لتفهيـم القـرءان للتلاميذ ، الا ان التحفيظ يتم باللفظ العربي على اي حال ، وبالجملة فالكتاتيب او المدارس القرءانية مـا فتئت تؤدي دورها في استمرار الصلة بين العربية والاجيال الافريقية ، وقد اخذت المدارس الحديثة في افريقيا ـ بعد ان دخلت فيها العربية ـ اخذت سبيل العمل على تعزيز هذه الصلة التي للافريقي بالعربية .

* * *

وثمة مظهر ءاخر لحيوية الوجود اللغوي العربي بالقارة ، يتجلى ذلك في تعـدد المتكلميـن بالعربيـة والذين يفهمونها من الافارقة انفسهم ، ومـن صـور ذلك : ان مدرسة الدراسات العربيـة باحـدى دول الغرب الافريقي يوجد فيها مدرسون من بين الافارقة انفسهم ، وفي قلب القـرى الافريقية ، تجـد مـن يخاطبك بالعربية من الافارقة ، ويورد بهذا الصدد ، حسب معلومات ترجـع الى سنة 1960 ان كـل قرية سنغالية ، لا بد أن تجد فيها ما بيـن اربعـة وخمسة على الاقل ، يلمون بالعربية كتابة وقراءة ، وليس هذا في الواقع حال السينغال فحسب بـل الذي يستطيع ان يلحظه السائح المعني بفحص دقائق الامور في افريقيا السوداء وجود غير واحد من الذين يدركون العربية ، سواء على ساحل الاطلسـي في الغرب الافريقي ، او على السـاحل الآخر ، الساحـل المشرف على المحيط الهندي في شرقي افريقيا ، وما بين هذين الطرفين المتباعدين من اقصـى القـارة الى اقصـاهـا .

* * *

لا نريد مما تقدم ، ان نقول ان للعربيـة في افريقيا السوداء ، مستقبلا ءاخر ، غير ما تحدده لها ظروف وجودها في القارة ، وامكانياتها هناك ، لكن اللغة الضاد الكثير مما تقدمه للافارقة جنوب الصحراء ، اذا مـا تطورت النزعة القائلة بوجوب توفير لغة علم وحضارة لافريقيا في مستوى القرن العشرين ، وتهيات لذلك الوسائل والاجواء الملائمة ، ان العربية في مثل هذه الحالة ، الكثير مما تسديه للغة او للغات الافريقيـة التي يراد تطويرها وتجديدها ، لتقوم بدور طويـل النفس من هذا الطراز ، وقد تحقق في الماضي من خلال التلاقح بين السواحلية والحاوسة والعربيـة تحقق الكثير من مظاهر التطور اللغوي يؤكده كل من الم بشيء عن شؤون التعبيـر اللفظـي في افريقيـا السوداء، وليس ما يمنع من ان يستمر هذا التلاقح في المستقبل ، ويتطور نحو مجالات ابعد ، وكل ذلك في سبيل تنمية الشخصية اللغويـة الافريقيـة ، وتنمية حظوظ افريقيا ـ عبر ذلك ـ في مضمار الفكر والثقافـة .

سلا : المهدي البرجالي



كم اتحفتنا مجلة « دعوة الحق » بالبحوث القيمة المنتقاة ، متحرية فى اختيارها الجديد من الموضوعات والجدي من الاحاديث . وتلك عادتها فى الاخلاص لخدمة الحقيقة ، منذ بدايتها . وهذا ما ما اكسبها ثقة عامة المثقفين فى بلادنا وفى جميع البلاد الاسلامية دانيها وقاصيها . وما يزال هذا دابها الذى نرجو له الاستمرار والدوام .. هكذا عرفت دعوة الحق قارئا وكاتبا . فما ان يصدر العدد منها حتى يصرفني عن كل شيء ، فاقبل عليه بكلي .. ولقد كان من بين الموضوعات التى اثارت اهتمامي مقال نشر الجزء الاول منه فى العدد الاول السنة الحادية عشرة شعبان 1387 ـ نونبر 1967 صفحة 42 ـ 48 بعنوان : « المعربات عن الفارسية » للاستاذ محمد بنتاويت . وانتظرت أن يتبع صاحب المقال بتكميل ما بقي منه ، فطال انتظاري حتى كدت اقطع الامل ..

وكم كنت اعلل التماطل مقدرا ان البحث في مثل هذه الموضوعات يقتضي من صاحبه التحري الكبير والتحقق من نظرياته واقواله حتى لا يعالج بالسرعة التى عولج بها غيره . اما وان الامر قد طال حتى بلغ سنة وخمسة اشهر فقد ارتبت فى ذلك ، وازداد تطلعي احتدادا وقلقي تضاعفا ، خوفا من ان تضيع الحقيقة بين النسيان والزمان ..

ولكن حرصا مني على ان لا تذاع هذه الحقيقة الا فى وقتها وابانها وبعد استيفاء شروطها وملابساتها الضرورية فقد آليت على نفسي الصبر ، وفضلت التاني

وتوالت الشهور ظهرت خلالها الاعداد الكثيرة من مجلة دعوة الحق .. الى ان طلع علينا العدد الاخير منها والعدد الخامس ـ السنة الثانية عشرة محرم 1389 ـ ابريل 1969 ، واذا به يحمل فى طياته الجزء الثاني والاخير من مقال « المعربات عن الفارسية » صفحة : 114 ـ 123 . فسارعت اليه يدفعني حماس الفته والفني . وما كدت اقرا المقال واعمل فيه الراي حتى وجدته يؤكد الحقيقة التى ساعرضها على قراء مجلتنا الافاضل احقاقا لحقهم على مجلة دعوة الحق وانصافا لها منا .

لقد اورد المقال مجموعة من المعربات محاولا بحثها وردها الى اصولها الفارسية ، مستشهدا على وجودها فى اللغة العربية بالكثير من الاشعار الجاهلية والروايات والاخبار ، وبرز صاحب المقال من وراء ذلك مفتخرا بعمله هذا منوها بنفسه موضحا انه باشر البحث فى المعربات والاستشهاد على ذلك بالشعر الجاهلي منذ سنة 59 او 60 فيما ذكر . وعلى صفحات مجلة دعوة الحق . ثم يضيف الى ذلك انه يعود اليوم «الى نفس الموضوع بتناول اشمل وبمعرفة اوسع بل بلغ به تاكده من عمله ان تبني تلك المعربات فسماها « معرباتنا عن الفارسية » .

وقد بدا فى اول وهلة ان الامر جد فخلتني انني ساقع على جديد معربات او على طريف فيها ، لم يذكره

الاولون ممن اهتموا بهذا الموضوع رغم انهم كثيرون ومؤلفاتهم اكثر . بعضها متداول وبعضها لا يتعدى الخاصة ، تنوعت فيها الطرق والمناهج فى بحث المعربات واختلفت درجة الاهتمام بها قوة وضعفا ، ونواحي التعرض لها عمقا وتحليلا . فظهرت الاشارة الى ذلك فى كتب اللغة كما عند سيبويه وابن جنى .

ثم عمل مؤلفوا المعاجم على التنبيه على المعربات كلما عنت المناسبة كما فى القاموس المحيط للفيروز ابادي وفى شرحه تاج العروس للزبيدي مثلا . وزاد بعضهم على ذلك فذكر نظريات اللغويين واقوالهم وما يرجح منها ، واستشهدوا للكلمة المعربة بالشعر والحديث وبالاقوال المأثورة ، كما فى لسان العرب لابن منظور والجمهرة لابن دريد. وعقد آخرون كالسيوطي فى المزهر والثعالبي فى فقه اللغة فصولا كاملة لذلك فى كتبهم . وافرد البعض الاخر مفردات كاملة فى الموضوع منها شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفاجي ، والتقريب لاصول التعريب، وكتاب الاشتقاق والتعريب لعبد القادر المغربي ، والمعربات لابن شعيب ، ونظم المعرب من الالفاظ العجمية للكمودي . وكان على راس هؤلاء كتاب **« المعرب من الكلام الاعجمي » لابي منصور الجواليقي.**
بل لقد اعتنى القدماء من غير اللغويين ايضا بهذه المعربات فنصوا عليها وشرحوا معانيها وحللوا تراكيبها ، كما يلاحظ فى بعض كتبهم مثل : معجم البلدان ، واحسن التقاسيم ، وآثار العباد ، وحياة الحيوان ، وتذكرة داود الانطاكي : واهتم المحدثون كذلك بالمعربات وكتبوا فيها ، كما يرى فى عناية مجلة المجمع العلمي الدمشقي بذلك فى دراساتها اللغوية والتنبيه عليه وشرحه . ونجد احد العلماء ممن خبروا لغات مختلفة قديمها وحديثها ساميها وآريها يستنفذ هذه الخبرة فى التحقيق فى المعربات ويؤلف فيها كتابا ، ذلك هو كتاب الالفاظ الفارسية المعربة ل «ادى شير» . وفى ايران اليوم الكثيرون من البحاث نصبوا انفسهم لتحري هذا الموضوع واستقصائه .

وقد عمل هؤلاء جهد علمهم وذوقهم فى تتبع جذور المعربات وما طرا عليها وما احدثته بعد ان اكتست حلة اللغة العربية ، وحاولوا تدوين القواعد لذلك .

وبقي بعد كل هذا الشيء الكثير والعمل الكبير فى هذا الباب وما يزال هذا الميدان فسيحا . فينبغي على من يريد البحث فيه ان يسلك فجاجه فيغوص فى اعماق التاريخ البعيد للاخذ والعطاء بين الفارسية والعربية الذى امتد الى ابعد من العصر الجاهلي والشعر الجاهلي، اذ نعلم ان الآرامية قد اقتبست من الفارسية القديمة ، واخذت الفارسية منها الآلاف من الكلمات مما يشاهد فى اللغة الفهلوية قبل الاسلام من الكلمات التى اطلق عليها منذ ذلك الحين «هزوارش» Ouzvârichn وهي كلمات آرامية تكتب بشكلها الآرامي وتقرا باللفظ الفارسي. وقد شغلت كثيرا علماء اللغة وأولوا لها التاويلات ، وهي ليست الاسامية يصلها ماضيها القديم فى الآرامية او السريانية او العبرية بل وفي البابلية والآشورية والاكدية بحاضرها فى اللغة العربية (1)

كما ان الجديد القيم الذى ينتظر البحث فى هذا الموضوع هو التنقيب عن المعربات فى جميع النصوص العربية نثرها وشعرها ادبيها وعلميها فى مختلف العصور واستخراجها واثبات كونها معربات حقا بردها الى اصولها الاصيلة ونسبتها الى اللغة التى عربت عنها .

فاذا ما اراد الباحث ان يتتبع خطوات الذين سبقوه الى هذا فاولى له ان يميز ما وصفوه بانه معرب او دخيل من غير ان يبرهنوا على ذلك ولا ان يوضحوا عن اية لغة معرب هو ليؤكد ذلك او ينفيه ، ويرده الى اصله . ويبقى الى هذا ـ عمل الجمع والمسح (بدون نقطة) لجميع ما ورد فى كتب اللغة من المعربات ومقارنة اقوال بعضها ببعض وتصحيحها والتاكد من صحتها واستخلاص المفيد منها .

كل هذا كان يجول فى خاطري وانا أجيل النظر فى (معربات الاستاذ) . ولكنني ما لبثت ان وجدت انها من المعربات الشائعة المتداولة . وقد كتب عنها الاولون والآخرون .

فهل يا ترى جهل الاستاذ هذا ؟ ام نسيه فى نشوة واعتزاز ؟

ثم حسبت وانا ارى هذه الاشعار والشواهد وتلك الاصول والفروع للكلمة المعربة ان الجديد هنا ،

(1) انظر امثلة على ذلك فى « الالفاظ الفارسية المعربة » ادشير ص 89، ولابن النديم فى الفهرست اشارة الى ذلك ص 27 .

واني لا محالة واجد ما سيشغلني عن الامر الاول فرغبت فى (اعتقاد) معرفة الاصول والفروع والاشعار واصحابها لانظر بمنظار الاستاذ . وقد كان لزاما علي ان ارجع من اجل ذلك الى ما لا يحصى من الكتب (التى جمع الاستاذ شتيتها ولم ينبه عليها !) غير اني وقعت بالصدفة — والصدفة تغني الباحث مشاق السنين — فى كتاب واحد عما اغناني الرجوع الى جميع تلك الكتب التى كان لزاما علي الرجوع اليها .. فاذا بي لا اجد فى المقال البيت فى الشعر او اسم شاعر مغمور ، او خبرا او حديثا حتى اهرع اليه وانا متأكد من العثور على ضالتي .. كم هو نفيس هذا الكتاب ! وكم يجب علينا ان نترحم على مؤلفه الجواليقي وندعو له بالخير ! ذلك هو مؤلف الكتاب ابو منصور الجواليقي المتوفى سنة 540 هجرية وهذا هو كتابه المسمى : **« المعرب من الكلام الاعجمي »** (2) .

وما ان اقرا البيت حتى اجد ان للكلمة التى استشهد لها به هي ايضا مما يوجد فيه ويشهد به، ثم سرعان ما ارى ان الالفاظ والكلمات والعبارات التى استعملها الاستاذ بتناويت هي بذاتها عند الجواليقي، وهي مرصوصة فى اماكنها ، لا تحيد عنها ولا تميل ! بالله !!

وعندما افقت من دهشتي علمت ان الامر لا يعدو ان يكون احد شيئين :

1 — اما ان يكون هذا الذى فى كتاب **الجواليقي** هو للاستاذ بتناويت ، على ان يحمل ذلك طبعا بانه فى العالم (الازلي)

2 — ان يكون ما فى مقال الاستاذ هو كلام الجواليقي ، وهو ما يؤكده الواقع ويفرضه العقل السليم . فهو اذن ما يسمى فى العرف والعادة **بالسرقة !** . وقد تعدت هذه السرقة نص الكتاب الى الحواشي والتعليقات القيمة التى تزين كل صفحة من صفحاته للمحقق السيد احمد محمد شاكر . فكم من مرة شملتها يد السطو فاختطفتها ولفقتها بنص الكتاب عسى ان تضيع بذلك معالم الاصلين معا .

لذلك نرى الاستاذ عندما يعوزه كلام مؤلف الكتاب ولا يسعفه معلقه بالشرح والتحليل يلجا الى الاقتضاب .

وقد وجدنا هذا (الاختصاص) بالكلمات التي لم يعلق عليها محقق الكتاب مثل « التوتياء » او تلك التي لم يوردها مؤلفه مثل «الاترج» و «الاجاص» و«البلور» و«الآخور» و«الجام» وان هو اراد ان يقحم نفسه فى بحث بعضها فانه يقع فى اخطاء فاحشة كما سنبينه فيما بعد . على كل حال يجب ان يقع اللوم على الجواليقي ومصحح كتابه اللذين اغفلا مثل هذه الكلمات . ولكن الادهى من ذلك هو انه تصرف فى بعض الاحيان فى نقله للنص بالتقديم والتاخير فغير المعنى المراد وقلبه راسا على عقب كما فى كلمة « البنجكية » . كما انه جرد التعليقات والنقول التى اوردها محقق الكتاب ونسبها الى اصحابها ، عمن انتسبت اليه فقد تتبع محقق الكتاب كل مناسبة فى كلمة فحللها وذكر جميع ما قيل عنها فى كتب اللغة وما زاد به بعضها عن البعض الآخر وما نقص هذا عن ذاك واقر ما هو صحيح وبين ما هو غلط وعدد النظريات والاقوال واصحابها ومرجها . فما كان من الاستاذ الا ان غربل هذه النقول وجردها عن اصحابها واخذ منها ما رمت به الصدفة اليه . وليته توقف عند ذلك لحظة اختيار ليقرا ما ينقل ، فقد صادف انه ترك الصحيح ونقل الغلط رغم اشارة المعلق الى ذلك كما وقع فى كلمة « التجاورة » (3) .

كل هذا — طبعا — من غير ذكر او اشارة او تلميح للكتاب المنقول عنه وصاحبه ، ولا للمعلق عليه وحواشيه . ونستثني من هذا ثلاثة مواضع من المقال ذكر فى واحد منها اسم كتاب الجواليقي مختصرا ، وهي كما يلي :

1 — فى مقدمة المقال ص 44 قال : « ذكر الجواليقي .. » ونقل كلاما ورد في ص 9 من الكتاب .

---

(2) المعرب من الكلام الاعجمي ، لابي منصور الجواليقي . طبع اولا فى ليبزج سنة 1867 م ثم طبع فى مصر بتحقيق وشرح احمد محمد شاكر فى ذي الحجة 1360 هـ يناير 1942 وقدم له الدكتور عبد الوهاب عزام وقد نفذت هذه الطبعة فاعيد طبعه بالافست فى طهران سنة 1966 م

(3) حقيقة هذه الكلمة هي « التخاورة » بالنون والخاء، لا « التجاورة » بالتاء والجيم ، كما سنذكره .

2 ـ عند كلمة «آشوب» ص 45 اذ قال : « كما نص عليه سيبويه فى الكتاب ثم الجواليقي فى المعرب » ص 27

3 ـ عند كلمة « الاصبهبد » ص 46 حيث قال : « قال الجواليقي .. » ص 218

وليست هذه الا مغالطه يحاول ان يؤكد بها ادعاءه فى بداية المقال بان هذه معرباته هو وان الكلام الذى اورده عنها هو اجتهاده الذى جاء بعد اتساع المعرفة وشمولها ! وان ليس للجواليقي من ذلك كله الا ما اشار اليه وقرنه باسمه وكتابه وهي المواضع الثلاثة السابقة الذكر .

وهو بالتالي يؤكد لنا قصده واصراره فى التمويه من اجل اخفاء الحقيقة التى لا مراء فيها من النقل والمنقول عنه . وذلك ما سنوضحه بمقارنة النص الاصلي الصريح بالنص المنقول عنه . لقد كان القصد اولا تصحيح الاغلاط التى وردت فى هذا المقال ، ولكنني عندما واجهت «النقل» عدلت عن ذلك الى بيان مواطنه ، واكتفيت بالتصحيح فى المناسبات التى تلح على ذلك .

والآن انقل نص المقال بلفظه اولا ثم اتبعه بنص كلام الجواليقي وتعاليق مصحح كتابه . وقد ميزت كلام المعلق فوضعته داخل معقوفين ( )

الآزاد :

« ضرب من التمر وقد جاء عنهم فى الشعر :

يغرس فيه الزاد والاعرافا
والنابجى مسدفا أسدافا

... قال ابن دريد فى الجمهرة : الزاد يعني الآزاد »

الجواليقي :

« الآزاد .. ضرب من التمر .. » ص 34

« يغرس فيه الزاد والاعرافا
والنابجى مسدفا أسدافا

ص 67

(قال ابن جنى : وقد جاء عنهم فى الشعر :

يغرس فيه الزاد والاعرافا

... وابن دريد لم يذكر الحرف في الجمهرة فى موضعه ، وذكره فى مادة « ع ر ف » ... الزاد يعني الآزاد ...)

وقد ورد كل هذا مفصلا فى التعليق 12 من الصفحتين 34 ـ 35 من كتاب المعرب للجواليقي . وبمراجعته يعلم هذا التلفيق العجيب .

ابريسم :

« ... معرب ءابريشم قال ذو الرمة :

كانما اعتمت ذرى الاجبال
بالقز والابريسم الهلهال »

الجواليقي :

« ... قال ذو الرمة :

كانما اعتمت ذرى الاجبال
بالقز والابريسم الهلهل »

ص 27

ابريق :

« ... وهو فى اصله الفقهي اما طريق الماء او صب الماء على هينة .. قال عدي بن زيد العبادي :

ودعا بالصبوح يوما فجاءت
قينة فى يمينها ابريق

وقيل هو ابريه ... فيكون مركبا من أسم ومادة اصلية من رهيدن او رهادن »

الجواليقي :

« ... وترجمته فى الفارسية احد شيئين : اما ان يكون طريق الماء (او : صب الماء) (4) على هينة .. قال عدي بن زيد العبادي :

ودعا بالصبوح يوما فجاءت
قينة فى يمينها ابريق »

ص 23

وقال الجواليقي فى مكان آخر : «وانما هو ابريه» ص 265 .

اما « رهادن » فليس فى الفارسية مصدر بهذا الشكل .

---

(4) ذكر المعلق هنا ما يلي : « الزيادة من النسخ المخطوطة » التعليق 1 من الصفحة 23 .

الاخـــوان :

« او الخوان بضم اوله وكسره معرب خوان ، بفتح اوله مفخما ودون ذكر الواو قال الشاعر :

كثير الى جنب الخوان ابتراكه »

الجـواليقـي :

« ... وفيه لغتان جيدتان : « خوان » و « خوان » ولغة اخرى دونهما وهي اخوان .. قال الشاعر :

كثير الى جنب الخوان ابتراكه » ص 129

فاية رشاقة جذبت الاستاذ لاختيار اللغة الاضعف في الكلمة . ومقتضى هذا الاختيار ان يكون الشاهد في قول الشاعر هو «الاخوان » المختارة لا فيما بعد « او » . وبهذا نرى كيف اضطرب الكلام بسبب التصرف في النص الاصلي المنقول . وقد توقف الاستاذ عن اكمال البيت ! ولعل السبب في ذلك هو حرصه على الامانة لان الجواليقي لم يتممه . على انه لو قلب الصفحة (ص 130) لوجد بيتا آخر كاملا لعدي بن زيد العبادي . غير اننا نعذره لان البيت دليل على جمع خوان وهو خون .

الارنــدج :

« هو الجلد الاسود كما قال صاحب القاموس او الذي يدبغ بالعفص حتى يسود ، ويقال له اليرندج كذلك وهو معرب رنده الفارسي ، قال الاعشى :

عليه يابوذ تسربل تحته
ارندج اسكاف يخالط عظلما »

الجـواليقـي :

« .. «الارندج» اصله بالفارسية «رنده» وهو جلد اسود وانشد (الاعشى) :

عليه يابوذ تسربل تحته
ارندج اسكاف يخالط عظلما

وقال ابن دريد (هي) الجلود التي تدبغ بالعفص حتى تسود .. » ص 16

الاسيــذ :

«وهو ذكر البراذين ، معرب اسب بزيادة الذال ، عربه طرفة في قوله يخاطب عبد القيس :

خذوا حذركم اهل المشقر والصفا
عبيد اسبذ والقرض يجزى من القرض»

الجـواليقـي :

« واسبذ فارسي عربه طرفة والاصل « اسب » وهو ذكر البراذين يخاطب بهذا عبد القيس » ص 39

« .. قال طرفة :

خذوا حذركم اهل المشقر والصفا
عبيد اسبذ والقرض يجزى من القرض»

ص 38

الاستـــاذ :

« معرب استاذ وهو في اصله الماهر في اي شيء ، ففي كتاب حبيب السير المؤلف في القرن السابع يذكر ماهرا في الرمي بالمنجنيق بالوصف »

فيما قاله (الاستاذ) ثلاث هفوات اساسية :

1 ـ ان كتاب « حبيب السير » هو كتاب في التاريخ العام ينتهي في سرد حوادث التاريخ بوفاة الشاه اسماعيل الصفوي يعني سنة 930 هجرية ومؤلفه هو غياث الدين خواند مير متوفى سنة 941 هجرية . فيكون الكتاب على هذا قد الف في القرن العاشر الهجري لا السابع . الا ان يكون المقصود بالسابع (الميلادي) وهذا يعني بالطبع ان يكون الكتاب قد الف في القرن الاول الهجري !!!

2 ـ استدل (الاستاذ) بهذا الكتاب من دون ان ينقل لنا الفقرة او الجملة التي وردت فيها هذه الكلمة بهذا المعنى لنعرف ونتاكد من صحة المعنى الذي ساق من اجله الدليل ، كما نطمئن الى انه رآها فعلا ، ومع هذا فان هذا الكتاب لا يصلح بتاتا لان يكون دليلا على فارسية كلمة او عدم فارسيتها . لانه الف في وقت اصبح فيه النثر الفارسي وخصوصا التاريخي منه غير سليم تشوبه الكلمات التركية ، ولم يتقيد فيه الكتاب بقواعد اللغة الفارسية الاصيلة فابتعد عن الاستحكام والمتانة والجودة التي في كلام القدماء .

3 ـ كلمة « استاذ » بالذال المعجمة قد وردت في اللغة الفارسية قبل هذا الزمن وقبل هذا الكتاب بكثير فهي في اللغة الفهلوية Ostât مركبة من او + ستا اصبحت في الفارسية : استاد ، و ، اوستاد .

الاستــــار :

« بمعنى الاربعة ، معرب جهار قال جرير :

ان الفــرزدق والبعيث وامــه
وابا الفرزدق شر ما استار »

الجـواليقـي :

« قال ابو سعيد : سمعت العرب تقول للاربعــة « استار » لانه في الفارسية «جهار» .. قال جرير :

ان الفــرزدق والبعيث وامــه
وابا الفرزدق شر ما استار »

ص 42

الاسكرجــة :

« يعني مقرب الخل .. وقال انس (ض) «ماأكل نبي الله صلى الله عليه وسلم على خـوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق »

الجـواليقـي :

« .. وترجمتها مقرب الخل .. » ص 27

وقال الجواليقي في مكان آخـر : « .. وقـد جاءت في الحديث بغير همزة .. عن انس بن مالك قال : « ما اكل نبي الله صلى الله عليه وسلم علـى خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقـق » ص 197

فالشاهد في الحديث هو « سكرجة » ولاجل هذه الكلمة ساق الجواليـقي الحـديث حيث قال : « وقد جاءت في الحديـث بغيـر همزة » وليس هـو شاهد ولا دليل على «اسكرجة» بالالف .

الاســـوار :

« .. وهو الفارس في الاصـل واستعمـل للرامي ، جمع اساور واساورة قال الشاعر :

ووتـر الاســاور القيــاســا
صدغيــة تنتـزع الانفــاســا

وقال الآخر :

اقدم اخانهم علـى الاســاورة
ولا تهــالنــك رجــل نــادرة

الجـواليقـي :

« .. وهو الرامي وقيل الفارس .. ويجمع على «الاساور» و«الاساورة» قال الشاعر :

ووتـر الاســاور والقيــاســا
صدغيــة تنتـزع الانفــاســا

وقال الآخر :

اقدم اخانهم علـى الاســاورة
ولا تهــالنــك رجــل نــادرة »

ص 20 — 21

الاندراورد :

« سراويل مشمر اتبان كما في القاموس قالت ام الدرداء : زارنا سلمان من المدائن الى الشام ماشيا وعليه كساء واندراورد (معرب اندرور اي داخلي) » الذي جاء في القاموس (ج 1 ص 275) هو كما يلي :

« عليه اندرورد واندروردية **لنوع** من السراويل مشمر فوق التبان او هي التبان اعجمية استعملوها».
اما الجواليقي فقال :

الجـواليقـي :

« وروي عن أم الدرداء انها قالت : زارنا سلمان من المدائن الى الشام ماشيا وعليه كساء «واندراورد» يعني سراويل مشمرة .. » ص 37

اما عن كونه (معرب اندرور اي داخـلي) فـان الكلمات التى تعني « داخـل » في هذا اللفظ هي : « اندر ، اندرو ، اندرون »، على ان « داخلي » هذه تفيد النسبة حيث لا تستفاد من الكلمة المفسرة بها .

وبالاضافة الى هذا فان عبارة القاموس وغيره صريحة بانه « فوق » لا داخل ، لان «التبـان» هي : «سراويل صغير يستر العورة المغلظة » (القامـوس ج 4 ص 205) وهي معربة «تنبان» بهذا المعنى .

الايـــوان :

« ... ويبدو ان اصله اللغوي كان جمع « ايو » بمعنى الغرفة فهو الغرف (القصور) »

ان هذا الذى «يبدو» غير صحيح : لانه لا توجد في لغة الفرس كلمة « ايو » بمعنى غرفـة او قصر . ومن الصدف الغريبة في هذا الاستنتاج المجيـب ان اللغويين قالــوا بان اصل هذه الكلمــة في اللغــة الفهلوية هو « بان » . وقد اتيـت بهـذا لاثبت ان ما جعله المستنتـج علامــة جمــع هو بالذات اصـل الكلمة .

والواقع ان امر «ان» هذه قد اختلط عليه كثيرا ، فهو لا ينسى يجمع بها ما يريد جمعه . فبينما نراه يجعلها علامة جمع فى «ايران» يراد بها النسبة (5) نراه يريدها اداة جمع ايضا فى كلمة « مهمان » مستعملا اياه للتعظيم (6) معلقا بذلك على كلام الجاحظ فى معنى هذه الكلمة وسبب اطلاقها والتسمية بها حيث ذكر ان الضيف سمي ب «المهمان» لانه اكبر من فى المنزل .

والواقع ان الكلمة ليست جمعا كما يتوهم وان «ان» هنا ليست علامة جمع ، واننا ان اردنا جمعها قلنا : « مهمانان » لانها فى الحقيقة مركبة من : مه = الكبير + مان = البيت ، المنزل . وكلام الجاحظ واضح فى ذلك لانه شرحها بقوله « اكبر من فى المنزل » .

البارجاه :

وهو موضع الاذن عن السلطان » وقد تكلم به الحجاج فقال لجد الاصمعي علي بن اصمع: قد سميتك سعيدا ووليتك البارجاه ، اي جعلتك بواب السلطان »

الجواليقي :

« كلمة اعجمية وهي موضع الاذن (يعني الاذن على السلطان) (7) وقد تكلم به الحجاج بن يوسف وذلك قوله لعلي بن اصمع وهو جد الاصمعي .. قد سميتك سعيدا ووليتك البارجاه

(قال الشهاب فى شفاء الغليل ص 44 : أي جعلتك بواب السلطان) (8) » ص 75

الباطية :

« وهو اناء واسع الاعلى ضيق الاسفل ..»

الجواليقي :

« كلمة فارسية ، اناء واسع الاعلى ضيق الاسفل » ص 83 .

البالة :

« وهي الجراب ، معرب باله قال ابو ذؤيب :

فاقسم ما ان بالة لطمية
يفوح بباب الفارسيين بابها »

الجواليقي :

« قال ابو عبيدة وابن قتيبة : « البالة » الجراب وهو بالفارسية باله وقد تكلمت به العرب . قال ابو ذؤيب :

فاقسم ما ان بالة لطمية
يفوح بباب الفارسيين بابها »

ص 51

البذج

« وهو ولد الضان معرب بجه بالجيم الفارسية . قال الراجز :

قد هلكت جارتنا مع الهمج
وان تجمع تاكل عتودا او بذج »

الجواليقي :

« بفتح الباء والذال : الحمل (وهو ولد الضان) (9) .. قال الراجز :

قد هلكت جارتنا مع الهمج
وان تجمع تاكل عتودا او بذج»ص58

البردج :

« معرب برده وهو السبى قال العجاج :

كما رايت فى الملا البردجا »

الجواليقي :

« السبى وهو بالفارسية برده قال العجاج :

كما رايت فى الملا البردجا » ص 47

---

(5) انظر دعوة الحق جوان 1966 ص 64 .
(6) انظر جريدة العلم الملحق الثقافي ص 8 — 9 ، 28 مارس 1969
(7) انظر التعليق 7 من الصفحة 75 من كتاب الجواليقي
(8) انظر التعليق 3 من الصفحة 75 من كتاب الجواليقي .
(9) انظر التعليق (1) من الصفحة 58

البـرنـد :

«وهو جوهر السيف وماؤه معرب برنده من بريدن ـ بر في اصله من فقه اللغه »

الجـواليقـي :

« جوهر السيف وماؤه لغة فى الفرند » ص 66

اما عن اصله فى (فقه اللغة) فهو برند بضم الاول وفتح الثاني بمعنى السيف الحاد ذو الماء والجوهر وهذه الكلمة هي لغة في الفرنـد كما بين الجواليقي . ويضاف الى ذلك افرند ايضا . ويقال لجوهر السيف الفرندي والافرندي (10) والكل معرب برند بالباء الفارسية . فلا اصل لبريدن وصاحبتها هنـا !.

البريــد :

معرب بريده دم ، وهـو فى اصلـه مستعمـل للبغلة المتقطعة للرباط .. »

الذي يذكره باصل الكلمة هو انهـا من بردن الفارسية بمعنى الحمل ، النقل واصلهـا فى اللغـة الفهلوية Burtan وفى الفارسية القديمة بر Bar ومنها كلمة بار بمعنى الحمل بكسر الحـاء وفتحهـا ، وباره بمعنى الفرس . وبريد بردون بمعنى الفـرس الجلد السريع .

وقد قيل الى هذا ان اصـل الكلمـة لاتينـي Veredus بهذا المعنى الاخير .

ابـزمـاورد :

« ويدعى الزماورد وهو طعام من البيض واللحم او الرقاق الملفوف باللحم ، او ما يدعى بلقمة القاضي »

الجـواليقـي :

« الزماورد الذى تدعوه العامة « بزمـاورد (لم يشرحه المؤلف وفى القاموس : طعام من البيض . وفى شفاء الغليل : انه الرقاق الملفوف باللحم . ونقل عن كتب الادب انه طعام يقال له لقمة القاضي) » (11) ص 173

حقا انه « سندويش » عجيب من الكلام الملفوف!

بستـــان :

« معرب بوستان ، واصله فى فقه اللغة بـو + ستان ، أي حوز الرائحة من ستانيدن ستان

قال الاعشى :

يهب الجله الجراجر كالبـســتان تحنو لدردق اطفال»

الجـواليقـي :

« فارسي معرب .. قال الاعشي :

يهب الجلة الجراجر كالبـســتان تحنو لدردق اطفال»

ص 53

اما كونه من ستانيدف ستان . فان «ستـان» هذه اداة مكان هنا وليست مادة اصلية كما يتوهـم وفارسيتها القديمة كما هي ايضا فى لغـة الابستـاق Stāna يعني المكان من اصلها Stā بمعنى الوقوف. هذا هو اصلها فى فقه اللغة ، والامثلة الشبيهة بذلك كثيرة مثل كلستان = كل = الورد . نخل ستـان الـخ .

واما ستانيدف فانه مصدر سماعي لا قياسي والمصدور الاصلي هو ستادن وستدن واستدن وفى اللغة الفهلوية Stūtan وهي كلها بمعنى **الاخـذ** . وهذا لا علاقة له بتاتا بمعنى كلمة (بستان)

بـغـداد :

« ... قال الشاعر انشده الكسائي :

يا ليلة خرس الدجاج طويلـة
ببغدان ما كادت عن الصبح تنجلى»

الجـواليقـي :

« ... وانشد الكسائي :

يا ليلة خرس الدجاج طويلـة
ببغدان ما كادت عن الصبح تنجلى»

ص 74

---

(10) عرائس الجواهر ونفائس الاطـائب ، طبـع طهـران 1345

(11) التعليق 11 من الصفحة 173 .

البـلاس :

« .. وهو المسح .. والكساء من الشعر قال الراجز لامرأته في المعنى الاول :

الا يكن شيخك ذا غراس
فهو عظيم الكيس والبلاس »

الجواليقي :

« ابو عبيد عن ابي عبيدة (قال) : ومما دخل في كلام العرب من كلام فارس : المسح : « البلاس » (... وهو الكساء من الشعر) .. (12) وبياعه «البلاس» قال الراجز لامرأته :

ان لا يكن شيخك ذا غراس
فهو عظيم الكيس والبلاس

في اللزبات مطعم وكاسي » ص 46

البـم :

« وهو احد اوتار العود او الوتر الغليظ منها »

الجواليقي :

« احد اوتار العود الذي يضرب به .. (زاد الجوهري انه «الوتر الغليظ») (13) ص 73

البنجكية :

« ..وهو ان يكون خمسة رماة في موضع يرمون بخمس نشابات »

الجواليقي :

« ... قال ابو زيد («البنجكية») معناه ان اهل خراسان كان كل خمسة منهم على حمار. وربما قالوا يرمون بخمس نشابات في موضع » ص 71

لقد حصل هنا تصرف في العبارة ادى الى قلب معناها . فليس المقصود ان يكون خمسة رماة في مكان واحد ليرموا بخمس نشابات الى اماكن مختلفة كما تؤديه العبارة الاولى . بل المقصود كما هو ظاهر من كلام الجواليقي بكل وضوح ان يرمي خمسة رماة بخمس نشابات الى موضع واحد وهدف واحد .

البنـد :

« وهو العلم الكبير .. يربط للقائد ويكون مع عشرة آلاف رجل قال الشاعر :

ملبسة سبائبا وبردا
تحت ظلال راية وبندا »

الجواليقي :

« العلم الكبير ... قال الليث : يكون للقائد ، ويكون مع كل بند عشرة آلاف رجل .. وقال الزفيان السعدي :

اذا تميم حشدت لي حشدا
على عناجيج الخيول جردا

ملبسة سبائبا وبردا
تحت ظلال راية وبندا »

ص 77 — 78

البنفسج :

« معرب بنفشه قال مالك بن الريب التيمي :

عجبت لعطار اتانا يسومنا
بجبانة الديرين دهن البنفسج»

الجواليقي :

« معرب (بنفشه) (14) وترديده في الشعر **القديم قليل** .. وقد انشدوا بيتا **زعموا** انه لمالك بن الريب التميمي :

عجبت لعطار اتانا يسومنا
بجبانة الديرين دهن البنفسج»

ص 79 — 80

البـهرمـان :

« وهولون احمر ونحوه (15) البهرم ويطلق على

---

(12) التعليق 3 من الصفحة 46
(13) التعليق 3 من الصفحة 73
(14) التعليق 7 من الصفحة 79
(15) لعله ظن ان هذه الكلمة تقع على كلمة «البهرام» بعدها فربطها في كلامه بها مما اخل بالمعنى المراد. والواقع ان « نحوه » انما اريد بها ما سبقت الاشارة الى ذكره في الجمهرة في (3 : 309) من ان البهرمان هو صبغ احمر قد ورد مثله في ص 500 من الجزء الثالث من نفس الكتاب . اما كلمة البهرم وما بعدها فانه كلام اللسان

العصفر وهو فى الحمرة دون الارجوان والزعفـران معرب بهــرام »

الجـواليقـي :

« لون احمر فارسي (فى الجمهرة (3 : 309) : « والبهرمان صبغ احمر وليـس بعـربي » ونحـــوه (3 : 500)

وفــي اللســان (14 : 327) : « البهــرم والبهرمان : العصفر » ثم قال : « الارجوان هو الشديد الحمرة » ولا يقال لغير الحمرة ارجوان . والبهرمان دونه بشيء فى الحمرة) (16)» ص 55

البيـدق :

« معرب بياده بالباء الفارسية بمعنى راجـل . قال الفرزدق :

منعتك ميراث الملوك وتاجهم
وانت لدرعى بيدق في البيادق

يريد انه يأخذ سلاح الملوك وهو راجل يعدو بين يديه » .

الجـواليقـي :

« . . . (بياده كلمة فارسية بمعنى راجل) (17) وقد تكلمت به العرب . قال الفرزدق

منعتك ميراث الملوك وتاجهـم
وانت لدرعى بيدق في البيادق

اي آخذ سلاح الملوك وانت راجل تعدو بيـن يــدي » ص 82

البيــزار :

« معرب بازيار . الذى يحمل البــاز والاكـار مثل البازدار . قال الكميت :

كـان سوابقهـا فى الغبـار
صقـور تعـارض ببزارهـا »

الجـواليقـي :

« معرب بازيار . . . (. . . وكلام المؤلـف هنـا قاصر مجمل ، فانه لم يبين معنى البيزار وله معان ؛ منها : الذى يحمل الباز وهو المراد فى البيت الآتـي ؛ ومنها **الاكار** . وفى القاموس انهما معربا « بازدار » و«بازيار» . .) (18) قال الكميت :

كـان سوابقهـا في الغبـار
صقـور تعـارض ببزارهـا »

ص 78

البيمارستـــان :

«مركب من بيمار ، مريض . واصل اشتقاقه بي ، بدون + مار ، عقل فهو احمـق ، واطلـق على المريض مطلقا . وستان للمكان . . وقـد اختصـرت فصارت مارستان »

الجـواليقـي :

« المارستان (اصلها فى الفارسية بيمارستان . . مركبة من بيمار بمعنى مريض و «ستان» بمعنى مكان، ثم اختصـرت فصـارت « مارسـتـان » . . .) (19) ص 312 .

اما ذلك المعنى المتكلف الاستنتاج فلا يقول بـه الا من طابق معناه .

التجـــاورة :

« معرب تاجور اوتاج بر قال عدي بن زيد :

بعـد بـنـي تبـع تجــاورة
قد اطمأنت بهـا مرازبهـا »

لهذه الكلمة قصة اخرى تضح فيما يلي :

الجـواليقـي :

« وقال عدي بن زيد فى المرازب :

بعـد بـنـي تبـع نخـاورة
قـد اطمـأنت بهـا مرازبهـا

واحد « النخاورة « نخوري » وهـو المـتكبـر (نخلورة بالنون والخاء المعجمة وهي منصوبـة على الحال من « بني تبع » كما يظهر ذلك من القصيـدة

---

(16) التعليق 5 من الصفحة 55 .
(17) التعليق 7 من الصفحة 88 .
(18) التعليق 6 من الصفحة 78
(19) التعليق 7 من الصفحة 312

واخطا مصحح (نسخة) ب فضبطها بالجر **وصحفها** فجعلها « تجاورة » بالتاء والجيم ، وعللها في التعليقات التي في آخر نسخته بالالمانية بما يفهم منه انها غير عربية من « تاج بر » او تاجور » !!) (20) » ص 319.

التخريص :

« وهو بنيقة الثوب او الدرع معرب تبريز كما في القاموس ويقال بالدال قال الشاعر :

قوافي امثالا يوسعن جلده
كما زدت في عرض القميص الدخارص»

الجواليقي :

« التخريص لغة في الدخريص .. (.. والتخريص وما معه لها معان .. منها بنيقة الثوب او الدرع .. وفي القاموس ان التخريص معرب «تبريز») (21) » ص 87

ويقول في مكان آخر عند الكلام على « الدخريص » : « وقد تكلمت به العرب قال الاعشى :

قوافي امثالا يوسعن جلده
كما زدت في عرض القميص الدخارص»

ص 144

التخم :

« واحد تخوم الارض بمعنى حدودها قال قيس ابن صرمة بن ابي انس الانصاري :

يا بني التخوم لا تظلموها
ان ظلم التخوم ذو عقال »

الجواليقي :

« قال ابو بكر : قال قوم : « التخم » : واحد تخوم وهي حدود الارض ، **عربي صحيح** انشد لامراته (خطا عجيب من الجواليقي فان ابن دريد لم يذكر امراة بل قال : وانشدوا لابي قيس صرمة بن ابي انس الانصاري) (22) .

يا بني التخوم لا تظلموها
ان ظلم التخوم ذو عقال »

ص 87

التنور :

« معرب نوور وبين هذا في معجم « اختري كبير» التركي بان عين الكلمة وهي الواو في الفارسية ابدلت تاء وتقدمت فاءها عند تعريبها ، (فهي عفور في الوزن) »

ان شكل هذه الكلمة في اللغة الفهلوية هو Tanūr بالتاء لا بالنون وكلمة « نوور » هذه غير معروفة في الفارسية قديمها وحديثها . ثم الى هذا، كيف يقطع بفارسية كلمة وطريقة تعريبها ، بالابدال والتقديم بمعجم تركي ؟

وحقيقة امر هذه الكلمة هي انها من الكلمات المشتركة بين العربية والفارسية (23) والتركية كذلك . ولشارح القاموس اشارة الى ذلك فقد قال :

« التنور : يقال هو في جميع اللغات كذلك وقال الليث التنور عمت بكل لسان » (24)

التير :

« وهو الجذع الذي يوضع في وسط البيت ويلقي عليه اطراف الخشب » .

الجواليقي :

« كلمة فارسية ان اريد بها **الجذع الذي يوضع في وسط البيت ويلقي عليه اطراف الخشب** فاسمه بالعربية الجائز وان اريد به .. » ص 88

الجربان :

« معرب كريبان بالكاف الفارسية وهو جيب الدرع ، قال جرير :

اذا قيل هذا البين راجعت عبرة
لها بجربان التبيقة واكف »

---

(20) التعليق 6 من الصفحة 319
(21) التعليق 1 من الصفحة 87
(22) التعليق 5 من الصفحة 87
(23) انظر فقه اللغة لابي منصور الثعالبي ص 452
(24) القاموس المحيط ج 1 ص 381 .

الجـواليقـي :

« جربان الدرع و«جربانها» : جيبها اعجمـي معرب قال ابو الحاتم : هو « كريبـان » بالفارسيـة وانشد **حبيب لجرير :**

اذا قيل هذا البين راجعت عبـرة
لها بجربـان النبيقـة واكـف »
ص 99

والاصل فى معنى الكلمة الفـارسي انها بمعنى جيب القميص لانها مركبة من كريب = العنق + بان = لاحقة تدل على المحافظة . ثم استعمل للمعنـى السابق بعد التعريب .

الجـردبـان :

« معرب كرده بان بالكاف الفارسية اي حافـظ الرغيف لانه الذى يضع شماله على شيء يكـون على الخوان كيلا يتناوله غيره ، انشد القراء :

اذا ما كنت فى قـوم شهـاوي
فلا تجعـل شمالـك جردبانـا »

الجـواليقـي :

« بالدال غير معجمـة فارسي معـرب اصلـه « كرده بان » اي حافظ الرغيـف وهو الذى يضـع شماله على شيء يكون على الخوان كيلا يتناوله غيره . انشد القـراء :

اذا ما كنت فى قـوم شهـاوي
فلا تجعـل شمالـك جردبانـا »

ص 110 — 111

الجـــرذق :

« معرب كرده بالكاف الفارسية للخبز الغليظ »

الجـواليقـي :

«وقولهم للخبز الغليظ «حرذق» وهو بالفارسية « كرده » ص 95 ، ص 115

الجرمـــوق :

« وهو الخف الصغير يلبس فوق الخف معرب ســرمــوزه » .

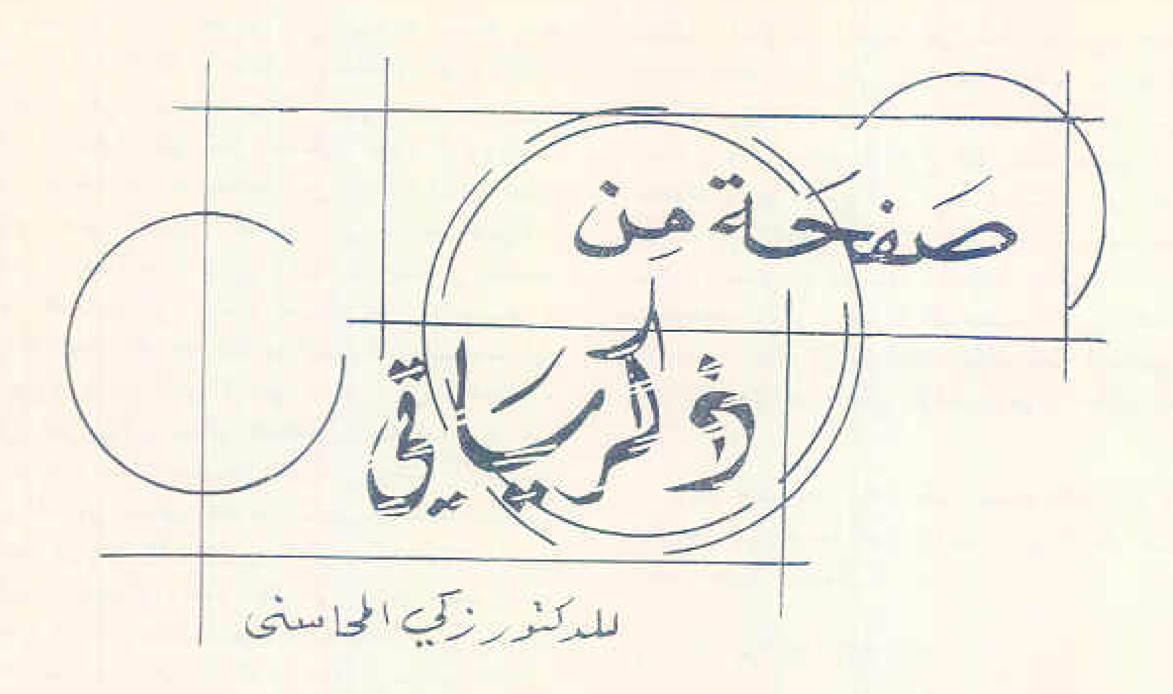
الجـواليقـي :

(وقد فات المؤلف « الجرمـوق » وهو الخـف الصغير يلبس فوق الخف) (25) .

هذا قليل من كثير وليقس ما قيـل على ما لم يقـــل !

فاس — الدكتور عبد اللطيف السعداني

(25) هذه زيادة من الملحق انظر التعليق 5 السطر 20 من الصفحة 94 .



حين نزلت (باريس) سنة 1960، أويت وقرينتي الكاتبة العربية السيدة وداد سكاكيني (1) الى فندق « برنتون » بشارع تويلري تلقاء باب هذه الحديقة العريقة الفناء ، وكان هذا الفندق عريقا ايضا، فانه شيد ايام نابوليون ، وبقي حاملا طوابع ذلك العهد في بنائه واثاثه وضيق حجراته الصغيرة واتساع حجراته الكبيرة ، ولو لبس نُدُلُه ورواده ثياب العهد البوناپارتي لحسبت انني اعيش في تلك الحقبة من عظمة البلاد .

ولقد شاقني ذات صباح ان اجتاز الشارع الى باب الحديقة ، لاصابح منظرها الابهج ، واسرح نظري بخضرائها المفتان ، فلا ازهد بها لقربها ، فدلفت وشد ما استوقفني بابها الحديدي المزخرف ، فلم اكد اتجاوز وصيده ، حتى وقفت متأملا في تمثالين على جانبيه ، بالهما من درس اخلاقي لا يزول من خاطري ، ما حييت . وان كثيرا من المارة اذا دخلوا الباب لم يابهوا لهما كما ابهت ، لقد كانا يتجاوبان مع بيت من الشعر العربي لاحد الحكماء والوعاظ . ذلك ان على اليمين تمثالا بالحجم الطبيعي ومن النحاس البرونزي الداكن ، يمثل اسدا هصورا غرز انيابه في صدر غزال مهيض ، سلم الى القدر مصيره ، ودمه يلطخ فم الاسد الذي يرك على الغزال ليتهمه ورفع ذنبه الى العلاء ، تبجحا واقتدارا وافتراسا ، وعلى اليسار تمثال برونزي آخر بالحجم الذي يكون في الحياة ، يمثل الكركدن وحيد القرن ، وقد غرز قرنه في لبة الاسد الذي اضطجع على ظهره تسجعة الغزال الذي على اليمين ، واستسلم للنازلة التي نزلت بجبروته ، وكان دمه يتقصد فيلطخ فم وحيد القرن .

وبعد أن شبعت موعظة وتاملا في دنيا التمثالين السادرين ابدا منذ صنعهما « دولاكروا » في القرن الماضي حتى اليوم في تمثيل الجلاد الانساني والخصام الحيواني ، في الوجود ، منذ عهد آدم ، فيما طبع عليه الانسان والحيوان وهو البطش والافتراء والعدوان ، نزلت من على درج الباب ، وانا انشد قول شاعرنا القديم :

في الشطر الثاني ، وقد البسته من عندي الشطر الاول :

لعمرك لا تظلم وكن خير ارحم

فما ظالم الا ويبلى باظلم

(1) ان آخر ما ظهر من مؤلفاتها هذا الشهر (حزيران 1969) كتابها الكبير (مي زيادة) في حياتها وآثارها) اصدار دار المعارف بالقاهرة 1969 .

وتحدرت الى الحديقة التى مدت اليها يد الانسان بفنه وذوقه وابداعه . فبدت وكانها جاءت الى الدنيا ليقرأ فيها البشر القانون عنوان خلود الجنان . وبهجة الفراديس المنتظرة خلف الوجود . وكانت لحديقة مزدانة بتماثيل من الرخام تمثل الحب والغرام وتصور نضرة الاعمار فى بنات حواء ، فاتخذت مجلسا بين الناس وكانت الشمس تحط اشعتها المذهبة فى صباح فينان على الاغصان ، وتلقي الاشجار الدوحاء ظلالها الندية ، فمرحت فى نفسي من الاصباح التى لا تمر كثيرا فى الحياة ، وانطلق فكر ي الى تمثال حديدي كنت شاهدته فى مكان قرب « نبع الخطوط » فى « روما » حيث يتدفق الماء من صخور تعلوها تماثيل فيقذف الناس بالدراهم فى ذلك الماء الخير يطالبون الاقدار بتحسين حظوظهم . يومذاك وقفت انظر الى تمثال مهجور من الحديد ، قام فى مكان منعزل قرب ذلك الينبوع يمثل الاله الاسطوري (فون) الذى خلق برجلين ذاتي ظلفين من اظلاف التيوس . ونبت فى راسه قرنان ، لكن وجهه ويديه وجه انسان ويده وقد وضع على فمه نايه الحنون الساحر ، وقد روت الاساطير انه كان يرتاد البساتين اليانعة والحدائق الغناء وينفخ فى نايه الحانا سوابي تحن لها الاشجار وتنحني حتى تنسطح على الارض .

فتمنيت يومئذ ، وانا بباريس فى حدائق التويلري ، ان يكون ثمة مثل ذلك التمثال الذى هو (فون) فيهدهد بقناته الاشجار ويسحر الاقمار .

وخرجت من الحديقة وقد علا النهار وصار داعيا لضرب من العمل بعد النزهة، فقصدت وقرينتي الى الدار رقم 52 بشارع رشليو ، وكان هذا الشارع ضيقا وقديما ، ولعله اقيم منذ ايام ذلك الكاردينال العالم الذى اوجد جامعة السوربون واسس المجمع العلمي الفرنسي ، فكان علمه عديل دينه ، وحين بلغنا ذلك المكان العتيق الذى تعيش فيه الكتب وتنام المخطوطات وتستيقظ ، انه «دار الكتب الوطنية» بباريس تقوم فيها قبة جسيمة ، ففتحنا الباب ودخلنا وحدثت جلبة بفتحنا للباب فاستقبلنا احد امناء المكتبة بتحية مقرونة باشارة صمت ، اذ وضع اصبعه على فمه ، والقراء جالسون فى مقاعدهم وكان على رؤوسهم الطير – كما تقول فى التشبيه العربي والتعبير الذى يشير الى السكون – . وكنت لا ابرح دار كتب حتى ارى من مخطوطاتها ما يسبغ زوراني ، فنظرت فى الجناح المخصوص بالمخطوطات العربية ، ورايت تنسيقها محكما وشروح ثبوتها ضافية واعية ، وفيها مخطوطات نوادر . ولولا المعاجلة فى الذهاب والاياب لازددت توقفا بتلك المخطوطات النفائس التى تحل بين جلودها ارواح المؤلفين العرب خلال العصور المتعاقبة .

ولم نكد نقف بباب تلك الدار الكتيبة ، حتى رأينا من بني قومنا العرب السوريين اربعة كان فيهم واحد صديقا لنا فقال :

– اين انتم ذاهبون ؟.

– الى فندقنا ، فندق برنتون امام الباب من حديقة التويلري .

– لئن ذهبتم وحدكم بعدت عليكم الشقة فاننا امر بكم من خلال ازقة تجعلكم قريبين من ذلك الفندق .

ففرحنا ونشطنا للمشي ، والشمس كانت قادحة حرورا فوق رؤوسنا ونحن بشهر آب اللهاب .

ومضى بنا خلال دروب متعرجة طويلة ، واذا به يخرج بنا امام متحف اللوفر وبين هذا المتحف وفندقنا سفره خمسة عشر الف متر ، فودعناه وامتطينا سيارة اجرة اوصلتنا الى نزلنا ونحن مكدودين من التعرق ، فقلت لزوجتي :

– ارايت هذا الدليل ؟

– لقد ابعدنا عن قصدنا فى هذا الحر المكين .

– نعم ، وهو قد عرف باريس معرفة وثيقة ، اذ سلخ فيها اولا خمس سنوات ، والآن ثلاثا ايضا !.

الدكتور زكي المحاسني

لقاءات

للأستاذ عبد القادر زمامة

ـ هناك لقاءات مع الحياة فى جدها وهزلها ..

ـ وهناك لقاءات مع النفس فى انقباضها وانشراحها ..

ـ وهناك لقاءات مع الفنون فى قديمها وجديدها ..

وهدف اللقاء كيفما كان .. وعلى أي صورة تم .. هو الربط بين اشواق النفس .. ونزعات الهوى .. ونبضات الفكر والقلب .. مع اتخاذ وسيلة طريفة وهي :

الدراسة فى تسلية .. والتسلية فى دراسة .. وذلك ما نحاول به الوصول الى هدف معين .. عن طريق وسيلة معينة ..

ا ـ مع النفس ..

حبذا لو كانت النفس مختارة فى لقاءاتها عبر هذه الحياة .. وحبذا لو كانت لقاءاتنا تبدأ مع النفس .. قبل الغير .. ولكن الحياة تفرض علينا فى كل يوم بل فى كل لحظة لقاءات نقف معها فى أخذ وعطاء ..

نريد ان نعرف كل شيء .. ونلتقي بكل شيء .. الا بانفسنا .. وبانفسنا فقط ..

فنحن نريد ان نعرف الماضي عن طريق دراسة التاريخ ..

ونحن نريد ان نعرف المستقبل عن طريق الفرض والتكهن ..

ونحن نريد ان نعرف الحكمة عن طريق الفلسفة والمنطق ..

ونحن نريد ان نعرف الفن عن طريق محاكاة الطبيعة

ونحن نريد ان نتعلم ونفكر ونجرب فى آفاق شتى من ميادين الحياة . وموضوعات المعرفة .. ويتم هذا كله .. او نريد ان يتم هذا كله .. خارج المنطقة المحرمة .. وهي منطقة النفس ..

وهذا شيء غريب حقا ..

فالانسان يعرف .. ويريد ان يعرف كل شيء ولكن عن غيره ..! لا عن نفسه ..!

وعند دراسة هذه الحقيقة او على الاصح عند التامل فيها نجد ان هناك وحشة بين الانسان ونفسه .. فكأنها غيره .. وكأنه غيرها ..

والتسلي هنا يأتي عندما يطرح الانسان على نفسه هذا السؤال ..!

لماذا ابحث جاهدا .. وافكر جاهدا .. واعمل جاهدا .. لاعرف عن غيري ما لا اعرفه عن نفسي ..؟

ويتم التسلي حينما يجد أعماق نفسه تردد هذا السؤال .. فى سخرية .. وعبث .. وكأنه كرة

تتقاذفها ايد لشيطة الفت القذف .. والتلقى فى لا مبـــــالاة ..

ونفس المشكل عاناه الفلاسفــة والمفكـرون .. لكنهم زادوه تعقيدا عن طريـق محاولـة التفسيـر والتعليل .. وعن طريق محاولة العلاج والتقويم ..

كل هذا نتصوره حينما نحـاول اللقــاء مـع النفس .. ونحـاول ان نزيـل هــذه الوحشــة .. ونتخطى هذه المنطقة المحرمة ..! لئلا نبقى فى واد .. ونفوسنا فى واد ءاخر .. ولنعيش سواء .. وعلى وفـــاق ..!

واول ما يجب ان نقنع به انفسنا ونحن نعيـش فى هذه الوحشة .. وان نوطنها عليه هو :

– اننا لا نملك خطا فاصلا .. ولا حدا قاطعا .. بيننا وبينها .. فهي نحن .. ونحن هـي .. بقطـع النظر عن سائر الاعتبارات النفسية والفلسفيــة .. فتلك الاعتبارات وتلك التقسيمات لم تكن لا لفرض واحد وهو تنظيم التفكيـر .. وتحليـل البـواعث والنزعات والتصرفات ..

والا فالواقع هو ان الانسان كل لا يتجـزا .. واي خلل او ضعف . فى جهة .. واي تفوق او سمو فى جهة اخرى . .انما ينعكس لا محالة على سائر الجهات الاخرى ..

لهذا تقوم الصلة المثالية بين الانسان ونفســه على اساس من الاقتناع والنقد الذاتي ومحاسبة التصـرف .. والتحكم بالعقل فيما يمليه الهوى ..

وهذا هو اللقاء مع النفس فى اسمى صوره .. نعرفها ونحاسبها وننتقدها ونقوم اعوجاجها .. وهو فى الحقيقة انما يحطم سدودا داخلية وسحبا لا سعادة له بتكاثفها فى افقه النفسي ..!

2 – مع البحـر ..

لغة من اين ..؟ والى اين ..؟

هى اللغة التى خاطب الانسان بها البحر منذ ان عرف الحياة بجانب هذا المخلوق المتموج المزبد الذى يقذف كل لحظة .. ويبلع كل لحظة ما لا يحصيــه العد .. ولا يحيط به التقدير .

وبهذه اللغة خاطبت البحر وانا اتطلب منه معنى جديدا توحي الي به امواجــه المتكسرة على شاطـىء المحيط .. واذا كانت هذه لغتي ولغة كل انسان يقف امام هذا المخلوق الجبار . فان لغة البحر هي الاخرى لا تعدو المثال الحي والمرآة المجلوة التى تعكس البداية .. والنهاية .. وتصور اسطورة الزمان .. والمكان ..

فالبحر حركة .. والبحر امتداد .. والبحـر جزر .. والبحر بسمة .. وغضبة .. والبحر سلوة .. ووحشة .. والبحر حياة وموت ..

فاذا تجرات امام البحر وخاطبته بلغة من اين ..؟ والى اين ..؟ فلماذا لا يتجرا هو الآخر ليقـول لي بلسان الحال وانت من اين ..؟ والى اين ..؟

ولعل الانســان اذا اخذ مكانه على الرمال واتجــه نحو البحر يشعر ان هناك زحفا دائما من الجزء المائع من سطح الارض .. على الجزء الجامد منها .. كمــا انه يشعر بخطر هذا الزحف كلما شاهد الامواج فى سباق والمد فى اقبال .. ولكن هذا الشعور يتبـدد كلما راى العكس وهو زحف الجزء الجامد من سطـح الارض على الجزء المائع منها ..

فقوافل الاساطيل الحربية والتجارية تمخر عباب المحيطات فى تحد وصولـة وشمـوخ وكبريـاء .. وسلاسل التجارب .. وشباك الصيد .. لا تعير هذه المخارق الا ما يعيره الصياد لارجاء الغابات وساحات الاحراش ..

اما الزحف الجماعي فهو هذا الزحـف الـذى تمثله قوافل السابحين والسابحات فى بهجة ونشوة ومرح وفى سباق مع الامواج ..

والبحر حينما يفتح ذراعيه ليستقبل كل موسم هذه المخلوقات المختلفة الالوان والاجناس انما يفرض ويقدر تقديرا ان حياتــه وحياة ساكنيــه ليســت موحشــة .. ولا مظلمة .. ولا مملة .. والا لما تسابق الناس اليها كلما طاردتهم لفحات الشمــس وحرارة الجو .. واتقاد الصيف ..

اما شعور السابحين والسابحات .. نحو هذا المخلوق فهو شعور صاحب الوسيلة حين يستعمــل وسيلته بكل حرية يتصرف فيها كما شاء .. ومتــى شاء وكيفما شاء ..

وقد تساءل كاتب شهير منذ شهور هذا السؤال:

– لماذا يقبل الناس على رياضة البحـر بينمــا يهملون غيرها من الرياضــات الاخـرى .؟ وهــذا السؤال فى نظري لا مبرر له فليس كـل ما يقصــد الشاطىء يقصده بنية الرياضة .. فهناك الرياضة ..

وهناك المتعة .. وهناك التامل .. وهناك لغة البحر التي توحي بمعاني سامية لمن يحسن الحوار بها ..

فمن ايـن ..؟ والى ايـن ..؟ ومتـى كـانت البداية ..؟ ومتى تكون النهاية ..؟

3 ـ مع الفنـون :

ليست الغاية البعيدة للفن دائما هي الفن .. فالرأي الذي يقول ان الفن للفن .. هو رأي لا فن فيه .. او على اصح .. تقدير لا يؤدي فيه الفن الا وظيفة سلبية هي الى المغالطة والتقليد اقرب منها الى الفهم والابتكار ..

واذا كان الذوق هو حاسة تقدير جمال الاشياء .. فان الفن هو العمل الذى انجزه الذوق مراعيـا فيه قبل كل شيء الجمال المتسلسل في المظهر والمخبر والوسيلة والهدف والشكل والمضمون ..

فالفن الذي انجز تحت ضوء زاوية واحدة فن مبتور .. والحن ناشز فى موسيقى الحياة ..

وهذه حقيقة ادى الجهل بها او تجاهلها الى هذه المزيفات الفنية التى يصح لنا أن نقيم لها معرضا دوليا عاما نسميه معرض المزيفات الفنية .. وفكرة المعرض تهدف الى تقديم مأساة الفنون التى اصبحت اليـوم ضحية كل مخدول ومغبون ومضـارب على حسـاب الفنون اولا .. والاذواق البشرية ثانيا ..

فليس من الفن ان نرضي حاسة ..! ونغضب حواس ...!

وليس من الفن ان نتصيد الشواذ والغرائب .. ونهمل اللطائف والطرائف ..

وليس من الفن ان نتلاعب بجسم الانسان .. وجمال الانسان .. واخلاق الانسان

وذلك لسبب بسيط جدا وهو ان هذا التلاعب ليس من الذوق الجميل فهـو اذن بعيـد عن الفـن الجميل .. فالفنون فى صورها المثالية تعني قبل كل شيء تنمية الشعور الجميل بالاشياء .. ولكن هـذه التنمية تكون متكاملة .. لا متنافرة .. فاذا حدث ان تنافرت .. فهي مأساة فنون .. اوحى بها الطيـش والجنون ..

4 ـ مع « الاحياء »

اذا كان الشخص الذى يجلس فى المقهـى الى جانبك .. يقرأ جريدة تحمل تاريخ بدايـة الاسبوع الفارط ..! بامعان ..! واهتمام ..! وتأثر ..! ويقلب صفحاتها الداخلية من اليمين الى اليسار ..! ومـن اليسار الى اليمين ..! ويتأمل جميـع الصـور ..! والاعلانات .. والرسـوم الكاريكاتورية .. ويحـل سائر المشاكل للحروف المتقطعة .. ويقف طويلا عند عمود الحظ .. ومفكرة اليوم .. وزاوية التعارف ..! فانك تشعـر بدائرة من الفـراغ يسبـح فيها هـذا المسكين .. الذي كتب عليه ان يعيش ذيلا فى عجلة الزمان .. وملحقا فى قافلة الاحياء .. فالحـوادث اليومية التى يعيشهـا جاره القـريب والبعيـد .. ويتمتع بجدتها .. وطرافتها .. هي بالنسبة لهـذا المسكين « تاريخ » يقرأ .. ومحصـول يبحـث .. وسجل يستعرض ..

واذا كان هذا الموضوع واشباهه يلهم الكـاتب الساخر .. والروائي الحاذق .. التصويـر تفاهـة الحياة بما فيهـا الزمان عند طائفـة غير قليلـة من الناس فى القرن العشرين .. فان الانسان العادي لا يملك نفسه ولا يملك احساسه .. ولا يملك عاطفتـه .. حتى ينفجر برثاء لهؤلاء « الاحياء » .. بعـد ان عهدنا ان الرثاء لا يكون الا لسكان القبور ..!

فاس ـ عبد القـادر زمامـه

الزنجية والأدب الشفاهي

بحث للأستاذ ستانيسلاف سفوريكي
تلخيص الأستاذ حسن المنيعي

كان الاوربيون سابقا ينظرون الى افريقيا نظرة المستعمر الغازي او المكتشف المتعطش للمغامرة بين جماعات بدائية متوحشة ، اما اليوم فان نظرة كهذه قد عمل الزمن على تبديدها ، واندثر اثرها امام رغائب الشعوب الافريقية التى ما ان حققت استقلالها ، حتى اخذت تطوي المسافات ، وتسعى جادة لاسترجاع كيانها ، والوقوف على تراثها الحضري المجيد .

وهكذا تغدو هذه الرغائب والمطامع جسيمة الوجوه والاشكال ، لان الافارقة يريدون تجديد مجموع مرافق حياتهم الاجتماعية فى حدود وضع سياسي اقتصادي سليم ، وابتكار تقنية ادارية افريقية فى شتى اطوار الحياة ، خاضعة لمجتمع تقليدي يهفو الى كل تطور ، دون ان يزيغ عن معطيات القارة ومكنوناتها . امام كل ذلك نرى ان على افريقيا ان تجابه المشاكل التى تنحصر على الخصوص فى الوحدة ، والتصنيع ، وتكوين الاطر من المواطنين بالاعتماد على تجارب الماضي وتراث السلف .

ففى السياسة والاقتصاد ، نلاحظ ان مثل هذه الجهود تقوم على ارادة راسخة ، ترمي الى الغوص فى فسحة «اشتراكية افريقية» لا تعرف فروقا بين العمال والطبقات المشغلة او المشغلة ، كما هو الشأن مثلا فى حدود القانون العقاري الذى يريده «سنغور» لبلاده ، ويرى فيه الوسيلة الناجعة لتعويض قوانين فترة الاستعمار والاحتلال الفرنسي للسينغال، واحياء قانون العرف القديم بما كان ينطوي عليه من تحديد « للملاكين » و « مجلس القدماء » . اما فى ميدان التعليم فان الاتجاه الافريقي يتميز بمطالب ترتكز على تغيير المناهج التربوية ، والاستفادة من المرشدين الافارقة فى هذا المجال . ومثل هذه المطالب نجدها فى عالم الدين ، وحسبنا مدى الجهود التى يقوم بها الافارقة لتوسيع دائرة ممثليهم فى الفاتيكان .

هذا وان الدساتير المستحدثة ، رغم كونها نسخة مطابقة لدساتير المستعمر ، لتاخذ بعين الاعتبار كلا من القانون العقاري وقانون الاعراف ، خصوصا فيما يتعلق بتعدد الزوجات ، ومساواة الاطفال المنبثقين عن هذا النوع من الزواج . فى حين نجد ان الفن خاضع لاتجاهين قائمين على اللا قداسة والمركانتيلية . لذا يعسر تفهم المشاكل مهما كان نوعها ولا توضع لها الحلول اللائقة الا باعتبار مشكل الزنجية والامة الافريقية : هذا المشكل الذى يؤدي حتما الى قومية اصيلة . ومهما كان من المحال احياء حضارات جديدة كالتى يدعو اليها كل من « مامادو الامين » و « الحاج عمر » فى السنيغال و « ساموري » فى المالي ، فان اعمال البناء توجه الى غايات اخرى تضمن الانبعاث لتقاليد شبيهة بتلك الحضارات ، تهدف الى تبني العلاقات الانسانية داخل المجموعة ، وتقوم على احكام ثقافية اساسها الحقيقة ، والحرية ، ونكران الذات . ومن ثم كان للادب الافريقي المعاصر الفضل الكبير فى وضع مشاكل الزنجية والانعتاق الافريقي بكيفية واضحة . اذ ان هذا الادب يحاول ان يعرض للناس

تراث السلف في شتى تجاربهم ، ومطامع الاجيال الحديثة ، ومواقفها امام العالم المادي الذي يحيط بها . وهذا الادب له مقصد خاص ، لان مثل هذا الاتجاه الفكري يشير الى قيم افريقيا العتيقة ، ويساعد الشباب على التخلص من تاثير النماذج الاوربية ومناهضة اولئك الذين يحاولون تحقيق تداخل كلي مع تيارات الغرب .

ان مثل هذه الشعوب التي لا تتوفر على كتابة قد استطاعت رغم كل شيء ان تحفظ لنا تاريخ القارة الزاخر بمزايا الماضي ، زيادة على ادبها الطافح بالابداع الشفاهي الذي يقدم للافراد التعليلات لكل الالغاز التي تجعلهم امام قوات كونية خارقة . هذا الادب، الشفاهي التقليدي كان يعمد الى طرق تعبيرية كثيرة تقوم على النغم ، ومراعاة الاشكال الفنية في جل الانواع الادبية والمواضيع المطروقة . فالقصاصي مثلا كان يستعمل الامثال الرصينة، والحركات ، والانغام الصالحة ، ليخلق الجو اللائق بالحدث الاسطوري الغريب ، ويربطه بواقع الحياة عن طريق الاستعارات والرموز التي تحفز المستمعين الى اخذ وقف ايجابي .

وتجدر الاشارة الى ان هذا الادب الشفاهي ما كان قط « فنا لفن » ولكنه كان فنا للحياة ، وطريقة تعليمية تربوية ، اذ ان صلاحيته الدائمة تمكن من ادراك رغبة الافارقة مركزة في احكام الزنجية الحديثة وفي نقطة العادة الادبية القديمة ، لان ذلك يمكنهم من الاخلاص الى ما يمليه ادبهم من حكمة وفلسفة واحكام انسانية دينية .

ثم ان مجال هذا الادب يشمل جميع مرافق الحياة التي يؤدي فيها الانسان دوره كيفما كان الحال ، كما تمتد حدوده الى اقصى ما تصل اليه الافكار والاحساسات الانسانية . ولذا نستطيع بادىء ذي بدء ملامسة مكانة الدين في هذا الادب الذي تغدو فيه الصلاة محاورة بين الفرد والخالق ، وتمثل نوعا ادبيا بسبب مظهرها الخاص ، ويعقب الدين مجال الحياة الفردية حيث الاشعار والاناشيد تعبر عن احوال نفسانية كالانشراح والحزن والانتعاش بمزايا الحب وغير ذلك . .

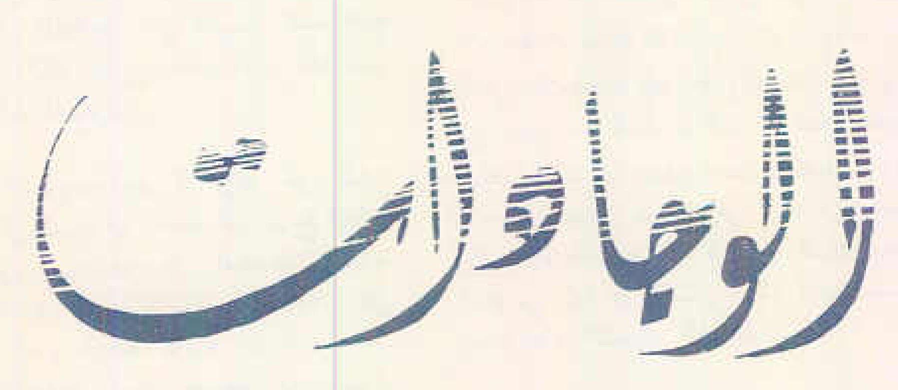
بعد هذا يفيض الادب الشفاهي بذكر الناحية الاجتماعية بما تنطوي عليه من احداث تاريخية ، ومنافع تربوية ، وخطط مهنية تاتي كلها مشحونة في شتى الانواع الادبية بما فيها الاسطورة ، والقصص ، والامثال . اما الاناشيد فلها مكانة فائقة بين الافارقة خصوصا عند احدى القبائل المرابطة في حدود الكابون الاوسط ، فهذه الاناشيد تكون قطعة من الشعر لانها تذكر بالاحداث العادية والمواقف الخارقة ، وتعكس في صورة حية تاريخ القبيلة بحكم مظهرها الجماعي ، لذلك فالنشيد يتعدى حدود الغناء ، والترفيه ، ويقوم بدور اجتماعي بما يتوفر عليه من كلمات جادة تفوق جانب المتعة الجمالية ، وهو كذلك وسيلة للتاثير في النفوس كما هو الشأن عند المسيحيين والبوذيين اثناء اداء الشعائر الدينية .

الى جانب الاناشيد تقف الاساطير بقداستها في ظروف خاصة ، لتتحدث عن جذور الانسانية وسير الابطال ، في حين نرى ان القصص تنقل السامع الى عالم الحيوانات الناطقة الحساسة التي تتجلى كالانسان في عواطفها ، واعمالها اليومية ، والتي تعرض من خلال اعمالها انواع القيم الخلقية التي يسعى الراوي الى تركيزها في نفوس الصغار والكبار .

اما الامثال فهي تمتاز بالصبغة التعليمية في المجتمعات الافريقية لانها تقوم مقام «كتب الحكمة» لما تحويه من تجارب انسانية جماعية . وهي تأخذ دائما صفة الامر والنهي ، وتستعمل كثيرا عند اصحاب الاحكام العرفية ، وفي القضايا الشعبية كما ترتكز على عالم الحيوانات . . .

من خلال هذه الدراسة المقتضبة نرى ان الادب الافريقي في قالبه التقليدي بعيد ان يكون ادب مناسبات او ادب تسلية ، بل يرمي في معظم انواعه الى هدف اسمى يقوم على مساعدة ابناء القبيلة ، وتكوين اجيال افريقية واعية بواجباتها وبحدود شخصيتها . ومن هناك نستطيع ادراك مفاهيم الحركات الزنجية التي يبذل اصحابها كل الجهود للقيام بدور ايجابي بالنسبة للقارة في نطاق عالم يسوده التقدم العلمي . وهذه الجهود كلها لا تنسلخ عن مقدسات الحضارة الافريقية ، بل تلقي الاضواء على ميادين التطور وطرق مباشرة كل عمل بناء في عقلية افريقية تعمل على ابراز الثروات الفكرية والخلقية للقارة .

مكناس : حسن المنبعي



للأستاذ: عبد القادر زعامه

202 – راس تيس ...! وعالمان ..!!

فى كتاب « الوافي بالوفيات » للصفدي ج 3 ص 122 من طبعة استانبول 1949 م

« اخبرني من لفظه الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمري قال: ترافق القرطبي المفسر. والشيخ شهاب الدين القرافي فى السفر الى الفيوم. وكل منهما شيخ فنه في عصره ..! القرطبي فى التفسير والحديث ..! والقرافي فى المعقولات ..! فلما دخلاها. ارتادا مكانا ينزلان فيه .. فدلا على مكان .. فلما أتياه، قال لهما انسان: يا مولانا. بالله لا تدخلاه. فانه معمور بالجان ..!! فقال الشيخ شهاب الدين للغلمان: ادخلوا. ودعونا من هذا الهذيان ..!! ثم انهما توجها الى جامع البلد الى ان يفرش الغلمان المكان. ثم عادا. فلما استقرا بالمكان. سمعا صوت تيس من المعز يصيح من داخل الخرستان ...!!! وكرر ذلك الصياح ..! فامتقع لون القرافي ..! وخارت قواه ..! وبهت ..! ثم ان الباب فتح .. وخرج منه راس تيس ..! وجعل يصيح ..! فذاب القرافي خوفا ..! واما القرطبي، فانه قام الى الراس، وامسك بقرنيه ..! وجعل يتعوذ ..!! ويبسمل ..! ويقرا من القرآن ..! « آلله اذن لكم ام على الله تفترون ... » ولم يزل كذلك حتى دخل الغلام ومعه حبل وسكين ...! وقال يا سيدي: تنح عنه .. وجاء اليه .. واخرجه واكاه: وذبحه ...!!!

– فقال له: ما هذا ...؟

– فقال: لما توجهتما، رأيته مع واحد .. فاسترخصته واشتريته..! لنذبحه .! ونأكله ..! واودعته فى هذا الخرستان ...!!

فافاق القرافي من حاله .. وقال: يا اخي ..

– لا جزاك الله خيرا ...!! ما كنت قلت لنا والا طارت عقولنا ..!! »

203 – حيلة نحوية ..!!!

فى كتاب الوافي بالوفيات ج 3 ص 354 فى ترجمة ابن عبد الله الفاسي المقرى الحنفي ..!!

« مر ببلد من اعمال الديار المصرية .. وبها طائفة يمتحنون الناس ..! فكل من لم يقل: ان الله تكلم بحرف! وصوت ..! آذوه ..! وضربوه ..!!

فأتوه جماعة فقالوا له:

– يا فقيه ..! ايش تقول فى الحرف .. والصوت ؟.. فالهمت ان قلت:

– كلم الله موسى بحرف وصوت ..! على طور سيناء ..! فاكرموه واحضروا له قصب السكر .. ونحوه ..!! وبكر بالغداة خوفا ان يشعروا به انه جعل موسى فاعلا ..!! »

204 ـ امراة بسيف .! وقلنسوة ..!!

ووجدت فى نقط العروس لابن حزم .. عن عبد الرحمن الناصر الاموي المتوفى سنة 350 هـ

« وله تعليق اولاد السودان فى الناعورة ..!! وركوب « رسيس » بقلنسوة ..! وسيف ..! فى موكبه ..!! قال ابو محمد : و « رسيس » هذه كانت امراة من دار الجراح .. رفيعة .. مهيبة .. اتصلت بالناصر .. وخفت عليه ..! حتى حمله ذلك على ان اركبها مكشوفة في موكبه ..! بقلنسوة ..! وسيف..! تقلدته ..! على بغل خلفه ..! بينه وبين الاولاد ..! فى يوم سرور ..! وشق هكذا قرطبة .. علـى باب العطـارين .. الـربـض الغـربـي كلـه .. الى الزهـراء ..! حدثني بذلك الوزيـر ابـو عبـدة رحمه الله .. وابو عبد الله بن الفليظ .. كلاهما عن مالك بن الحسن .. والد ابي عبدة .. انه سلم على الناصر . فى جملة الموالي فى ذلك النهار ..! وراى هذه الحـال ...!!! »

205 ـ اخلوقة لم يقع فى الدهر مثلها ..!!

يقول ابن حزم فى كتابه : « نقط العروس »

« ظهر رجل حصري بعد اثنتين وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم المؤيد ..! وادعى انه هو .. فبويع له ..! وخطب له على جميع منابر الاندلس ..! فى اوقات شتى .. وسفكت الدمـاء .. وتصادمت الجيوش فى امره ..!!

206 ـ مـن غرائب الدهـر ..!

ويقول ابن حزم فى كتابه المذكور :

« ومن غرائب الدهر : ان زاوي بن زيري رئيس البربر .. كان فى الدنيا ازيد من الف امراة .. لا تحل له منهن واحدة ..!! كلهن من نسـل اخوتـه ..!! وكذلك مثل هـذا العـدد من الرجـال مـن نسل اخوته ..!! »

207 ـ ابن حفصون يخطب لامير البصرة..!!

ويقول ابن حزم فى كتابه المذكور :

« .. عمر بن حفصـون خطب **بببشتـر** ... لابراهيـم بـن القـاسـم بـن ادريـس صـاحـب البصرة .. !! » (*)

208 ـ فليسكت ...!

وجدت فى كتاب « اعمال الاعلام » **تاليف لسان** الدين ابن الخطيب ص 184 من طبعة **بيروت .. عند** ذكر المظفر بن الافطس ..

« .. وكان فاضلا عالما ، وشجاعا **فارسـا ..** وله التاليف الكبير المسمى بـ « **المظفري » فى نحـو** خمسين مجلدا ..! واقام بذلك الثغر **ملكا عظيما ..** وكان ينكر الشعر على قائله فى زمانه .. **ويفيـل** راي من ارتسم فى ديوانه .. ويقول :

من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي .. **او المعري** .. فليسكت ..!! ولا يرضى **بدون ذلك ..!!** »

209 ـ مثل حسان ..!!

وجدت من شعر محمد **بـن ادريـس الشاعـر** الاندلسي المعروف بمرج الكحل هذين **البيتين** :

لك الحمد يا مولاي ما العبـد بامـريء
لديـه حسـام . بـل لديـه يـراع

وهل انـا الا مثـل حسـان شيمـة
جبان ..! وفى النظم النفيس **شجاع..!**

فاس ـ عبد القادر زمامة

(*) المدينة المغربية الشهيرة فى عصر الادارسة ..

شكــر .. ورجــاء

في العدد الثالث السنة الثانية عشرة من مجلة دعوة الحق القراء كتب الاستاذ البحاثة المقتدر السيد الراجي التهامي بحثا قيما عن بعض رسم القرءان وقراءاته .. وهو بحث يستحق التقدير والاحترام ، ولكني كم كنت اود لو انها لم يجمع البحث كله في مقال واحد ، فانا مثلا ، وان كنت بحمد الله من حفظة القرءان الكريم ومن حفظ « نصوصه » البعض مما اورده السيد الباحث ، والبعض مما لم يتعرض له ، كتلك التي تختص برحمت بتاء مطلوقة ، وفي ما بالفصل بين في وما ، وان الله لا يهدي القوم الظالمين .. ويا ايها الذين كفروا .. الخ ، فقد استفدت من بحثه الشيء الكثير مما لم اكن اعرفه ، ولكن الاختزال – ان صح التعبير – الذي قدم به بحثه جعله غامضا بعض الشيء ، فهلا حمل نفسه عناء عرضه في مقالات متعددة وبأسلوب اكثر وضوحا وبيانا ، حتى يستفيد منه الدارسون والمهتمون بهذه الدراسات .. وآمل ان يستجيب لرجائي هذا .. مع شكري له مقدما حين يحمل نفسه على الدوام مشقة هذه البحوث التي تقتضي منه الوقت الكثير والبحث الطويل ، فله من الله وحده الجزاء ..

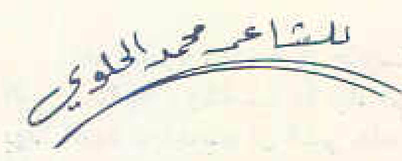
فاس – عبد الكريم التواتي

تعقيــب .. واستـغــراب

وفي نفس هذا العدد قرات في القسم الخاص بالتعليق او تقديم الكتب الصادرة حديثا مقالا لمحمد عبد المنعم خفاجي حول كتاب « الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين » واشار فيه الى ان مؤلفه كامل السوافري اختار فيه النصوص الشعرية التي تتحدث عن القضية من عام 1917 الى 1955 ، لجميع شعراء العالم العربي في مختلف اقطاره وللشعراء العرب الخ » ولكني عندما تصفحت البلدان العربية التي اورد لشعرائها لم اجد ضمنها المغرب ولا الجزائر ولا تونس ، فهل المؤلف نسي ان هناك دنيا عربية وشعراء عربا في هذه الديار ؟ وهل نسي المعلق بدوره وقد تأسف لكون المؤلف نسي فقط بعض الشعراء من بعض البلدان التي ذكرها دون ان يتأسف على اغفال بلدان بكاملها كبلدان المغرب العربي باستثناء ليبيا الحبيبة .. ان الذي اعرفه ان لا واحد من شعراء هذه الاقطار غفل قضية فلسطين ولم يقل فيها القصائد الرنانة الطويلة ، وكان على المؤلف اولا ، وعلى المعلق ثانيا ان يراجع الصحف والمجلات التي صدرت في هذه البلدان في الحقبة التي تناولاها بالتعليق ليتاكدا من ان شعراء المغرب العربي ساهموا هم ايضا في هذه المعركة .. وانا شخصيا نشرت قصائد عديدة في مختلف الصحف ومن ضمنها صحيفة النهضة التونسية ... فما معنى هذا الاهمال؟ اهو نسيان ام انه تغافل كالذي صدر عن انور الجندي في مقاله عالم الاسلام المنشور بنفس المجلة والعدد ، حين ذكر ان اسباب بقاء العالم الاسلامي سدا منيعا ضد الغزو الاجنبي انما هي وجود الكعبة والازهر .. ناسيا ان الازهر هو عمل مغربي ونتاج مغربي وتأسيس مغربي .. ان هذا التعليق يعلم الله اني لا أقصد به الا وضع الاشياء في محلها .. وتنبيه اخواننا في الشرق الى ان تجاهلهم لنا لن يكون ابدا في صالح لا القضية الفلسطينية ولا العربية ولا حتى الاسلامية ، فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا .

فاس – عبد الكريم التواتي





بمناسبة الذكرى الاربعينية الغالية لعاهل البلاد وقائدها الحسن الثاني أرفع لمقامه آيات الولاء متمنيا له مديد العمر حتى يحقق لشعبه ما يصبو اليه من رفاهيـة وازدهـار .

مـــاذا تركـت لصانعـــي المجـــد   من عاطر الذكرى ومـن حمـد !!
ارهقت دنيـاك التـي تجـري ورا   ء خطاك فى نصـب وفـى جهـد
كلفتهـا طلـب المعـالي يافعـــا   فعنت لحكمك فى سني الرشـد
ورضعـت اثـداء المكارم نابتـا   فى روضهـا مـن خطـوة المهـد
سعدت بمقدمـك الحيـاة واشرقت   جنباتهـا بمخلـد السـعـد
ونهضـت اكمـل ما يكـون مملـك   جم المواهـب ماضي الحـد
تمضــي الى الغايـات لاتلـوي على   شـيء ولا ترتـد عن قـصـد !
وتسوس بالحسنى وبالعدل الذي   قـد طـوقتـك يـداه كالعقـد
في عهدك الذهبـي عشنـا سادة   نختـال احـرارا بـلا قيـد
ثرنا على حكم الدخيـل وحطم الا   حـرار منـا ربقـة العبـد
واذا بشعبـك وحـدة مرصوصـة   وعبـاب بحـر زاخـر المـد
يبنـي ويرفـع للبنـاء معـاولا   ويسير خلـف خطـاك فـى وجـد
ملـك اخ واب شفـوق لم يـزل   يولـي بنيـه عـوارف الـود
هـذي مآثرك التـي أعليتهـا   تبـدو لـذي عينيـن كالطـود
من مسجد تعنو الوجوه لربهـا   فيـه تـردد آيـة الحمـد
ومناهل للعلـم شـدت صروحهـا   غصـت بظامئـة الى الـورد
ومـوات ارض سال فـي جنباتهـا   ما فجرتـه يـداك مـن سـد
سـعـي دؤوب لا يمـل وهمـة   طمـاحـة طبعـت علـى الجـد
يا صانع الحسنات فى شعب يسو   ق جزاءهـا من خالـص الـود
آمنـت انـك عبقـري ماجـد   قد عـز مثلـك فى دنـى المجـد
اصبحت اكبر من قوافي شاعر   والشـعـر ملـك تـوام الخلـد
فاسلم لشعبك ولتعش ما تشتهي   وانعـم بشبلـك وارث العهـد

تطـوان : محمـد الحلـوي

في المقبرة القديمة بطنجة

للأستاذ الشاعر عبد الله كنون

تقع المقبرة القديمة في طنجة ما بين المقبرة الكاثوليكية والمقبرة البروتستانية ، ولمناسبة ما جاء في ءاخر مقالي عن جائزة نوبل المنشور بهذا العدد ، أحببت ان أنشر هذه القطعة من شعري في الموضوع للاعتبار .

وشيعت جنازة ميـ ... ـت يوما الى القبر
فقام الناس بالدفن ... وعنهم قمت بالفكر

* * *

وفكرت بهذا المو ... ت والفاجعة الكبرى
وبالحشر وبالنشر ... وبالدنيا وبالاخرى

* * *

ولاحت لي المقابر فو ... قها الصلبان من كثب
فعن يمنى وعن يسرى ... يصرت بجارة جنب

* * *

ولم يك بيننا الا ... حظار جد منقصف
فقلت مسائلا نفسي ... وقد أشفت على التلف :

* * *

اهذا الحاجز الفاصـ ... ـل بين النار والجنه ؟
لقد عجز الذي لم يتـ ... ـخطه الى هنه !

طنجة : عبد الله كنون



من المغرب الحر هذا الدعاء ... الى الله ... ان يسعد الوطنا .. ؟
قواعدنا ان يريش الجناح ... وارسل للوطن الحسنا ...
مع النصر موعدنا يوم جئت ... على راحتيك حملت المنى
وتمضي مواكبنا زغردات ... الى الكون تعلن فرحتنا ..!
تلوح للغد اعلامنا ... وترقص تلك المنى حولنا ...

* * *

يمينا ... اذا المغرب الحر ثار ... تسابق نهضته الزمنا ..!
فانت الذي قدت نهضته ... تسير .. وتبني حياة الهنا
وانت ملكت عنان الزمان ... تصرفه طائعا لينا
تسير بزورقنا نحو شط ... خضير الربى ، سائغ المجتنى ..!
على شفة المجد انت نشيد ... يردده الكون متزنا
وترقص من ذكره البشريات ... وقد غمرت بالمنى ارضنا
نسير .. فلا الشمس في سيرها ... لتشرق ... تسبق خطوتنا ..!

* * *

وخمرة حبك تسكر روحي ... وتلهمني رائعات الفنا
فاغزل اجنحة من خيال ... ارف ... وحولي شعاع السنا
اغني هواك بخضر الجنان ... وقد غرستها يداك لنا
رات ربة الشعر بعد مداك ... ومجدك فوق حدود الثنا
فعادت ... تقبل عرش الخلود ... وترجى اليك محبتنا

ملوك الزمان ... هنا ملك   على الحب اسس وحدتنا
بلغنا على يده الامنيات   وقد بارك الله ثورتنا
وما انت الا صباح اضاء   بنور اشراقه الزمنا
فازهر عهدك بالمعجزات   الى الكون تعلن وثبتنا
وتأوي الى ظلك المكرمات   على الحق ترفع نهضتنا
غمرت بلادك بالمنشآت   تشيد وتبني الحياة لنا
تعلم .. كيف تشاد المعالي   وترسم .. كيف يكون البنا ..
زعامتك اليوم قادت خطانا   وعزمك يلهم امتنا
بنينا ... ونهزم كيد الاعادي   كذلك حبك علمنا

* * *

وانشات للعلم .. دار حديث   تسبح بالخلق الوطنا
تعيد لنا كل مجد تليد   وتفتح للغد اعيننا
نما الغرس .. غرس يديك لنا   فلله غرسك حلو الجنى ..!
وفي كل ارض يرى المسلمون   بانك وحي الهدى بيننا
وما المسلمون سوى وحدة   بها نرجع اليوم سؤددنا
وما منهج الدين الا نظام   وتلك المذاهب تزري بنا
هو القدس يدمي جراحاتنا   ويمسح بالشوك مقلتنا
سقته السموم افاعي الظلام   تحول افراحنا حزنا
هو القدس – يا ملكي – يستجير   بظلك ... انك رمز المنى
فبلسم جراحاته بيديك   فحبك يجمع وحدتنا
وما وحدة المسلمين سوى   سلاح يعزز موقفنا
كذاك تعاليمك المثليات   تضيء بانوارها عصرنا
لثورتنا قلت : كوني ، فكانت   حضارة شعب ... هنا تبتني
سلمت ... وحولك حب القلوب   يرف شذى ، ويشع سنا

الرباط : علال الهاشمي الخياري

يوم 20 غشت

أو ذكرى ثورة الملك والشعب

للشاعر محمد العلمي

فى مثل يومك هذا فزت بالظفر ... وصرت احدوثة الازمان والسير

في مثل يومك هذا كنت محتسبا ... فانت ضحيت بالغالي وبالعمر ،

حتى ترى شعبك المحبوب منتصرا ... على العدو الذى ما لاذ بالحذر !

فى مثل يومك هذا فاض مدمعنا ... على فراقك فى منفاك كالمطر

فى مثل يومك هذا اقسمت فئة ... وانت ملء الحشا والسمع والبصر،

بأن تفدي عرشا انت مالكه ... فالصبر ضاع ولم نسمع بمصطبر !

ايهنا الجسم مهما روحه فصلت ؟ ... لقد شكونا الاسى حتى الى الحجر !

ظن العدى انهم كادوا لنهضتنا ، ... هيهات ! هل وهبوا فكرا لمفتكر ؟!

كلا ! بل استرخصوا قدرا لنخوتنا ... وانت علمتهم درسا لمعتبر

تآمروا واستساغوا مس عاهلنا ... بالسوء، يا هول ما جاءوا من النكر!!

بمثل ما فعلوا ادنوا نهايتهم ... وصوروا الامل الواهي لمنتحر

ونصبوا دمية لانت لمآربهم ، ... يا شؤم ما فعلوا ! يا لعبة الخور !

اهكذا عول الاحرار فى وطن ... كم نال فيه خصوم الحق من وطر ؟!

(كيوم) شاء أمورا كان يعرفها ... حتى يرى شعبنا فى اشنع الصور

لكنه القدر المحتوم منتظر ... والحق ما سطر الرحمن فى القدر

وهبت له كلا انت مالكه ... ونام غيرك فاستحميت بالسهر

فصرت تاجا على الاكوان اجمعها ... ومن جبينك ضوء الشمس والقمر

ما انت الا ملاك فى طهارته ... وانت شرفت فينا قيمة البشر

وانت عطر من الفردوس ننشقه ... وانت انشودة الاوطان فى الوتر

وانت مشتهر بالفضل اجمعه … والفضل ما قرر الاعداء فى الخبر

وفى طريقك امسى الزهر منتشرا … اكرم بزهر لرب التاج منتشر

وعدت مولاي للشعب الذى ظهرت … آياته بسديد الراي والنظر

افراحنا اليوم ما حد الخيال لها … حدا ، فيرسمها فن لمبتكر

ارواحنا سافرت لما طفت فتنة … فارغمتك على الترحال والسفر

قد كان امس مثارا للشكوك وما … قد حقق العمل الفاني لمؤتمر

واليوم زالت غيوم كان مبعثها … اهل الخيانة والزلفى لمحتكر

قد اذهب الله عنا بالمنى حزنا … وجاء بالصفو ما ذقناه من كدر

لولاك يا منهض الاقصى ومنقذه … لسامنا الخصم الوانا من الغير

فى ذمة الله والتاريخ ما لقيت … سواعد الشعب من كسر ومن ابر

وقد توهم الاستعمار ان له … سهما به يضرب الاحرار فى الدبر

شتان بين الذى يقويه مظهره، … وبين حر للاستعمار مختبر

لكنه هان فى كل العيون فلا … تراه الا صغيرا غاية الصغر

ارى مصير شعوب الارض قاطبة … على الجهاد ثوى فى الطول والقصر

فلن نهان وما هنا كما زعموا … بل اننا وحدة فى الهول والخطر

ولن نباع ببخس يستساغ لدى … مستعمر بنفوس الشعب متجر

كل يهون ويمحى غير مسكنة … قائمها فى البرايا غير مغتفر

سل التواريخ عنا ، اننا بلد … بالذل بين البرايا غير مشتهر

فى روحنا نخوة نفنى لنحفظها … والحر ذو غضب بالحق منصهر

غرست مولاي فينا كل مكرمة … واليوم ها أنت تجني اطيب الثمر

كم من اجير على الاوطان مؤتمر ! … ما اتعس الشعب فى بهتان مؤتجر

كم من شهيد تردى بالرصاص، وقد … واراه اعداؤنا فى ظلمة الحفر

وكم شريد اهان الظلم اسرته … فلم يعد عيشها الا على الشرر

وكم سجين يقاسي كل ضائقة … كانه من شرود اللب فى سفر

وكم يتيم ومفقود وارملة … وثاكل رتعت فى المرتع الخطر

لا يدرك السؤل الا من سما خلقا … والنفع ياتي على قدر من الضرر

لولا الفداء لما سطرت فى ثقة … انشودة لم تدع شيئا ولم تذر

يا ايها الملك المحبوب انت لنا … كسلسبيل من الآيات منفجر

لم يعرف الدهر منك اثنين فى شبه … بل انت مفرده تسمو على الفرر

ان كان غيرك قد شط الغرور به … عن الصواب ، فما اذعنت للضجر

لم يفوك الاصفر الرنان حين بدا | اهل الخيانة فى بحر من الـدرر
اعززت شعبك فى كل الوجود فلا | ترى به اثرا يبدو لمحتضر

* * *

جر الزمان ذيولا حينما ظهرت | منك الجلالة فى اذلال معتدر
احييت فينا فخار الراشدين ، فلم | تدع علانية فخرا لمفتخر :
ايمان محتسب ، بالله معتصم ، | بالحق مهتبل ، فى الباس مقتدر
ود الألى دفنوا ، قاموا لترتقبوا | بعثا بعهدك ، مهد النور والعبر
فانت أرجعت للشيخ الشباب، وكم | بتنا على لهب فى القلب مستعر
وانت عالجت أكبادا مقرحة | فلم تخب فيك آمال لمنتظر
وانت سفهت اقوالا ملفقة | ولم تكن فى اقتحام الهول بالاشر
وان تاخر عن ميدان عزته | وغد ، فانت لهذا خير مبتدر
تعفو وتصفح عمن قد اساءوا، ولا | تريد الا صلاح الشعب والاسر

* * *

يكفيك فخرا بأن الشعب اجمعه | يسير خلفك للعلياء والظفر
فقد اضفت للاستقلال وحدتنا | والكل يذكره التاريخ بالأثر

الرباط ـ محمد العلمي

أشرق النور بالأمير

للشاعر محمد العلمي

قصيدة بمناسبة ذكرى ميلاد الامير الجليل ، ولي العهد المحبوب : سيدي محمد حفظه الله

اشرق النور بالامير محمد ... فهو بشرى الى المليك المؤيد

وهو عطر من الفراديس هبت ... نفحات بفضله تتجدد

دوحة المصطفى به قد تباهت ... فهو اهل لكل مجد وسؤدد

وهو شبل من الاسود ؛ فمرحى ... بشموس قد انجبت خير فرقد !

انه ماجد من (الحسن الثا ... ني) ؛ ومرحى لماجد من ممجد !

وشعاع من نور احمد طه ... وشهاب في الخافقين توقد

يوم ذكرى ميلاده خير عيد ... فيه آمالنا تروق وتحمد

(مريم) اخته ، واسماء (في العيـ ... ـد (وحسناء) مثل عقد منضد

تلك ياقوتة تجانس ابريـ ... ـزا ، وهذي من النفائس عسجد

والصباح الوليد عانق كلا ... بزهور سيقانها من زبرجد

وكؤوس الرحيق تروي فؤادي الـ ... ـذي في العيد غنى وعربد

نغمات (للموصلي) واخرى ... تاه (زرياب) في مداها و (معبد)

ولقد هبت النسيمات تترى ... فاستفاق الشحرور منها وغرد

خضرة غضة وماء وحسن : ... هذه اوجه النعيم المجسد

انها صورة لعيد سعيد ... عاد بالبشريات ، والعود احمد !

* * *

أي بشرى أزفها للمليكي ؟ ... ان للعيد هاهنا الف مشهد :

نهضة يبهر العقول مداها ... وحياة تبدو الذ وارغد

وسدود جادت بكل رخاء ... وامان بكل حي موطد

ونماء وهمة لا تضاهى   وشباب حر، وصف موحد
وقيام لكل امر جليل   فى النوادي اصداؤه تتردد
وعلوم قد نورت كل عقل   لتصير الحياة ابهى واجود
تلك آيات عرشنا باهرات   ولكل من دهره ما تعود
وبفضل المليك اضحت بلادي   ذات مجد بين العوالم مفرد
وبفضل المليك نقهر اصنا   ف البلايا، وكل امر معقد
وجميع الشعوب ترقب مسعا   نا باعجاب، وكلها تتودد
من يرم قمة الكمال تجلت   فوق وجدانه مطامح ابعد
وبلادي بعرشها اليوم حلت   فى ركاب العلياء ارفع مقعد

* * *

حفظ الله للمليك شبولا   كلهم للبلاد جند مجند
وحمى العرش بالعناية والحـ   ـب، ففضل المليك ليس يحدد
حسبه ما بنى وما هو يبني،   فعليه الآمال فى الشعب تعقد
انه الحجة العظيمة فينا،   وحسام مجرد ومهند
مهد السبل للمعالي، لشعب   صان عهدا له بجفن مسهد
به سرنا الى الامام وفزنا   فهو صان الحمى وفك المقيد
وهو من خير على كل نفس   قد تجلى، وفضله قد تعدد
اطلق الالسن الشحيحة بالشكـ   ـر، فاثنى الورى عليه وانشد
يعظم الحر بالعظائم قدرا   وينال البقاء ما هو أجود
واذا سخر الاله بلادا   لسعيد فانهابه تسعد
انما العرش للفضائل ينبو   ع غزير، وللفضائل معهد
حسنات من فوقها حسنات   ضمها فى الوجود عرش مخلد
يعجز الوصف عن مشاريعه الغـ   ـر، وعما قد اقام فينا واوجد
انما العرش للسلام رسول   وله فى القلوب بالحب معبد
فاذا قال آمن الشعب طرا   واذا شاء فالنجاح مؤكد
همه نهضة العروبة والاسـ   ـلام، والمجد للمليك مؤيد
انه كعبة الامان وفيه،   قد عرفنا استقرارنا يتوطد
ان فيه استمرارنا وامتدادا   لوجود برعاه نور محمد
سوف يبني ابناؤنا فوق ما نبـ   ـني، وهذا التاريخ يروي ويشهد

الرباط ـ محمد العلمي



عاد الى المغرب ، أخيرا ، صديقنا الاستاذ الدكتور السيد عباس الجـراري مـن القاهـرة .

وقد قدم صديقنا الدكتور أطروحة تحت عنوان « الزجل في المغرب » الى كلية الآداب بجامعة القاهرة فنال بمرتبة الشرف، درجة الدكتوراه في الآداب ، بعد مناقشة علنية مساء الخميس 29 ماي الماضي دامت زهاء ثلاث ساعات ، وكانت لجنة المناقشة مكـونـة مـن الاسـاتـذة :

الدكتور عبد العزيـز الاهوانـي مشرفـا
الدكتـور شوقـي ضيف عضـوا
الدكتـور عبد الحميـد يونس عضـوا

واستغرق انجاز الاطروحة اربع سنوات ، بدات عام 1965 على اثر انتهاء صديقنا الدكتور عباس من موضوع « أبو الربيع سليمان الموحدي » الذي نال بـه درجـة الاستاذية (الماجستير) في الآداب مـن نفس الكليـة .

وتتكون الاطروحة من دراسة تقع في نحو سبعمائة صفحة وملحق يقـع في نحـو مائتين أما الدراسة فتحتوي على مدخل ومقدمة ، وثلاث أبواب ، واما الملحق فدليل لقصائد الزجل يضم مختلف الفهارس التي نظم فيها الكاتب النصوص .

وفيما يلي جزء من المدخل تحدث فيه الكاتب عن دوافعـه الى تنـاول هـذا الموضوع ، والعقبات التي صادفته في انجازه ، ومنهج البحث :

لكل أمة تراث هو عنوان شخصيتها الوطنيـة

يعبر عن قدرة عقليتها ، ويحدد مـدى عبقريتهـا ، ويكشف عن قوة ارادتها ويبرز طابعها القومي الاصيل في مجالي الحضارة والثقافة . وقد مضى زمن غير يسير كان الناس ـ عامة وخاصة ـ يظنون أن هـذا التراث لا يتمثل في غير ما الف العلماء من كتب تحويها بطون الخزائن والمكتبات ، وفيما اقامت الاجيال خـلال حقب التاريخ من آثار لم يتلفها توالي العصور والازمان، ويغفلون جانبا من التراث ، لعله لايقـل عن هذيـن الجانبين في توضيح معالم كيان الامـة وملامح وحدتها

وابراز مقوماتها وقيمها ، ان لم يكن اكثر منهــا عكسـا لروحها القومي وذاتيتها الجماعية ، وهو الجانب الممثل في الآداب والفنون التي صدرت عــن الشعب فــردا وجماعة ، متخذة وسيلتها في التعبير الوانا من القــول والكلام والنغم والايقاع والحركة والاشارة والرســم والتشكيــل .

وانطلاقا من هذه الحقيقة بدانا نهتم بالتــراث الشعبي في المغرب ، نحاول جمعه ودراسته ، فالفينـا مادته متنوعة غزيرة ، وهي على تنوعهــا وغزارتهــا تتقرض وتضيع في غمرة التيار الحضاري الجديد الذي بهر الناس بريقــه فجعلهم يدوسون هذا التــراث ، جاهلين او متجاهلين انهم يدوسون فيــه مقــومات ثقافتهم الوطنية ومظاهر حضارتهم الاصيلة .

وكانت رغبتنا ملحة واكيدة حين عزمنا على اختيار موضوع لرسالة الماجستير ، ان نتناول جانبا من الادب الشعبي ، وهو ادب يغرينا ويجذبنا اليه فنحس لــه ميلا غير قليــل ، فقــد رافقنا رفقــة عمر منذ عرفناه ترنيما في المهد ، لاندركه ولا نعيه ، الى ان طربنــا لــه واعين روعته ومدركين جماله ، فاحببناه وغدونــا من حبه نشعر بمزاج متجاوب معه ومنسجم بالطبيعــة والسليقة دون ما تكلف او تصنع . ولكنــا لم نحس الجراة على مواجهة الجمهور المثقف المغربي بمثل هذه الدراسة ، لا سيما بعد تجربة سابقة عانينا فيها الكثير وكنا قد نشرنا (1) بحثا مسلسلا عن « الفولكلور » .

عدلنا في الماجستير عن الادب الشعبي وسجلنــا موضوعا في الادب المغرب المغربــي ، متصــلا بعهــد الموحدين ، ادرنا دراسته حول الشاعر الاميــر ابــي الربيع سليمان الموحدي . ولكنا وعدنا نفسنا بضرورة انجاز بحث الدكتوراه في احد فروع التراث الشعبي .

وها نحن نفي اليوم بهذا الوعد حيث نقدم اطروحة جعلنا موضوعها لونا من الادب الذي اتخــذ اللهجــة العاميــة اداتــه .

وتعتبر هذه الاطروحة خلاصة جهود متواصلــة في الاعتناء بهذا الجانب من التراث الشعبي اكدت لنــا الدوافع التي كانت حافزنا الى الاقبال عليه ، وهي :

1 ــ ان الادب الشعبي صورة للشخصية الوطنية ، مهما كانت باهتة فهي اوضح من الصورة التــي يعكســها الادب المدرسي المثقف .

2 ــ أن دراسته تعزيــز لاقليمية الادب وتقريــر لمذهبه الذي تؤيد الداعين له منهاجا للكشف عن ادب الاقاليم العربية المختلفة وسبيل الامة العربية الى لم شتات ادبها المبعثر المجهول .

3 ــ ان الادب الشعبي مكمل للادب المدرسي وان من شان دراسته ان تساعد على الربط بيــن الادبين واجتياز الهوة الكبيــرة التي تفصــل بينهمــا .

وقــد صادفنا في انجــاز هــذه الرسالــة **متاعب ومصاعب** ، بعضها يتصل بموقف المثقفيــن في المغرب من الادب العامي ، واغلبهــا يتصــل بمصادر الدراســة .

اما **موقف المثقفين** فواجهنا فيه انكارا مطلقا علينا ان نتخذ الزجل موضوعا لرسالة جامعية ، وحــاول كثير من الباحثين الاصدقاء تحويل فكرنا عنه واغراءنا بموضوعات في الادب المغرب المغربي او بما يرونه التراث الحقيقي الاصيل . وهم في هذا بين عــدم معتبــر للاداب والفنون الشعبية من التراث ، لايتمثل قيمتها ولا يراها جديرة بالبحث ، وبين معترف بها ومقتنــع بجدية الدراسة التي ندير عليها ، ولكن يراها تستهدف التسلية والترويح وتاتي بذلك في المرتبة الثانية بعــد التراث المدرسي ، لايعدو الاهتمام بها أن يكون ترفــا للعقل وترفيها للنفس ؛ وآخر يرى ان العامية اثر مــن بقايا فترة التاخر والانحطاط ورواسب عهد الاستعمار ، وان الاعتناء بها يعرقل سير التعريب الذي يسعــى المغرب الى تحقيقه ، وانه لايمثل غير حركة رجعيــة هدامة تتستر خلف المحافظة على الآداب الشعبية .

ولعلنا ان نؤكد لهؤلاء جميعا ان الادب الشعبــي جــزء ركين من التــراث ، وانه تعبيــر عن مقومات الشخصية الوطنية والذاتية الجماعية ، وان الاهتمام به اهتمام بهذه الذاتية وتلك المقومات ، وانه لو لم يكن كذلك ما حاول الاستعمــار ان يعنــي ببعض جوانبــه ليتسنى له ان يتسرب من خلالها الينا ليفهم عقليتنــا ويدرك اعماق ثقافتنا واصول حضارتنا لينسفها مــن الاســاس .

ونحن مع استاذنا الجليل الدكتور عبد الحميــد يونس نخطىء من يتصور ان الآداب والفنون الشعبيــة « تستهدف التسلية والترويح عن النفــوس المكدودة

1) في مجلة « دعوة الحق » وفي ثلاث حلقات ابتداء من عدد نوفمبر 1962 (السنة السادسة) .

بعد عمل النهار الطويل تلتمس لها المواسم وتنتخب لها اماكن التجمع . ان التسلية والترويح وظيفة ثانوية ، اما الوظيفة المحورية فقومية على الدوام تطلب المحافظة على ذات الفرد العزيز فى امته وتطلب المحافظة على الجماعة كلها فى آن واحد (1) » .

ولعلنا ان نؤكد كذلك أن العامية ليست مظهرا من مظاهر اللغة الفصحى فى صورة منحطة متاخرة ، وانها مزيج مركب من العربية كما وفدت الى المغرب ومن اللغة المحلية يومئذ ونعني بها البربرية ، وان العربية التي وفدت لم تكن الفصحى وحدها وانما كانت معها لهجات عربية قبلية ، وان الصراع اللغوي الذي دار فى المغرب لم يكن بين الفصحى والبربرية وانما بين هذه ومختلف اللهجات التي كان يتكلم بها العرب الوافدون .

ومن هنا – واذا ما تهيات دراسة اللهجات العربية فى كل الاقاليم – امكن التعرف الى صفاتها وخصائصها والى ما بها من عناصر أصيلة ، واتضحت بالتالي كثير من ظواهر اللهجات العربية القديمة ، بل اذا ما تهيات هذه الدراسة سهل تحديد مناطق التقريب بين العاميات وتوحيدها وسهل كذلك تطوير الفصحى وامدادها بكثير من الجديد .

ولعلنا أن نؤكد بعد هذا حقيقة اخطا فى ادراكها من كان يتصور ان الاستعمار كان يحاول القضاء على الفصحى لحساب العامية ، فمن المؤكد انه كان يقصد الى محوهما جميعا ليحل لغته وينشرها اداة للتخاطب والفكر على السواء . ولسنا فى حاجة الى القول بانه لم يعد يخشى على الفصحى ان يقضى عليها او تزول بعد أن عادت سيادة الوطن العربي الى ابنائه ، فاللغة العربية الفصحى هي الرباط الجامع لشمل العرب وعماد قوميتهم وعنوان وحدتهم ، وهو واقع لا ينكره الا الجاهلون والمعاندون ومن بقيت فى نفوسهم وافكارهم رواسب الاستعمار ، ولكنه انكار لا يؤثر على هذا الواقع فى شيء .

وحقيقة اخرى فى نفسنا نرجو ان نصرح بها للذين يرفضون دراسة الزجل خشية على العروبة ولغتها ، وهي أن اتخاذ المغاربة للهجة عامية عربية اداة للتعبير الشعري دليل واضح وقاطع على عروبتهم وحيويتهم وحبهم للغة العربية ، ولكن حذار الظن باننا ندعو لها لغة للفكر ، فهي قاصرة وعاجزة عن ان تتعدى نطاق ذلك التعبير . ثم اننا في غنى عنها بلغتنا الفصحى التي يتوفر لها من الامكانيات ما يجعلها قادرة على استيعاب كل جديد .

واما المصادر فعلى اربعة انواع :

1) الابحاث التي تتصل مباشرة بالدراسة ، وهي جد قليلة لا تتعدى بضع مقالات . وكان قد ذكر لنا الاستاذ محمد الفاسي انه مهتم منذ خمس وثلاثين سنة بوضع عروض للشعر الملحون المغربي فاعتبرناه بذلك رائد البحث فى الادب الشعبي ، وسالناه اكثر من مرة – بالاتصال الشخصي والوسائط والرسائل – ورجوناه والححنا في الرجاء عساه يمدنا بما قد يفيد ، ولكنه كان ابدا يردنا ويصدنا مهولا لنا امر هذا الادب ، ضنينا علينا بما قد يكون جمع من نصوصه او كتب عنه .

2) الاشياخ : سواء منهم الشعراء او الرواة . وقد اتصلنا في مختلف المدن المغربية بعدد منهم غير قليل . وكان اعتمادنا عليهم كليا فى التعرف الى الزجل والزجالين ، ولكننا وجدناهم يختلفون في العلم الى حد التناقض فى بعض الاحيان ، ويروون اخبارا اقرب الى الخوارق والخرافات منها الى الحقائق . وكان علينا ان ننظم ما ناخذ عنهم من معلومات واخبار فوضعنا فهرسين بالجذاذات احدهما خاص بالزجل والثاني بالزجالين مرتب ترتيبا تاريخيا ، وكان علينا بعد هذا ان نصفي ما ناخذ عنهم من معلومات ونغربلها وننسق فيما بينها . ومع اننا وجدنا فى ذلك مشقة وصعوبة ، فقد تمكنا فى النهاية أن نصل الى تحديد مقاييس الزجل وقواعده والتاريخ له .

3) النصوص الزجلية وتتمثل في :

أ – النصوص المطبوعة : وهي قليلة لاتتعدى ديوانا صغيرا وبضع قصائد متفرقة .

ب – النصوص المخطوطة : تتضمنها مجموعة الكنانيش التي وقفنا عليها في المكتبات العامة والخاصة . ونسجل هنا اننا لم نتمكن من الاطلاع على مجاميع الخزانة العامة المرقمة فى حرف د : 474 – 1426 – 1504 – 1535 ، وقد تبين لنا بعد البحث الطويل عنها انها اخرجت من الخزانة وانها فى حوزة بعض الاساتذة ، وقد اتصلنا به ، وخاطبناه فى أن يسمح باطلاعنا عليها ولكنه لم يستجب . كذلك سالناه

(1) من المقال الافتتاحي لمجلة الفنون الشعبية بعنوان« الماتورات الشعبية » العدد الاول السنة الاولى 1965

اكثر من مرة ان يمدنا ببعض القصائد وخاصة قصيدة « المصرية » وهي قصيدة طويلة لايحفظها الاشياخ كان قد نظمها محمد بن علي العمراني في احتلال بونابرت لمصر . وكنا سألناه عنها فاخبرنا أنها مدونة لديه . وطلبنا منه ـ شفاها وكتابة ـ أن يطلعنا عليها أو على جزء منها ولكنه للاسف لم يفعل .

ج ـ النصوص المروية وقد جمعنا منها عددا غير قليل بواسطة التسجيل الصوتي والتدوين الكتابي سواء من الاذاعة او من افواه الشعراء والمنشدين . وقد لاحظنا ان الاذاعة لاتتوفر الا على عدد قليل من القصائد بسبب حداثة عهدها بنظام التسجيل الصوتي؛ كما لاحظنا ان محفوظات الاشياخ تدور في نطاق عدد معين من القصائد لاتخرج عما يرغب الجمهور في الاستماع اليه ، بل ان تقرير جمعية « هواة الطرب الملحون » بمراكش لسنة 64 ـ 65 يثبت أن محفوظ اعضاء الجمعية ـ منشئين ومنشدين وهواة ـ لايتعدى سبعا وتسعين ومائة قصيدة ، وأن اكثر الشعراء حظا وهو التهامي المدغري لايحفظ له اكثر من اثنين وثلاثين قصيدة . ويثبت تقريرها للسنة التالية أن عدد الاشياخ الذين انشدت أشعارهم لايتعدى الخمسين .

ولم يكن سهلا علينا ان نفهم هذه النصوص ، وخاصة منها المدونة ، بسبب تطور اللهجة وعدم معرفتنا بمعاني كثير من الكلمات وكيفية النطق بها وطريقة قراءة البيت بما يقيم الوزن . وحتى بالنسبة للنصوص الملفوظة فقد كان الامر غير يسير ، اذ أن الحفاظ يختلفون في نقل النص الواحد ، وغالبا ما يروونه محرفا غير صحيح الا من كانوا منهم عارفين بالفن مدركين لمقاييسه ، ومثل هؤلاء يحاولون التصرف في النص بالتبديل والاصلاح .

وكان احساسنا بهذه الصعوبة قويا حين حاولنا ـ مجتهدين في الغالب ـ ان نضبط النماذج التي اوردنا ونشكلها لتسهل قراءتها ويقرب فهمها . ولنفس الغاية حاولنا كتابة النصوص حسب نطقها أو بالاحرى حسب النطق الذي اهتدينا اليه ، بالاضافة الى اننا قدمنا شروحا لما رأيناه غامضا من الكلمات والتراكيب ، والى أننا لجأنا في باب الموضوعات الى نشر ما استشهدنا به من نصوص .

4 ـ ما كتب بالعربية أو غيرها في الموشحات والازجال واللهجات والتاريخ والتراجم والآداب . وقد حاولنا ان نقف فيها على تجارب الاخرين وخبراتهم العلمية والعملية عسانا نستخرج منها بعض ما قد يساعدنا فيما نحن بصدده من دراسة لموضوع بكر جديد . وقد اتيح لنا خلال الرحلة العلمية التي قمنا بها لتركيا واسبانيا أن نقف في خزائن اسطنبول ومدريد والاسكوريال على مصادر اثارت لنا بعض مسالك السير . وكان املنا ان نجد في مصادر الادب المغربي القديمة بعض النصوص الزجلية ،ولكننا الفينا المؤلفين يعرضون عن ايرادها بل حتى عن ايراد الموشحات على مايقول عبد الواحد المراكشي متحدثا عن عبد الملك بن زهر : « واما الموشحات خاصة ، فهو الامام المقدم فيها ، وطريقته هي الغاية القصوى التي يجري كل من بعده اليها ، هو آخر المجيدين في صناعتها ، ولولا ان العادة لم تجر بايراد الموشحات في الكتب المجلدة المخلدة لاوردت له بعض ما بقي على خاطري من ذلك (1) » .

* * *

وكان **المنهاج الذي سرنا عليه في البحث** هو نفس المنهاج الذي ندعو له في دراسة كل ادبنا وتراثنا عامة ، ويتلخص في اربع مراحل ، يحتاج انجازها ـ كلها او بعضها ـ الى جهود فردية وجماعية تعمل في تكتل وتناسق وتكامل ، وهي :

1 ـ التعرف الى المصادر والتعريف بها بوضع فهارس لمخطوطات الخزائن العامة والخاصة .

2 ـ اخراج النصوص مجردة او محققة ان أمكن.

3 ـ دراسة هذه النصوص دراسة تحليلية تقوم على الوصف والتقرير .

4 ـ دراستها دراسة نقدية ومقارنة .

فقد بدانا بحصر مصادر الزجل الموجودة في كل المكتبات العامة وبعض الخزائن الخاصة ، بالاضافة الى ما سجلناه من الاذاعة وافواه الاشياخ ، وتجمع لنا من ذلك نحو الف نص ، منه ما يقرب من ربعه مكرر، ولكن تكراره اتاح لنا مقابلة بين النصوص التي وقفنا منها على اكثر من نسخة .

---

1) المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص 92 نشر محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ـ مطبعة الاستقامة ـ القاهرة سنة 1949

وقد صنفنا هذه النصوص ووضعنا لها فهارس على هذا النحو :

اولا : فهرس لكل مجموع او كناش

ثانيا : فهرس بالجذاذات للقصائد مرتب حسب الموضوعات

ثالثا : فهرس للقصائد مرتب حسب الشعراء

رابعا : فهرس للقصائد المنشدة

خامسا : فهرس للقصائد التي لم نهتد لاصحابها

سادسا : فهرس للقصائد التي يروي الحفاظ المغاربة لبعض زجالي الجزائر ، وكانوا في معظمهم كثيري التردد على المغرب والاتصال بأشياخه وجماهيره .

وفي كل من هذه الفهارس اشرنا الى عنوان القصيدة ولازمتها واسم صاحبها ومرجعها ، وكذلك اسم المنشد ومدة الانشاد بالنسبة للقصائد المسجلة بالصوت

بهذا التحديد للمصادر وتسهيل الرجوع اليها فيما نظمنا من فهارس ، **مهدنا السبيل امام الذين يرغبون في اخراج النصوص ونشرها** ، وما كان في استطاعتنا ان نقوم بذلك ونحن بصدد انجاز الرسالة لاسيما وان عددها كثير . لهذا حاولنا أن نمثل اثناء الدراسة بنماذج متعددة ومختلفة من النصوص وخاصة في باب الموضوعات . وقد كان في نيتنا ان نقتطف منها مختارات نلحقها بالرسالة ، ولكننا اعتبرنا الحاق « دليل للزجل » اهم من الحاق المختارات . والامل عندنا – اذا ما اتيحت فرص النشر – أن نخرج هذه النصوص سواء في مختارات أو في دواوين بالنسبة للشعراء الذين تجمع لنا من قصائدهم عدد كثير .

ورأينا ان تكون دراستنا للزجل وصفية تسجيلية

نقصد منها في المقام الاول الى التعريف بالزجل تقريرا وتحليلا ، دون محاولة لمقارنته بالادب المعرب أو أدب اللهجات العامية الاخرى ، وهي طريقة تتفق والمنهاج الذي فرض نفسه علينا بعد ان خططناه والذي اقتضى منا في هذه المرحلة من الدراسة ان نركز على الوصف والتقرير والتحليل ، وهي مرحلة نراها ضرورية في الكشف عن أي أدب مجهول . وعسى أن توفق في المستقبل الى القيام بدراسة مقارنة يكون أساسها ما امكننا حصره من الوان الشبه بين الزجل المغربي والزجل الاندلسي او بينه وبين الادب المعرب وما اشار به علينا استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهواني أثناء اشرافه على الرسالة وتتبعه لمراحلها المختلفة .

وما نقوله عن الزجل نقوله كذلك عن لغته ، فقد حاولنا من خلال البحث ان نتعرف اليها حيث سجلنا بعض ظواهرها وخصائصها في محاولة اولية للوصف بعيدا عن مقارنتها بغيرها من اللهجات والحكم عليها باي لون من الوان الحكم أو محاولة استنباط قواعدها وقوانينها التي خضعت لها . وقد احسسنا في المحاولة البسيطة التي قمنا بها في هذا المجال أن أمر المرحلة الوصفية ليس باليسير ، يحتاج انجازه الى لجان من المتخصصين لا الى فرد أو مجموعة افراد ، وانه متى تهيأ انجاز هذه المرحلة امكن تقديم مادة اولية لدارسي اللهجات وعلمها المقارن .

الرباط – د . عباس عبد الله الجراري

الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة

للأستاذ دانيل ماك كول — عربه عن الانجليزية الأستاذ محمد الحمداوي

(4)

تاسيس غـانــة :

لننظر الآن كيف ترتبط الروايات السابقـة عن تاسيس سجلماسة مع الروايات عن تاسيس غانة . ان اغلب الروايات التي يستدل بها على اصل غانـة هي تلك التي تثبت ان اول دولة اسستها كانت من الجنس الابيض . واذا كانت المدينتان قد اسستا من قبل مجموعة من اصل واحد كما اشير الى ذلك من قبل ، فان هذه الروايات عن تاسيس غانة تكون ولا شك غير متفقة مع الفروض العلمية السابقة التـي اثبتت ان سجلماسة اسستها دولة من اصل اسود . وقبل ان نعالج هذه المشكلة يجب ان ننظر في الروايات عن تاسيس غانـة ونحاول تقويــم اهميتهـا .

نسبة تاسيس غانة الى دولة من البيــض

1) رواية محمود كعت :

يقول محمود كعت (1) : « واما سلطنة مل (2) ما استقامت الا بعد انقراض دولة كيمع سلطان المغرب كله بلا استثناء مكان ما منه . وسلطان مل من عبيده

---

(1) هو القاضي الفقيه محمود كعت ابن الحاج المتوكل على الله التنبكتي الدعكري السوداني كـان مستشارا للامير اسكيا الحاج محمد ، توفي سـنة 1002هجرية ، ودفن بتنبكتو بجوار قبر الفقيـه احمـد بن الحاج والد العلامة سيدي احمد بابا . والنص المنقول عنه هنا هو من كتابـه المعنــون بـ (تاريـخ الفتاش) نشره هوداس مع ترجمتـه الى الفرنسية بباريس سنة 1913 . راجع معجم المطبوعات العربية ص 464 . وتاريخ السـودان للسـعدي ص 212 طبعة باريس . المترجم .

(2) هكذا هي هنا بميم ولام مشددة ، بدون الف بعد الميم ، ولا ياء بعد اللام ، وقد نص القلقشندي (صبح الاعشى ج 5 ص 282 – 283) على انها بفتح الميم والف بعدها لام مشدودة مفخمة ، وبـاء تحت) . وهي كذلك مرسومـة في العـبر ، ورسمها البكري (المسالك والممالك ص 178) بميـم ولام هكذا (ملل) . والقصة التي يشير اليها امير قبائل الماندانك (Mondinque) للاسلام ، هي السوداء ص 123 الترجمة العربية) عن اعتناق هوبير ديشان في كتابـه (الديانــات في افريقيـا عين القصة التي ذكر البكري انها كانت سبب اسلام ملك (ملل) ، الشيء الذي يـدل علـى ان البكري قصد باسم (ملل) مالي ، وفي تسمية ابن خلدون (العبر ج 6 ص 413) لاول ملك اسلم من ملوك مالي باسم (برمندانة) دلالة واضحة على ذلك ، فالاسم (برمندانـة) جـاء ولا شك من اسم الشعب المداندانج ، او الماندانجـو الذي يقول الدكتــور محمد عـوض محمــد (السـلالات الافريقية ص 54) انه الشـعب الذي يتمثل في جمهورية مالي اكثر من سواها .

المتـرجـم

وخدامه ووزرائه . وكيمع بكاف فياء وميم وعين مفتوحات معناه فى لغة وعكري (3) ملك الذهب ، كيهو ، الذهب ، ومع ، الملك ، وهو سلطان عظيم ، واخبرني بعض الموثقين عن الفقيه قاضي ماسنة الفع ايد الماسيني ، ان كيمع من الملوك الاوائل ، وقد مضى منهم عشرون ملكا قبل ظهور رسول الله (ص)، واسم بلده قنب ، مدينه عظيمة ، وكان انقراض دولتهم فى القرن الاول من الهجرة النبوية . وحدثني بعض السلف ان آخرهم كنسعى بكاف مفتوحة فنون مكسورة وسين مهملة ، وعين مفتوحة قبل ياء ساكنة ، وهو الملك فى زمن رسول الله (ص) . وله بلد اسمه كرنكع ، وهو مسكن امه ، وهي الان بقيت عامرة ..) وبعد ان اتى بشيء من التفاصيل عن عظمة مملكة كيمع قال : (ثم افنى الله ملكهم وسلط ارذالهم على كبرائهم من قومهم واستاصلهم وقتلوا جميع اولاد ملوكهم ، حتى يبقروا بطون نسائهم ، ويخرجوا الجنين ويقتلهم ، واختلف اي قبيلة كانوا منها ، قيل من ومكري وقيل من ونكر ، وهو ضعيف لا يصح .. وقيل من صنهاجة ، وهو اقرب عندي ، لانهم يقواون فى نسبهم اسكع صوب ، بهمزة مفتوحة فسين مهملة ساكنة ، فكاف مضمومة فعين مضمومة ، وهو حم فى اصطلاح سودان لقبا . والاصح انهم ليسوا من السوادين والله اعلم . وقد بعد زمانهم ومكانهم علينا ولا يتاتى لمؤرخ فى هذا اليوم ان ياتي بصحة شيء من امورهم يقطع بها ، ولم يتقدم لهم تاريخ فيعتمد عليه » (4) .

2) رواية عبد الرحمن السعدي (5)

اما عبد الرحمن السعدي فروايته فى الموضوع اخصر واقل وضوحا من رواية كعت ، وهو متفق معه فى النقطة الاساسية التى نحن بصددها . وليس من البعيد ان يكون قد تاثر به حين يقول : « ... وكيمع هو الذى بدا السلطة فى تلك الجهة ، ودار امارته غانة ، وهي مدينة عظيمة فى ارض باغن ، قيل ان سلطتهم كانت قبل البعثة ، فتملك حينئذ اثنان وعشرون ملكا ، وبعد البعثة اثنان وعشرون ملكا، وعدد ملوكهم اربعة واربعون ملكا ، وهم بيضان فى الاصل ، ولكن ما نعلم من ينتمي اليه فى الاصل ، وخدامهم عكريون ، فلما انقرضت سلطتهم خلفها فى السلطنة اهل مل وهم سودان فى الاصل » .

لقد اتخذت هذه المستندات مرارا لتشير الى اصل بربري لدولة غانة ، كما اشار الى ذلك محمود كعت ، ولكن التفسير الاكثر شيوعا هو ان الدولة الاولى قد اسسها يهود قورينيون (6) او يهود سوريون، غير ان هذا القول ليس اكثر من تخمين وهمي ولو انه صدر من رجل عارف ، وقد نوقش بما له وما عليه ، فليس لنا من داع للاهتمام به هنا ، يعترف محمود كعت بأن الروايات كانت بعيدة عن الزمان الذى كتب فيه كتابه ، كما انها كانت غير مضبوطة ، ومن مواطن مختلفة ، الى الحد الذى لم يكن معه اي تحقيق للتفاصيل ، اما السعدي فقد خضع لطريقة التخريف فى معالجته لعدد الملوك الذين حكموا البلاد ليجعله موافقا لحادث الهجرة ، ذلك الحادث الذى لم يكن بينه وبين حكم هؤلاء الملوك اي ارتباط . يعتبر محمود كعت الهجرة كاساس

---

(3) وعكري ، كما يقول كعت (تاريخ الفتاش ص 24 ــ 25) ، اسم قبيلة منسوبة الى جدها وعكري ابن براس ، وهي بواو مفتوحة وعين ساكنة وكاف وراء مضمومتين فياء ساكنة .

المترجم

(4) آثرت النقل عن الاصل العربي مباشرة ، لما احتوى عليه من ضبط الاسماء بالنص على حركاتها خصوصا وقد تعرضت هذه الاسماء لكثير من الخروج عن اصلها بسبب كتابتها بالحروف اللاتينية . واذا لاحظ القاريء بعض الاختلال فى القواعد والتعبير فانما ذلك الاصل .

المترجم

(5) هو عبد الرحمن السعدي بن عمران بن عامر التنبكتي توفى سنة 1066 هجرية، والنص المنقول عنه هنا هو من كتابه (تاريخ السودان) ، نشره هوداس بباريز سنة 1901 ، راجع معجم المطبوعات

المترجم

(6) نسبة الى قورينية (Cyrene) احدى المدائن الخمس القديمة التى اسسها المستعمرون اليونان فى الاراضي الطرابلسية فى القرن السابع قبل الميلاد واليها ينسب الفيلسوف اليوناني ارسطبس صاحب فلسفة اللذة والالم .

المترجم

للتوريخ ، ويجعل نهاية دولة كيمع معاصرا للنبي (ص)، وبناء على قوله هذا لم يكن عدد ملوك هذه اربعة واربعين ، ولكن اثنين وعشرين فقط . فاذا اعتبرنا هذا وقلنا ان عدد ملوك اول دولة حكمت غانة هو اثنان وعشرون ، فماذا اذن كان التاريخ التقريبي لسقوط هذه الدولة ؟ عند محمود كعت ان نهاية حكم كيمع ينتهي بظهور دولة مالي ، وهي تلك الدولة المتغلبة التى يكاد يتفق على ان بدايتها كانت فى القرن الثالث عشر ، وهذا يتناقض تماما مع ما اثبته من ان آخر ملوك كيمع كان معاصرا للنبي (ص). والذى يظهر ان كعت لم يكن شخصيا ملما بما كتبه ابن خلدون او غير ابن خلدون من الكتاب المغاربة الذين كتبوا عن غانة (7)

وقد يكون المؤلف السوداني اختلط عليه ظهور الاسلام في السودان بظهور الاسلام فى الجزيرة العربية ، فدفع بزمن سقوط الدولة الى الوراء ، ولكن اذا كان اثنان وعشرون ملكا فقط هم الذين حكموا الدولة قبل سنة 1240 ميلادية فان ذلك ربما يقتضي تاسيسا متاخرا لغانة اكثر مما هو المفروض لدى العموم، ومتاخرا كذلك عن تاريخ تاسيس سجلماسة شريكتها التجارية . والشيء الذى يمكن ان يكون حلا بالنسبة الى توريخ محمود كعت ، هو ما جاء فى تعليق المترجمين (8) اللذين حدثانا ان روايات محلية كانت لا تزال تجري حتى سنة 1913 تختلف عن رواية كعت ، وتنص على الكيمعيين كانوا من الجنس الاسود ، وانهم هم الذين اسقطوا دولة البيض، فهما يؤكدان : « انه بناء على روايات لا تزال تجري فى السودان ، فان دولة من الجنس الابيض كانت حقيقة موجودة قبل الهجرة ، وان عاصمة هذه الدولة كانت هي غانة فى ناحية واكنا ، وان هذه الدولة قد سقطت فى القرن الثامن الميلادي على يد قبائل السونينكة السود الذين كانوا رعاياهم وعبيدهم ، والذين ربما قد دخلوا في حرب بعد ان احرزوا على السلطة الكاملة ، مع المرابطين فى القرن الحادي عشر ليروا اماراتهم وقد اصبحت اثناء القرن الثالث عشر منضمة الى بعضها بعضا ، اولا ، فى مملكة هي مملكة صوصو السونينكية على الجنوب الشرقي من كانياك ، ثم فى مملكة الماندنك التى تم تكوينها فى هذه الفترة حوالي سنة 1240 ، وهكذا تختلف هذه الروايات الشفوية المحلية مع ما اثبته مؤلفنا محمود كعت ، فهو يثبت ان الكيمعيين كانوا امراء من الجنس الابيض ، وكانوا يقيمون فى واكدو ، على حين ان هذه الروايات تثبت على العكس من ذلك ان امراء الجنس الابيض بالضبط هم الذين سقطوا على يد كيمع الذى كان حينئذ ملكا لواكدو والذى نقل عاصمته الى غانة التى كانت مقر حكم دولة البيض ثم استبدلها هو بعاصمة ملكه » . ولكن من المؤسف ان مترجمي تاريخ الفتاش لم يسجلا هذه الروايات الشفوية بنصها الحقيقي ، ولم يثبتا مصدرها ولا قاما بتحليلها بمثل ذلك الاهتمام الذى اعطياه لمؤلف كعت ، لذلك فنحن لانميز بين ما هو من انتاجهما الخاص ، وما هو من اصل الروايات فى تلك المعلومات التى يشملها التعليق، ومن ثم فهو فى الحقيقة لا يساوي الا تعليقا ، ومع ذلك فان علينا فى اللحظة الحاضرة ان نقنع بما امدانا بـــه .

ان اعتبار دولة الكيمعيين هي الدولة الثانية لا الاولى لغانة يجسم لنا مشكلة تفاصيل سقوط الدولة الاولى ، فمما لا شك فيه ان مالي لم تقم غانة مقام

---

(7) الذي عند ابن خلدون العبر ج 6 ص412 ـ 413: ان مملكة غانة القديمة التى كانت اعظم مملكة سودانية مجاورة للبحر المحيط ، ضعف ملكها ، وتلاشى امرها ، باستفحال امر الملثمين الذين (عبروا السودان واستباحوا حماهم وبلادهم واقتضوا منهم الاتاوات والجزي وحملوا الكثير منهم على الاسلام فدانوا به) . وقد حدد ابن خلدون عند كلامه على دولة المرابطين فتوحات ابى بكر اللمتوني للاراضي السودانية ب 453 هـ (1061 م) ، ولكنه فى خبره عن ملوك السودان ، حيث كانت اغلب اخباره عنها مستقاة من روايات شفوية ، لم يحدد اي تاريخ لبداية مملكة اهل صوصو الذين تغلبوا على اهل غانة (واستعبدوهم واصاروهم فى جملتهم) كما يقول . كما انه لم يحدد كذلك اي تاريخ لبداية مملكة مالي التي اسقطت بدورها مملكة صوصو واستولت على جميع ما كان لها ولغانة من الممتلكات . وقد ذكر هوبير ديشان ان بداية ظهور امبراطورية مالي كانت فى القرن الثالث عشر ، وحدد رولاند اوليفر وجون فيج (موجز تاريخ افريقيا ص 98) هذه البداية بسنة 1230 م المترجم

(8) هوداس ودولافوس المترجم

عاصمتها الاولى ، وانما جعلتها فقط مكان شرف لملوكها فى المملكة . وعلى هذا يترجح ان استئصال الخط القديم كان من عمل الكيمعيين لا من عمل ملوك مالي ، على ان المشكلة لا تحدث بالنسبة الى رواية السعدي ، ذلك لان زمان حكم الاثنين والعشرين ملكا بعد الهجرة يمكن ان يتناسب مع ظهور مالي ، ولكننا قد سجلنا من قبل ذلك الاعتراض الذى يحول دون اعتبار ما قاله السعدي شيئا صحيحا ما دام لم يقم الحجة على ثبوته ، ومهما يكن من الامر فان الاسم او اللقب (كيمع) مشتق على ما يظهر من لغة سودانية ، على ان هذا الاشتقاق قد يكون هو نفس الاشتقاق فيما اذا كان اطلاق الاسم او اللقب قد وقع اول ما وقع من قبل دولة بيضاء استعملت لغة رعاياها . ان اهمية اشتقاق الاسماء او الالقاب مضافة الى الدولة الحاكمة التى استعملتها ، هي ان اللغة اذا تأكدت نسبتها الى اي سلالة من السلالات البشرية تنير لنا الطريق لمعرفة اصل تلك السلالة التى شكلت الدولة ، غير ان جميع ما امكن ان يقال فيما نحن بصدده الآن هو أن اللغة بالرغم من التأكد من نسبتها فان معنى اللقب لا يزال موضع شك : لذلك فليس فى استطاعتنا فى الوقت الحاضر ان نجني كبير فائدة من هذه المعلومات التى وصلت الينا .

لقد كتب محمود كعت كتابه اثناء القرن السادس عشر ، وكتب السعدي كتابه فى القرن الذي يليه ، فاذا كانت دولة البيض قد سقطت فى القرن الثامن ، فان اقدم هذين المؤلفين حينئذ لم يكتب الا بعد مرور ثمانمائة سنة على الحادث ، ومع انه كانت توجد ولا شك بعض اقدم المستندات التى ساعدت على الاحتفاظ بذكرى الدولة القديمة ، فان كعت قد اعتمد فى مؤلفه الخاص على كثير من المعلومات الشفوية المستمدة من أفواه العلماء الرواة بمثل ما اعتمد على مستندات مكتوبة ، وانه لمن المهم ان نلاحظ ان الكتابة لم توجد فى السودان الا بعد القرن الثامن بزمان ، وهكذا لا يمكن ان نتصور وجود بعض المؤلفات المعاصرة لذلك الزمان . ان القرن الحادي عشر ، وهو القرن الذى نشطت فيه حركة اعتناق السودانيين للديانة الاسلامية ، كان ولا شك هو القرن الذى ابتدا فيه ظهور الكتابة اكثر من استخدامها كأداة للتسجيل فى السودان الغربي، وحتى لو امكن تصور وجود بعض الكتابات المسجلة قبل القرن الحادي عشر على سبيل الصدفة ، فان ذلك لا يمكن ان يعدو قرنا من الزمان على الاكثر ، وهكذا يكون انه لم يصبح فى الامكان ان يكتب تاريخ دولة البيض الا بعد مضي قرنين او ثلاثة قرون على انقراضها . واذا كانت الرواية قد سجلت فى فترة سبقت كثيرا زمن دخول الكتابة ، فان المخطوطة او المخطوطات ربما تكون قد تعرضت لاثر المحو والتلاشي والضياع وتحريف النساخ ، وهكذا تكون ستة او سبعة قرون قد مضت قبل ان تكون النسخ الاصلية الموجودة الآن قد كتبت، على ان هذه هي ايضا بدورها قد تعرضت للبتر والتمزق قبل ان تصبح الان بايدينا تامة ومترجمة (يعني ترجمة هوداس ودوكفوس الفرنسية) . ان تعرض المخطوطات للمحو والتلاشي ظاهرة جد معروفة لدى المؤرخين ، وقد يقال ، انها لا تحول الابيض الى اسود ، ومع ذلك ، فذلك ما اعتقد انها قد فعلت !، وان الحجة لا تأتي من النصوص ، ولكن من الوضع الذى قد ارتبطت فيه الاحداث بالنصوص الموجودة، ذلك ان انشاء قاعدة شمالية لتجارة الصحراء فى الناحية الغربية ، ربما يكون فى حاجة ، ان عاجلا او آجلا ، الى انشاء قاعدة جنوبية ، فاذا كانت القاعدة الشمالية مملكة سوداء كما قد افترضنا ، وكان سكان الصحراء كذلك من اصل اسود ، فقد يكون من المسلم به ان القاعدة الجنوبية قد اسست من قبل السود ، ولكن رواية دولة البيض تقف حجر عثرة فى سبيل هذا الحل . غير انها ربما تراءت كصعوبة اكبر مما هي فى واقع الامر . ان السود الصحراويين نوعا ما اقل سوادا من السود الذين هم اقرب الى الجنوب ، وربما يكونون قد وصفوا من قبل اعقابهم سكان الصحراء المنبسطة وصفا قد فهم منه فيما بعد انهم بيض ، وعلى سبيل المقارنة يمكننا ان نأتي بالمثال التالي : فلو أن عبارة لاحد سكان الاقاليم الاسكندنافية ورد فيها وصف لشخص من سكان البحر الابيض المتوسط بانه (اسمر) ، وكان المؤلف الذى ورد فيه هذا الوصف قد خضع لنفس الظروف التى خضع لها المؤلف الذى ورد فيه وصف سكان الصحراء لاسلافهم الاولين بأنهم (بيض) لكانت النتيجة النهائية ان الرواية التاريخية الاسكندنافية ربما قد فهمت خطئا انها تشير الى جماعة من السود ، وبعبارة اخرى يمكننا ان نقول ان الدولة المؤسسة لغانة كانت من لون عيسى ، ولكن حيث ان عيسى كان منظورا اليه من قبل الافارقة الشماليين على انه اسود ، فان مؤسسي مدينة غانة ربما تنظر اليهم من قبل السودانيين على انهم بيض ، فالفرق اذن

كالن في اعين الناظرين اكثر منه في الاشخاص المنظور اليهم ، فلو ان جماعة من سكان الشمال وسكان الجنوب كانوا ينظرون عن قرب الى اشخاص تتفاوت الوان بشراتهم الدكناء ، واستعمل الناظرون الوان بشراتهم هم كمقاييس للمقارنة فربما وصف الشخص الواحد من اولئك الاشخاص المنظور اليهم بعبارات تختلف باختلاف الوان بشرات الناظرين .

وللتركيز على معقولية شيء من نوع ما جرى ، نستطيع ان نؤكد ان سجلماسة وغانة ، وهما معا في الصحراء ، وقد ارتبطت احداهما بالاخرى بخط من الابار والواحات معروف لدى سكان الصحراء دون غيرهم ، نستطيع ان نؤكد ان مواقعهما ، ووظائفهما التجارية ، وعلاقتهما التاريخية الطويلة ، كل ذلك يقدم لنا الاحتمال الراجح على انهما قد أسستا من قبل سكان الصحراء انفسهم ، واذا كانت سجلماسة هي من القدم بالقدر الذى اشارت اليه رواياتها التاريخية ، وكان وجودها يفرض حدوث شريكتها التجارية ، ان عاجلا او آجلا ، فان غانة حينئذ لا يمكن ان يكون تأسيسها احدث بكثير من السنين بالنسبة الى تأسيس سجلماسة .

وهكذا نرى ان البرابر بعيدون عن أن ينالوا شرف التأسيس الذى رشحوا انفسهم له ، ذلك لانهم لم يحلوا بهذه الاراضي الا بعد ان تأسس الطريق التجاري الصحراوي بين المدينتين بزمان (9).

البيضاء : محمد الحمداوي

---

(9) سيشير الكاتب في سؤاله الاخير في نهاية هذا البحث الى أن كل مقرراته في هذا الموضوع قائمة على الفرض Hypothesis وقد سبق له ان نصحنا في مناسبة سابقة انه (ينبغي أن ينظر الى افتراضاته بقدر كبير من الاحتراس) .

المترجم

للبحث بقية



حول المولديات

في الأدب المغربي

للأستاذ محمد بن تاويت

قرأت في العدد الخاص بالدعوة المحمدية والعالم الاسلامي ، من مجلة دعوة الحق الغراء ، بحثا لصديقي واخي الفاضل البحاثة الجليل ، سيدي محمد المنوني ، تحت عنوان « المولديات في الادب المغربي » فاحببت ان اعلق عليه بهذا التعليق الذى سيسر الصديق العزيز ، قبل ان يسر غيره ، وهو فيما ذكر لابراهيم التازي ، من انه لا تزال مولدياته غير معروفة . وفيما ذكر عن ابن سعيد المكناسي ، من ان موشحته لا تزال مخطوطة .

فالتازي نعرف من مولدياته ، بعض القطع في كتب التراجم ، مثل قوله :

روحي وراحة روحي ثم ريحاني
وجنتي من شرور الانس والجان

ومأمني واماني من سعير لظى
ذكر المهيمن في سر واعلان

ومدح احمد احمى العالمين حمى
وذو المقام الذى مقامه ثاني

وقوله في اخرى :

وخيرة الخلق من اجله خلقوا
محمد خير محمود ومن حمدا

من خصه بلواء الحمد حامده
وبالمقام القيامي الذى حمدا

ويوم حشر الورى للفصل يرشده
الى محامد لم يرشد لها احدا

وكثرة الحمد من اوصاف امته
في اليسر والعسر في الكتب العلا وجدا

صلى الحميد على المحمود احمد ما
بالحمد افصح حماد وما سجدا

لله عبد شكور حامد وعلى
قرباه والصحب أعلا الامة الحمدا

حقيقة ، ان كتب التراجم ، لم تنص على كون هذه القطع ، من المولديات ، ولكن اسلوبها الانشادي ، يدل على كونها كانت نظمت لتردد في هذه الموالد ، التى يشترك فيها الشعب بطبقاته .

اما موشحة ابن سعيد ، التى قال عنها صديقنا الاستاذ ، انها ما زالت مخطوطة ، فقد سبق لي ان قرأتها ، في النفح بطبعاته ، وهي هكذا :

يا عريب الحي من حي الحمى
انتم عيدي وانتم عرسي

لم يحل عنكم ودادي بعدما
حلتم لا وحياة الانفس

من عذيري في الذى احببته
مالك قلبي شديد البرحا

بـدر تـم ارسـلـت مقلـتـه
سهـم لحـظ لفـؤادي جرحـا

أن تبـدى او تثـنـى خلـتـه
غصـن بان فوقه شمس الضحى

تطلـع الشمـس عشـاء عندمـا
تنجلـي منه بابهـى ملبـس

وتـرى الليـل امسـا منهـزمـا
وترى الصبح اضا فى الفلس

يا حياة النفس صل بعد النوى
والها مضنى شديـد الشغـف

قد براه السقـم حتى ذا الهـوى
كـاد ان يقضـي بـه التـلـف

آه من ذكـر حبيـب باللـوى
وزمـان بالمنـى لـم يسعـف

كنت ارجو الطيف يأتـي حلمـا
عائدا يا نفس مـن ذا فايأسـي

همت فى اطـلال ليـلـى وانـا
ليـس في الاطـلال لي من ارب

مـا مـرادي رامـة والمنحنـى
لا ولا ليلـى وسعـدى مطلبـي

انما سؤلـي وقصـدي والمنـى
سيـد العجـم وتـاج العـرب

احمد المختـار طـه مـن سمـا
الشريف ابن الشريـف الكيـس

خاتم الرسـل الكريـم المنتمـى
طاهـر الاصـل زكـي النـفـس

ولا شك انه عارض بهذا موشحة ابـن سـهل ، التى مطلعها :

هل درى ظبـي الحمـى ان قد حمى
قلـب صـب حلـه عـن مكنـس

وهي الموشحة التى اشتهر من معارضيها لسان الدين ابن الخطيب ، بموشحته الشهيرة :

جادك الغيـث اذا الغيث همـى
يـا زمـان الوصـل بالانـدلـس

ومن الغـريب ان تجـد موشحـة المكناسي المذكورة ، مثبتة بعد الاولى فى ديوان ابن سهـل ، منسوبة اليه ، اي الى ابن سهل ، وذلـك فى طبعـة اخرجتها مطبعة التقدم المصرية ، « على ذمة مولاي احمد القادري » ، مع ان المقري ، في النفح ، يذكر انها لـ « بعض متأخري المغاربة » .

وعلى كل حال ، فقد جمعنا لهذين الشاعرين، ما استطعنا جمعه من شعر وتوشيح ، سينشر ذلك قريبا ، فى الكتاب الذى ازمعنا نشره عن تاريخ الادب المغربي ، وفقنا الله لذلك واعاننا على انجازه .

تطـوان : محمد بن تاويت

محمد بن إدريس العمراوي

للأستاذ محمد الأمري

تقديم :

لقد كان هذا الاديب اسعد حظا من الاديبين : احمد الغزال ، واحمد بن عثمان المكناسي ، حيث تعرضت له مصادر متعددة بما فيه الكفاية وان لم نستطع ان نعثر في اي واحد منها على تاريخ ميلاده، ولعل هذا الاهتمام الذى لاقاه هذا الاديب الكبير راجع الى المكانة المرموقه التى استطاع ان يتبواها فى سلم الحكم من جهة ، وللمكانة الادبية الفائقة التى كان يتمتع بها ، فقد شغل منصب الكتابة وتفوق فيه ، كما شغل منصب الوزارة واظهر فيه من الجلد والصبر ما عز نظيره عند غيره ، وقرن له بالحجابة فقام بهما على الوجه الارضى ، ومن لم ندرك السبب فى الالقاب الفخمة التى كانت تسبغها عليه كل المصادر التى تعرضت له .

مكانته من خلال بعض مترجميه :

يقول عنه صاحب الاتحاف (1) : « اديب شهير ناظم ناثر ، امام الصناعتين وحامل لوائهما بدون مين ، تزرى ببديع الزمان بدائعه واوابده ، وتخجل الفتح بن خاقان رقائقه وفرائده » . ويقول عنه صاحب فواصل الجمان (2) الاديب غريط : « بلغ من السلطان مبلغ جعفر من هارون ، وابن اكثم من المامون ، وحل منه محل ابن ابي دؤاد من المعتصم » . ويقول فى الاعلام (3) نقلا عن رياض الورد : « رقيق الاشارات ، حلو الحكايات له فى النظم والنثر القلم الاعلى ، والمورد الاحلى » . ونقلا عن الحسام المشرفي « اديب الادباء ، وانجب النجباء ، من تتلى فضائله فى مجالس الاقراء ومنابر التدريس » الى ان يقول : « الوزير الاقحم ، وديوان الملك الاعلم ، ومن ظهر حسن صبره على انتظام امره ، وممن حسن صبره على شدائده فى حوادث الدهر ومكائده ، ومعرفة بعيب نفسه اوثق عنده من مع ابناء جنسه ، منقبض عن العامة ومن يجانسها ، ممتنع عن التكبر والتجبر مما يحاسنها ، عالي الهمة متين الرحمة، بقاء النعمة على كنده ، مقرون ببقائها على يده ، وجريان الامور على مذهبه بحسب استقامتها بسببه ، تحفة الحضرة السلطانية وما حواليها » (4) .

اما ابو القاسم الزياني فقد ذكره فى البستان ، وعلى الرغم مما عرف به من كبرياء واعتزاز بالنفس وسلاطة لسان ، فقد قال عنه : « واظنه يخلف السيد حمدون او يقرب منه » ثم يقول : « وهؤلاء الثلاثة الذين ظهروا فى دولة امير المؤمنين بعد حمدون والحوات ، هذا ابن ادريس ، والبازغي ، واكنسوس وهذا ابن ادريس اعرفهم بالتاريخ لانه باشره معنا ايام تخريج ما قيدناه » (5) . وكان ابن ادريس بالفعل يساعد الزياني فى نسخ كتبه ما يقرب من ثلاث سنوات ، وقد انحاش منه الى الاديب حمدون بن

---

(1) الاتحاف ج 3 ص 189
(2) ص 41
(3) الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام لعباس بن ابراهيم ج 5 ص 273
(4) نفس المصدر ص 278 .
(5) نقلا عن المصدر السابق ص 273 .

الحاج الى ان مات هذا الاخير ، حيث عاد يستعطف الزياني للعودة للازمته ويتوسط في ذلك لمختلف الشخصيات الى ان تم التصالح بينهما على يد الشيخ ابي بكر المتجرة ، وهذه الحادثة نعلمها عن طريق الزياني نفسه ، حيث انه كان لا يتورع عن المن بما كان يسدي لابن ادريس من معروف « فابيت لما ظهر لي من سوء صنيعه بعد انتفاعه بالاجر والاجرة ، والمعروف التام هذه مدة من ثلاثة اعوام . وانا اعطيه خمسة اواق في كل يوم ، ولا يخرج الا ممتليء الجراب من كل ما يدخل علي من فواكه الوقت وغلله » .

وبدون شك فان اكنسوس الذي رافقه في ايام الدراسة والطلب وتوثقت عرى الصداقة الاخوة بينهما كان اكثر ممن تعرض للرجل معرفة به واطلاعا على مراحل حياته . ومن ثم كان ما كتبه في الجيش العرمرم اكثر تفصيلا وعن ذلك يقول : « مع ما كان بيني وبين الوزير المذكور من شدة الاتصال في زمن القراءة بسبب المناسبة الادبية الجامعة بين المتجانسين ، وسببه اني لما قدمت الى فاس اول مرة وذلك سنة 1229 وكنا نحضر معا عند الآزمي ، وجدناه في باب الشهادات من المختصر فلما ختم انشد الناس في ذلك قصائد على العادة ومن جملة ذلك قصيدة اولها :

> ختام الهوى قد فض منك بسره
> فمالك تطوي الحب من بعد نشره

فكتب الى الوزير (ولم يكن آنذاك وزيرا) يطلب نسخة منها بقطعة اولها :

> ختام الهوى هام الحبيب بحسنها
> الخ ...

فتمكن من يومئذ بيننا وبينه حب روحاني بقضاء سابق سبحاني ، واقتناء الفضائل والنفائس ، واقامة الافراح والمتنزهات والمخاطبات والمساجلات والمباسطات ، فمضت لنا من ذلك ليال وايام ارق واطيب من ايام ذي سلم بلا منغص الا سرعة زوالها » (6) .

ومن خلال ما سقناه عن مصادر مختلفة تتصل بالرجل ندرك قيمته الادبية والعلمية ، واقتداره الاداري ويبقى علينا ان نعرف شيئا عن نسبه ونشاته .

نسبه ونشاته :

لا احد ممن ترجموا لهذا الاديب تعرض لتاريخ ولادته وذلك على الاقل فيما اطلعنا عليه من المصادر ، وكل ما نعرف عن نسبه انه يرجع الى المولى ادريس . حيث يذكر صديقه اكنسوس انه وجد بخط يد المترجم محمد بن ادريس مكررا ثلاث مرات ، فسأله : « ماهذا التكرار ؟ فأجابه ابن ادريس : « هكذا بخط والدي مرفوعا الى السيد محمد بن الامام ادريس بن ادريس ابن عبد الله الكامل . تكرر في عمود آبائنا تبركا بالجد المذكور . ثم قال : « فقلت لوالدي هذا النسب صحيح ؟ » فقال : « هكذا كان آباؤنا ينتسبون ، وكانت عندهم ظهائر الملوك المتضمنة للتوقير والاحترام ، وضاعت لهم في بعض الفتن الواقعة في باديتهم قبل انتقالهم لفاس » ، ومنذ قيام مغراوة على الادارسة واختفاء هؤلاء في اغمار القبائل استقر اجداده ببني عمر ومن قبيلة زمور ، ولا نعثر على التاريخ الذي رجع فيه اجداده الاقربون الى فاس فيما بين ايدينا من المصادر ، ويفيدنا بعضها ان اباه كان يعلم الاطفال بكتاب يقع بدرب اللمطي من فاس ، وانه كان ورعا ، كثيرا ما ينوب عن امام مسجد الاندلس ، ويحدثنا اكنسوس انه كان يقرا الحزب بالمسجد المذكور بين الظهرين ، وكان والد المترجم من المشاركين في ذلك الحزب ، فيغتنم اكنسوس الفرصة لتقبيل يده وطلب الدعاء منه .

واما عن نشاته ، فان اول مرحلة نستقيها من اخبار هذا الاديب ، هي التي كان ينوب فيها عن ابيه في الكتاب ، وانه كان يقوم بنسخ الكتب ليبيعها بعد تسفيرها ، ولا يتصرف في شيء مما يحصل عليه من مال ، بل يقدمه كله لوالده ، وانه كان ينيب عنه عمه في الكتاب ليحضر بعض الدروس بالقرويين ، وبدون شك فانه لقن القرآن الكريم في كتاب ابيه الى ان حفظه ، كما اخذ عنه بعض المتون .

ولما ورد اكنسوس فاسا سنة 1229 التقى به عند الآزمي وكان في باب الشهادات من المختصر ، فلما ختمه انشد الشعراء قصائد وكان اكنسوس من بين المنشدين ، فاعجب ابن ادريس بقصيدة رفيقه وارسل اليه قطعة شعرية يطلب فيها نسخة من قصيدته المذكورة وقد المعنا الى مطلعي القصيدتين معا سابقا .

---

(6) عن الاعلام ص 265

ولما انتهى السلطان مولاي سليمان من بناء الدارين اللتين بناهما بزقاق الحجر والرواح من فاس استدعى علماء المدينة واعيانها ، كما حضر جمع من الطلبة كان من بينهم ابن ادريس الذى القى قصيدة بالمناسبة نالت استحسان الجميع ، ولهج بها كافة الحضور ، ومطلع القصيدة :

حياك حياك رب العرش يا دار
ولا تحل حماك الدهر اكدار

ولم يستطع اديب وعالم كحمدون ابن الحاج ان يكتم اعجابه اذ قال وهو يقدم نسخة من القصيدة للسلطان : « هذا نفس غريب فى هذا الزمان ظهر فى ولد من اهل فاس . فأمر السلطان لابن ادريس بمائة مثقال ، ولكل واحد من الفقهاء بخمسين مثقالا ، فما كان من ابن ادريس الا ان سلم المائة مثقال كلها لابيه، وكان هذا القدر ذا اهمية كبرى على هذا العهد .

ويحدثنا اكنسوس ايضا ان ابن ادريس كان ملازما للشيخ مولاي عمرو العمراني وكان زاهدا تقيا عابدا ، وكان صاحبنا يقوم على خدمته ، سيما وقد كان لهذا الشيخ شان عظيم بين اهل زمانه ، حتى ان السلطان لم يتمكن من زيارته الا خفية ، كما ان اكنسوس اتخذ صديقه ابن ادريس واسطة لزيارة الشيخ المذكور ، وكان هذا يدعو صاحبنا بالسلطان الصغير . وكثيرا ما كان يضربه بين كتفيه ويقول له : « لا بد ان تدرك كذا وكذا » (7) ولما نال الحظوة عند السلطان كان يقول : « ما ادركت ما ادركت الا ببركة ولي الله تعالى مولاي عمرو

اساتذته :

واذا كنا نجهل تفاصيل طفولته وتعليمه ، فاننا نعلم انه درس على بعض كبار العلماء فى عصره ، كالشيخ ابي عبد الله محمد بن الطاهر ابن احمد الحبابي رئيس الموقتين بمنارة القرويين ، والفقيه الازمي ، وحمدون ابن الحاج ، ومحمد اليازغي ، ومحمد بن الطاهر العلوي ، والطيب الكتاني وعبد القادر العلمي ، ومحمد الحراق ، كما استجاز الشيخ عمر بن المكي الشرقاوي (8)

ابن ادريس الوزير :

قدمنا ان ابن ادريس كان متصلا بابي القاسم الزياني ، وكان ينسخ له بعض كتبه فى الدولة العلوية، وانه وقعت بينهما نفرة ادت بابن ادريس الى الانحياش الى حمدون ابن الحاج . وبوفاة هذا الاخير تم التصالح بينهما على يد الشريف ابي بكر المنجرة كما سلف . وكل من الرجلين حمدون ، والزياني عمل على تقديم صاحبنا الى السلطان ، فقد قدمه حمدون بمناسبة بناء المولى سليمان داري ولده كما اسلفنا ، اما الزياني فقدمه الى المولى عبد الرحمن بن هشام ايام كان خليفة لعمه بفاس ، ولما تقلد العرش جعله على راس كتابه ، ثم رقاه الى الوزارة، فبرز فى القيام بجميع المهام التى اسندت اليه حتى نال اعلى مرتبة فى الدولة . وواجه كثيرا من المشاكل العويصة فى الداخل والخارج ، غير انه عزل سنة 1246 هـ وامر بلزوم داره ، ثم ادخل السجن وثقل بالحديد ، وكان لزعماء قبيلة الوداية اليد الطولى فى ذلك ، حيث زعموا للسلطان ان الوزير الممتحن هو الذى كان السبب فى ايقاد نار الفتن ، واشترطوا عودتهم الى طاعته بالاقتصاص من الوزير وابعاده عن الحكم ، وخرج لزيارة ضريح المولى عبد السلام بن مشيش بعد ايام من اطلاق سراحه ، فوشي به الى السلطان بعض حساده مدعين انه لا يقصد الا الفرار ! فارسل السلطان فى طلبه ليمتحنه امتحانا اشد من الاول ، الى ان اشار عليه الشيخ مولاي الطيب الكتاني بالاعتصام بضريح المولى اسماعيل بمكناس ، وكان السلطان مقيما بها آنذاك ، وكان فى النهاية ان عفا السلطان عنه ، واعاده الى سابق مهامه ، واضاف اليها الحجابة ، وتم له ذلك سنة 1251 هـ ولم يزل على ذلك قائما به فى منتهى الاخلاص والصبر ، حتى انه كان لا يغادر باب القصر الا لغرض اكيد ، ولو فى ايام العطل والاعياد ، وايام العطل ، فاذا افرغ من اشغاله نام هناك ، اما بيته فلم يكن يذهب اليه الا فى اوقات خاصة ، وحجته فى ذلك كما كان يقول « الايام حبالى لا يدرى ما تلد ، فربما يحدث امر واكون غائبا » ويحكى عنه من عرفوه انه يسد مسد اربعة اذا اجتهدوا على انه الى ذلك كان لا يالو جهدا فى ادخال السرور على الكتاب بممازحتهم والتبسط اليهم . وصفة اخرى سامية كان يتحلى بها وهي الحلم ، فقد حكوا انه اثناء الفترة

---

(7) الاعلام ص 277 .
(8) الاتحاف ج 3 ص 194

التى امتحن فيها كان حاضرا بمسجد درب السعود فى أحد أوقات الصلاة ، فابطا الامام حتى طال بالناس القعود ، فقدموا ابن ادريس ، غير ان الامام استشاط غضبا واخرجه من المحراب قائلا : « ان منكوب السلطان لا يؤتم به » فانصرف ابن ادريس بعد انتهاء الصلاة قائلا فى نفسه : « لئن اقدرني الله عليه لاجازينه بحبسه ، الا انه وهو سمع فى طريقه طفلا يقرا الآية الكريمة « ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يوتكم خيرا » فدخل جامع الاندلس وصلى ركعتين، وعاهد الله على الاحسان لمن اساء اليه ، ولما عادت اليه سلطته قابل اساءة المسيء بالاحسان ، ولم يمسسه باي اذى (9) .

وفـــاتــــه :

بقي ابن ادريس على تلك المناقب الى أن أدركته الوفاة سنة 1264 بعد ان مرض اثني عشر يوما . ويذكر مؤلف الاعلام نقلا عن الجيش انه كان لا يمر عليه شهر الا ويصاب بمرض « الحلاقم » حيث تنفجر له من الداخل بعد اسبوع، وان أكنسوس ارشده الى دواء من مرارة الدجاجة ، فلم يعد اليه المرض .

ابن ادريس الشاعر :

يذكر صاحب الاتحاف ان للوزير ابن ادريس شعرا كالدر المنثور ، وان ولده ادريس جمع بعض ذلك الشعر فكان فى سفرين وذكر انه وقف على اولهما وينتهي بحرف النون ، متعرضا للاغراض التى يشتمل عليها الديوان « فجمع منها علالة بين امداح نبوية وتوسلات وهبية ، وفوائد وعظية ، وتيجان ملوكية ، وحقائق سلوكية ، ونسيب وغزل ، وجد فى المسامرات ، وهزل ، وقدمه هدية لمخدومه السلطان مولاي الحسن » وقد اورد الاستاذ عبد الله كنون فى سلسلة ذكريات مشاهير المغرب (الوزير ابن ادريس) مجموعة جيدة من شعره ، نضيف اليها بعض ما عثرنا عليه ، ومن ذلك يقول من صدر ميلادية :

اعد الحديث عن الحمى وظبائه
فالسمع مشتاق الى انبائه

وصل الحديث عن اللوى وعقيقه
والنازلين الجذع من جرعائه

فهناك معترك النواظر والنهى
ومجال افراس الهوى وظبائه

كم من صريع هوى بأفنية الحمى
فتكت عيون العيس فى احشائه

ومتيم لعب الغرام بقلبه
لما سقاه الوجد من هبائه

وله من قصيدة يمدح فيها ابا القاسم الزياني ويعدد مؤلفاته

متى ينجلي ليل التهاجر بالوصل
ويرجع مجد الود منا الى الوصل

وتسعدني سعدى بروي جمالها
فقد اضجرتني بالتعلل والمطل

لقد طال عمر الصد بيني وبينها
ولا شطحت داري ذراها ولا رحل

عجبت لها تدني المريب لوصلها
وتقصي الذى اصفى الوداد عن الوصل

وتمنع حتى طيفها وصل حبها
وتزور عن رد السلام من البخل

الى ان يقول :

ابا قاسم قد فقت كل مؤلف
واحرزت فى نيل العلا قصب الخصل

جمعت من الاخبار كل غريبة
عقول جميع الناس عنهن فى غفل

والفت فى كل العلوم سواطعا
مرونقة الالفاظ عادمة المثل

ثم يستمر فى ذكر مؤلفاته وقد عدد منها اربعة عشر مؤلفا .

ويقول متشوقا الى فاس :

حنت لاحمال اثقال النوى عيري
فذكرتني اصوات التواعير

(9) فواصل الجمان ص 42
(10) الاتحاف ج 3 ص 194 .

ياعيري حثي الخطى واستنشقي ارجا
من نحو فاس وان عز الخطا طيري

فما مقامي بارض لا انيس بها
ولا شراب سوى ماء « الخطاطير »

ايه فما البعد عن ارض بها سكني
اهل الحضارة فيها والقناطير

في كل ارض بها ارض وساقية
فلا مجاز سوى على القناطير

تلقى بها اوجها زانت نضارتها
مثل الدنانير في زي النواوير

والقطعة متقلة كما يلاحظ بالمحسنات اللفظية

ومثلها قوله في الغزل :

ذكرت ربع الصبا عهد الصبا
فهوى الصب هواها وصبا

ما سرت الا وسرت قلبه
ونفت عنها العنا والوصبا

باكرت روض النقا وارتشفت
من لمى ثغر الاغر الاشنبا

صافحت زهر اللواغب السرى
واتت صبحا تشكي الوصبا

جررت ذيل ذلال سابغا
وجرت طلقا باكناف الربا

شوشت اغصان بان عندما
نازعتها بـرد خز وقبا

سلبت من كل نور نفحه
وغدت تهدي الينا السلبا

ما هفت يوما على القوم وقد
سكنوا الا استطاروا طربا

وفي سحر الادب يقول :

وانفع النفثات السحريات رقى
يبثها قلم الانشاء في الكتب

واكبر السحر تاثيرا واصعبه
سحر تولد بين الحبر والقصب

قاض على الكل مقبول وقد شهدت
له المصاقع عند الحكم بالغلب

لم يهرم الدهر ما اتى على هرم
زهيره وفتى ما نال من نشب

وكان الرجل خفيف الروح ، لطيف الدعابة ، وتروى عنه في ذلك طرف ونوادر ، ومن ذلك مداعبته لفكه ظريف كان احد مؤنسي المولى عبد الرحمان ، وقد مات له غلام يدعى بيدق ، وجارية تسمى شويطرة . فقد نظم قصيدة فكاهية على لسان مؤنس السلطان جاء فيها ما يلي :

هي الايام تفجع بالمصاب
وتمزج حلو نعمتها بصاب

تكدر بالمنية كل عيش
وتولع بانتهاب واغتصاب

وتختلس النفوس ولا تبالي
وتستلب النفيس ولا تحابي

رمت عن قوس نبعتها سهاما
اتت من لم يكن لي في حساب

اصابت بيدقا ورمت جهارا
شويطرة ولم تشفق لما بي

فهذا كان يتبعني نهارا
وتلك خديمتي عند الاياب

فتحسن عشرتي وتقيم بيتي
وتحرسه وتغسل لي ثيابي

وذلك كان يحفظ لي مقيبي
وامتعتي ويحرس حول بابي

وكان الصدق شانهما ولكن
جيوش الموت تولع بالرغاب

الى آخر القصيدة الحافلة برشاقة اللفظ ومزاح بريء في غير ما تبذل ، وقد استثاره احد خصومه فنظم الابيات التالية :

الا ايها الرامي بسهم سبابه
على جهة التعريض لي في كتابه

رويدك عندي للسفيه مثالب
ولكن اغض الطرف دون جوابه

رميت امرءا لا يعلق الذم ثوبه
وليس يحوم العيب من حول بابه

ولي من لساني صارم الحد فاتك
يقد حشا المغتاب لي في قرابه

فان مضك الذم الذى انت اهله
فانت الذى احوجتني بجوابه

وان مزقت اسمال عرضك نفثتي
فانت طرقت الليث في وسط غابه

نهيتك عن امر تبينت غيه
وقلت لك التوفيق عند اجتنابه

فاليت الا ترعوي لنصيحة
وزدت لجاجا في عظيم اغتيابه

اذ المرء لم يقبل نصيحة مشفق
ولم يتحرج من قبيح اكتسابه

فدعه واحداث الزمان تنوشه
سيطرقه من لم يكن في احتسابه

ومن قصيدة له ذات نفس عال في مدح السلطان مولاي عبد الرحمن وقد استهلها بالتغزل والوداع ثم تخلص الى المدح :

عرضت لنا كالظبية المغناج
تختال في حلل من الديباج

هيفاء فوق قضيب بان اطلعت
بدر التمام جليل شعر داج

ورنت بعين مهاة رمل اودعت
فتنا تنسي فتنة الحلاج

لضعيف ذاك الجفن صولة قادر
في العاشقين كصولة الحجاج

يشكو لليل الشعر مدمج خصرها
ما مسه من ردفها المواج

والعين من فرط السقام شكت
لنا ما يشتكيه الخصر من ادماج

اعدى سقام جفونها جسمي كما
قلبي بنار الخد ذو انضاج

ان مت من فرط الغرام فقاتلي
غيد الغواني بكل طرف ساج

اصف الدواء لذي الهوى واظنني
من لحظ عيسر العيسر لست بناج

الى ان يقول :

المالك الميمون طائره ومن
حياه وجه السعد بالافلاج

ما عابد الرحمن الا رحمة
ظهرت محسم ضلالة وعلاج

والقصيدة ذات بنيان متين ، ومعان على الرغم من قدم جدتها ففيها تهذيب وتشذيب .

ومن قوله مفتخرا بشعره :

سل الرواة عن نفثات شعري
فكم ابران من قلب سقيم

وكم اظهرن جودا من بخيل
وكم اولدن من بكر عقيم

فان الشعر في التحقيق سحر
كما قد جاء في الاثر الكريم

ولي في نظمه القدح المعلى
واسرار تغيب عن العليم

فانظم حين انظم رائعات
تفوق الدر في العقد النظيم

وارفع بالمديح مقام قوم
وان كانوا ذوي اصل لئيم

واخمل بالهجاء مقام قوم
وان كانوا ذوي قدر عظيم

ولي قلم له بأس شديد
يثلم حد حد الصريم

ويترك ضربه الاقران صرعى
لدى الميمون بالضرب القويم

وابدع في التغزل حيث قال :

الا خبروا ذات الخلاخل والقرط
بأني منك للجمال بلا شرط

لقد اودعت قلبي وربك لوعة
غداة غد بين الوشاحين والمرط

تميس كخوط البان غازله الصبا
وتسفر عن بدر وتفتن عن سمط

رمتني بسهم الغنج عن قوس حاجب
فاصمت فؤادي المستهام ولم تخط

وما كان بدء الحب الا بنظرة
وتبتدىء النيران من ضرم السقط

عجبت لها مذ ورد الحسن خدها
وزينه كف المحاسن بالنقط

وحلت بقلب المستهام واهلها
بذات الغضا ما بين نعمان والسقط

واذا كان لنا من حكم نحكم به على هذا الشاعر الفحل ، فاننا يتبين لنا من خلال ما اطلعنا عليه من شعره ، انه يوغل احيانا فى استخدام المحسنات اللفظية حتى لنخاله من مدرسة ابن الخطيب وابن زمرك ، فى حين نراه تارة اخرى تتجدد معانيه وتسلس الفاظه حتى ليخيل لنا انه غرف مع شعراء فجر النهضة من مورد واحد . وان عملية التنقيب والاكتشاف لادبنا فى مختلف اطواره فى انتظار كتابة تاريخ جيد له تنبىء عن اننا لسنا اقل من غيرنا فى المجال الادبي شعرا ونثرا . وان مختلف الاحكام التى يزجيها البعض لا تثبت امام النقد المتبصر الواعي الصادر عن دراية واسعة ودراسة متانية. واذا كان هذا ليس مجال الاعتراض على تلك الاحكام فان الذى ننبه اليه امثال هؤلاء هو ما يلي : امن الانصاف ان تعدوا بعض الظواهر من عيوب الشعر المغربي بينما تغضون الطرف عنها فى غيره ؟ يقول بعضكم « انه فى معظمه شعر مديح » وتنسون أن شعراء مصريين وغير مصريين من نفس العصر ، وربما بعده مدحوا وافاضوا فى المديح ، الم يمدح البارودي « الم يمدح شوقي وحافظ وغنيم والمهندس ؟

هذه واحدة ، واخرى وهي ماينبغي ان يتسم به الناقد الدارس من تجرد ومحاذرة الوقوع تحت تاثير بعض المقاييس الجديدة فى النظر الى شعراء وادباء كانوا ينظمون ويكتبون تحت تاثير عوامل ومقاييس التى يحكم بها عليهم ، وعملية التجرد والمحاذرة هذه تحتاج الى نضج ويقظة بالفين .

واخيرا يبقى علينا ان نقدم ابن ادريس الناثر ، وهذا ما يحتاج الى دراسة خاصة سنبرزها حين تتوفر لذلك الاسباب والامكانيات .

وزان — محمد الامري





نظم الموحدون جيشهم تنظيما جديدا يتفق وخطتهم السياسية والمذهبية ، فقد كانوا يعملون على تجميع اجزاء المغرب العربي تحت حكومة موحدة ، وهذا يقتضي اعداد قوات مسلحة كثيرة العدد ، وطمحوا الى اقرار مذهب فقهي جديد يستمد اصوله من مذاهب اسلامية مختلفة وعلى الخصوص المذهب الظاهري ، وكان املهم الذي حاولوا تحقيقه بمختلف الوسائل ان يقروا في مختلف ربوع المغرب العربي هذا المذهب الجديد لعله يشكل عنصرا فعالا في تحقيق الوحدة ، ومهما كانت النتائج التي ترتبت عن هذه المحاولات ، فلا شك ان العناية بالتنظيم العسكري قد سهلت بالفعل تقاربا كبيرا بين اقطار المغرب العربي في ميادين كثيرة .

ولقد اقر الموحدون في جيشهم كل العناصر التي سبق ان عملت في صفوف المرابطين حتى لقد كان في هذا الجيش عدد كبير من المرابطين انفسهم ممن اخلصوا للدولة الجديدة كل الاخلاص ، وهناك عنصر آخر هو الغز الذين قدموا في عهد المنصور عن طريق مصر ، وهم اسلاف الاكراد الذين عرفوا بشدة بأسهم في الجهاد ، وهم بالتالي من اعقاب الاشوريين الذين كان يضرب بهم المثل في النضال المستميت والقسوة في الميدان العسكري . .

وهكذا اشتمل الجيش المغربي في هذا العهد اساسا على عناصر وطنية من المصامدة وصنهاجة وزناتة ، فضلا عن العرب المستقدمين من افريقية والقاطنين بالمغرب العربي ، والسودان والغز والروم ، وهؤلاء الاخيرون كان لهم شأن يذكر في تاريخ الموحدين وقد بلغ عددهم اثنا عشر الفا ايام المامون الذي كان اول من الغى المذهب الظاهري واعاد اقرار مذهب مالك بالمغرب .

ومما اشتهر عن الجيش المغربي لهذا العهد كثرة الاستعراضات التي كان يقوم بها خصوصا قبل السير الى الميدان وبعد الظفر في المعارك ، مما كان يتيح لافراد الشعب ، ان يشاهدوا عن كثب مبلغ القوة العسكرية التي تحافظ على سلامة البلاد في الداخل وتسجل لها مزيدا من الامجاد في الخارج ، وكان الاستعراض منظما بمعنى الكلمة . اذ تتعاقب فيه الكتائب حسب ترتيب معين وتتقدمه كوكبة موسيقية تبلغ المائتين عدا .

وحافظ الموحدون على خطة النظام القبلي فكان لكل مجموعة قبلية قائدها الخاص والجميع يعملون في اطار الجيش كوحدة متكاملة لها قيادة عسكرية ومجلس حربي برئاسة الملك، ويتداول اعضاؤه من امراء الدولة واركان الجيش حول الشؤون العسكرية الرئيسية خصوصا اقرار السلم او الحرب .

وكانت قيادة الجيش العامة توكل الى قائد من الاسرة المالكة او من ذرية أبي حفص الهنتاتي وأسرة هذا الاخير هي التي انشات دولة تتمتع باستقلال

ذاتي فى تونس ثم بلغ من قوتها فيما بعــد ان كانت تتدخل فى شؤون المغرب ايام بني مرين .

وكان البياض شعار الموحدين فى زيهم سواء فى الزي او رايات الجيش او الدولــة ، وكان ذلــك كمخالفة للمرابطين الذين كانوا يستعملــون الســواد مراعاة للعباسيين الذين اعترف المرابطون بسلطتهم الرمزيــــة .

ولم يسمح الموحدون بابتذال الراية الوطنية ، فكانوا لا يأذنون باستعمالها الا للعمال والولاة وقــواد الجيش ، وبذلك اضافوا رمزا حقيقيا لوحدة الدولة وهيبتها وسيادتها .

ومعظم ملوك الموحدين ساهموا فى الحمــــلات العسكرية بانفسهم وكان مصيرها من فشل او نصر يرتبط بالمقررات التى يتخذها المجلس الحربي المذكور آنفا والذى كانت لهم رئاسته وتوجيهه ، وكثير منهم اشتهر ببطولة نادرة، حتى ان الناصر الذى انهزم فى وقعة العقاب قد لزم مكانه الى آخر لحظة حتــى انسحب كل جيشه عن الميدان ولم يلازمه الا بعــض الخدم ممن لا يغنون غناء الجيش ، حتى الح عليــه فارس عربي هرع اليه ، وغادر الميدان مغمومــــا ، وقد مثل وزيره ابن جامــع اسوأ دور فــى نشاط الموحدين بالاندلس .

ولكن الجيش الموحدي مع ذلك سجل من صفحات البطولة والنصر طيلة نصف قرن ، ما كان له عظيــم الاثر فى العالم الاسلامي والمسيحــي على الســواء ، فمن المعلوم ان السلطان صلاح الدين قد استنجــد بالاسطول الموحدي ، وقيلت فى هذا الموضوع روايات كثيرة عن العلاقة بين المنصور الموحــدي وصــلاح الدين ، ولكن ابن خلدون يروي ان الملك المغربي ربما يكون قد بعث فعلا بمائة وثمانين قطعة من اسطوله لرد النصارى عن سواحل الشام .

وما وقعة الارك بعد هذا بالحــدث الهيــن فى تاريخ الدولة المغربية وجيشها المناضــل ، وقد قــاد الجيش الوطني فيها المنصور نفســه ، وكان انتصــاره ساحقا على الجيش النصراني ومع ذلك فقــد كــان كريما متسامحا تجاه القوة النصرانيــة التى طوقــها الجيش المغربي ووقعت فى الاسر وكان عددها يبلغ العشرين الفا ، فامتن عليها المنصور باطــلاق ســراح افرادها ، وهكذا وضع المغرب مرة اخرى حدا للتدخل المسيحي فى اراضي الاندلس وواصل اقرار الاسلام بتلكم الديار كما فعلت دولــة المرابطيــن من قبــل ، ودولة المرينيين من بعــد . وبقــدر ما كانت دولــة الموحدين تهدف الى اكتساب نفوذ سياسي وروحــي بقدر ما كانت تعمل فى الاندلس على حماية رعاياهــا المسلمين وغيرهم واضعاف قوة الخصــم الذى كان يبــذل كل الجهـــود الممكنــــة لاقتطاع اطراف الوطن الاندلسي .

ولقد بلغ من ضخامة الجيش المغربي ان انتهى الى قرابة ستمائة الف مقاتل سدسهم من الفرســان ومع ذلك لا نستكثر هذا العدد اذا علمنا ان القســم الاكبر منه كان من الفرق الاحتياطية التى كانت دائما على اهبة القتال .

وفى هذا العهد انشئت اول اكاديمية عسكرية بالمغرب وربما بالعالم الاسلامي كله وليــس من الغريب ان يسبق المغرب الى اشياء كثيــرة فــى التاريــخ العسكري كما هو الامر بالنسبة الى هذه الاكاديميــة ولاختراع البارود فى عهد بني مريــن فقــد عــرف المغاربة منذ العصور القديمة بطموحــهم وقابليتهم الخارقة للتطور والابتكار كما تشهد بذلك امثلة كثيرة ليس هنا مجال لذكرها .

وفى هذا العهــد اســست ترسانــات عظيمــة كترسانة ابي رقراق واخرى بقصر مصمــــودة وهــو القصر الصغير الآن ، وثالثة على ضفة وادي فــاس اذ كانت البواخر الصغيــرة لا القورب فقط ، تقطــع وادي سبو وترسو قرب فاس ، وقد ظل نشاط هذا الميناء الشبيه بالمجهول فى تاريخ المغــرب يواصــل مهمته الى عهد السعديين .

وبلغ اسطول الموحدين كما هو معلوم اربعمائــة قطعة ، موزعة بين موانيء المغــرب العربي والجــزر الشرقية التى هي البليار اليوم ولم تكن هذه القطع متشابهة الحجم والشكل ولا هي نسخة من القوارب البسيطة ، فقد كان لكل منها هندسة خاصة ومهمة خاصة ايضا ، وتختلف اسماؤها تبعا لذلك ، ومنها الحراقات التى كانت تحمــل المنجنيقــات القاذفــة للنفط ، والتى تؤدي مهمة شبيهــة بما تقــوم بــه الدبابات اليوم ، وسفن الانقــاذ التى كانت تدعــى بالمــطحات وهي تعمل على انقاذ السفــن الصغيــرة من الخطــر .

ولقد كانت اكاديمية الموحدين بمراكش والتى تخلف منها على الخصوص حوضها العظيم ، تلقــن

طلبتها كل الفنون العسكرية يومئذ، بما في ذلك الرماية والتجذيف وقيادة السفن والفروسية والمسابقة فضلا عن الثقافة العامة وما يهم المذهب السياسي والديني للدولة .. حقا لقد مثل الموحدون بهذا النظام التربوي العسكري ما لم يكتب تطبيقه لاية دولة اخرى الا في القرن الذي نعيش فيه، ولم تكن هذه المؤسسة المنظمة خاصة بابناء الشعب فقط، بل كانت معدة اساسا للنخبة الصالحة الموجهة نحو الاطر العليا والمتوسطة في الادارة والجيش وتنخرط فيها الزاما كل الطبقات المستعدة جسميا وعقليا للخضوع في انظمتها والتي ستتحمل في المستقبل مسؤوليات الجيش والادارة وكانت المناصب العسكرية مفتوحة لكل الذين تتوفر فيهم الشروط المطلوبة بقطع النظر عن انتمائهم القبلي وان كانت مناصب رئيسية كثيرة من اختصاص امراء الدولة وهكذا عرف عصر الموحدين احد اكبر قادة الاسطول في تاريخ المغرب العربي وهو احمد الصقلي الذي ينتمي الى جربة والذي تلقى تكوينه على يد ملك النورمانديين بصقلية قبل ان يعمل على راس البحرية الملكية بالمغرب، ومن قادة الاسطول ايضا، محمد بن عطوش ويحيى الهزرجي وابن طاع الله الكومي وغيرهم .

ومن ابرز القواد العامين ابو حفص العثماني وعلى ابن عمر بن عبد المومن وأبو دبوس الذي تولى قيادة جيوش المرتضى قبل ان يتولى هو نفسه كآخر ملوك الموحدين .

هذه نبذة موجزة عن الجيش الوطني في عهد الموحدين، ذلك الجيش الذي حقق لاول مرة في التاريخ وحدة المغرب الكبير وبكل ما يقتضيه معنى الوحدة . ويرجع اكبر الفضل في ذلك الى اربعة اشخاص هم المهدي بن تومرت وعبد المومن وابو يعقوب وابو يوسف المنصور .

اما في العصر المريني فقد تقوى العنصر العربي في الجيش المغربي الى جانب العناصر الاخرى التي عملت سابقا في صفوف الموحدين .

وكانت العناصر المكونة للفيف الاجنبي تتركب اساسا من الفز المسيحيين، وعددها يناهز العشرة آلاف بينهم حوالي 1550 فارس من الاغزاز و 500 قواس واربعة آلاف من المسيحيين فضلا عن نواة للحرس الاسود .

وكان الجيش اذا خرج للقتال احتفل لذلك بمحضر السلطات احتفال فخم، فتصحبه الدواب الملبسة بالديباج والقباب المزينة، وجرت العادة بأن تصحب كتائب الجيش مجموعة من الفتيات والنساء يجلسن داخل هوادج، حتى يحمسن الرجال ويثرن غيرتهم على الحريم فيضطرون الى التضحية حتى النهاية فداء لهن .

ولم يشذ المرينيون عن اتباع العادة التي سبق ان سلكها قبلهم المرابطون والموحدون اثر الانتصار في المعارك، حيث تجمع رؤوس الاعداء: كتلة واحدة بعضها فوق بعض، ثم يقام عليها الاذان ويصلي المسلمون عن كثب منها، وتقضي واجبات الجهاد بتخصيص سهم واحد للرجال عند تقسيم الغنائم وسهمين للفارس، بعد استخراج الخمس لبيت المال، ويحدثنا صاحب الذخيرة السنية، ان المعركة التي قتل فيها ذونونة، حصل فيها الجيش المغربي على مائة الف راس من البقر، واما الغنم فلا تحصى، وبالرغم مما يبدو في هذا التعداد من مبالغة مفرطة، فان الجيوش المسيحية كانت تسير الى الميدان عادة وهي محملة بمؤن وافرة، مما كان يعوق تحركاتها .

وتقدم بعض العطايا للجيش قبل القتال تشجيعا له، وكثيرا ما يصحب الملك معه مجموعة من العلماء والادباء، اثناء تنقلاته الحربية، كما اشتهر عن أبي الحسن الذي صحب الى افريقية نحو اربعمائة عالم واديب غرق اكثرهم عند الرجوع .

وكما يتم عرض الجنود عند القتال يتم استعراضهم عند الانتصار والدخول رسميا الى بلد تم فتحه، وكان هناك مجلس رسمي للعرض يعقد يومي الاثنين والخميس يخصص كذلك للمظالم واستقبال السفراء، وموقعه ببرج الذهب ببستان المسرة خارج فاس الجديد .

اما عمليات الحصار فكان بنو مرين يحشدون لها الفنيين والعمال ويضيقونها على اعدائهم مدةطويلةحتى يضطروهم الى الاستسلام في الغالب، فقد حاصر ابو يوسف طنجة مدة ثلاثة اشهر، وحاصر ابو الحسن تلمسان مدة عامين حتى اختط بقربها مدينة سماها المنصورة واحاط البلد المحاصر بخندق وسور جديد ونصب المجانيق والآلات واستكثر من الابراج الى ان تمكن من فتح تلمسان واستعمل المرينيون

نفس الاسلحة الحربية المعروفة قبلهم ، وهكذا استخدموا المنجنيقات والسيوف والنبال ، كما استعملوا الرعادت واستخدموا في موسيقاهم العسكرية ، الابواق والطبول والطنابير وكان قتال الجيش الوطني في عهد هذه الدولة عنيفا ، فقد روى بعض المؤرخين ان عشرة آلاف فارس مغربي اشتركت في معركة ريو سلادو، حتى ابتلت دروعهم بالدماء، وكانوا يتصافون اثناء القتال ويطعنون بسيوفهم بمنتهى الشدة ، وان هذه الصفات لتذكرنا بمثيلاتها في ابعد حقب التاريخ المغربي قبل الاسلام على ما رواه مؤرخون من الرومان وكانوا شاهدي عيان .

والى عهد بني مرين يعزى اختراع البارود على يد طبيب مغربي سنة 768 هـ ، حيث كان يقوم بتجربة كيماوية هدته الى اختراعه كما جاء في نزهة الحادي نقلا عن ابي زيد عبد الرحمان الفاسي .

ولعبت اسرة بني عبد الحق بن عثمان دورا بطوليا رائعا في المقاومة ضد المسيحيين ، حتى ان احد رجالاتها وهو عثمان بن ابي العلاء قاد او شارك في سبعمائة غزوة وظل يجاهد في الاندلس حتى مات عن سن ثمان وثمانين .

وكانت قيادة الجيش توكل الى امراء من الاسرة المالكة او الموالين لها ، وكثيرا ما قاد الجيش احد انجال السلطان كابي زيان ولد المنصور الذى عمل على تهدئة السوس وشارك في حروب الاندلس . ومن الملاحظ ان اهتمام الدولة بالنواحي الجنوبية كان بالغا اذ كانت موطنا لدولتين فيما سبق وكانت جهات السوس ومراكش ودرعة يرسل اليها كبار القادة .

ومن ابرز قواد الجيش المالكي في هذا العهد محمد بن عطوش الذى شارك في حروب المغرب والاندلس ، والوزير ابن علال الذى كان من قواد بني مرين الاكفاء في المغرب الاوسط ، وعمر بن السعود بن خرباش الذى ساهم في تدبير شؤون الدولة بوصفه وزيرا ليوسف وقائدا في حروب الاندلس والمغرب .

اما الاسطول المغربي فكانت مراكزه بسبتة وطنجة وسلا ، ووهران وبجاية وقابس . وكانت قطع البحرية تقوم بمناورات حربية قبل القتال وبعده ، وقد تحدثت المصادر عن يعقوب المنصور الذى برزت اساطيل الجيش امامه بمرسى الجزيرة الخضراء وهو جالس بمشور قصره ، فلعبوا بمراى منه في البحر وتجاولوا وتناطحوا وتطاردوا كفعلهم ساعة الحرب .

وبلغ الجيش الوطني اقصى قوته البحرية ايام ابي الحسن حتى كانت مثل عدة النصارى وعديدهم كما يقول ابن خلدون في مقدمته .

ومن كبار قادة الاسطول سليمان بن داوود واحمد بن يوسف من امراء بني الاحمر في عهد ابي عثمان ويحيى الرنداحي قائد أسطول سبتة ومحمد العزفي في عهد ابي الحسن .

والواقع ان عدد جيوش بني مرين قد تضاءل بالنسبة لما كان عليه في عهد الموحدين فلم يكن يبلغ في مجموعه مائة وخمسين الفا وهو عدد يصعب معه تثبيت السلطة في مختلف اقطار الشمال الافريقي والاندلس كما كان يطمح الى ذلك بنو مرين وكان عدد الفرسان المثبتين في الديوان يبلغ اربعين الفا قبل فتح تلمسان في عهد ابي الحسن .

اما عن رايات الجيش فكان لكل كتيبة رايتها الخاصة والجميع يلتف حول راية واحدة هي راية الملك والدولة ، وقد ظلت بيضاء دليلا على المسالمة وتيمنا بالبياض . وكان الملك يعقد بنفسه الرايات لمختلف الكتائب ويسلمها الى القواد ، ويسمى علم الملك الخاص بالمنصور او سعد الدولة . وتحتفظ بعض الكنائس الاسبانية براية يعود تاريخها الى محرم 712، من ايام ابي سعد عثمان بن يعقوب .

ولم يكن الجيش يقطع ارضا ، ولكنه يتوصل براتب شهري يتراوح بين ستة مثاقيل وستين مثقالا ذهبيا حسب الرتبة العسكرية . وكانت الاجرة تسلم من ديوان الجيش حيث تسجل اسماء الجنود النظاميين . وقد كان هذا الديوان يقوم بدور وزارة الدفاع اليوم .

وقد انشئت الابراج والمحارس في عهد كبار ملوك الدولة ، خصوصا ايام ابي الحسن الذى مددت المحارس والمناظر في عهده من افريقية الى آسفي . وكانت الاشارات فيما بينها تتم بواسطة

النيران في ليلة واحدة من اقصى محرس الى اقصاه في الطرف الآخر بينما يتعين قطع هذه المسافة للقوافل في شهرين . وكان لكل محرس ساحلي ، جنود ونظار وخبراء يرقبون تحرك السفن في البحر، حتى اذا ظهرت قطعة مشتبه فيها ، تبودلت الاشارات النارية على الفور .

وفي عهد بني وطاس الذين يعدون في نظر اكثر المؤرخين استمرارا لدولة بني مرين ، بدأ استعمال المدافع والبنادق من طرف الجيش الوطني، مسايرة للتطور الحادث يومئذ ، واعيد النظر في هندسة الحصون لتصلح لخزن البارود وتنقل المدافع .

وعلى الرغم مما ظهر على الدولة من ضعف في اواخر العهد المريني وايام الوطاسيين ، فقد ساهمت المقاومة الشعبية بدور مشكور في النضال ضد التدخل البرتغالي الاسباني والعثماني بينما اصبحت كل الاقطار الاسلامية الاخرى تقريبا ، خاضعة للحكم العثماني او عاجزة عن مقاومة التدخل الخارجي .

فاس : ابراهيم حركات





للاستاذ عبد القادر القادري

هذه التقاليد «البالية» هذه التقاليد «العتيقة» .. هذه التقاليد «الرجعية» .. هذه التقاليد المترمتة .. المتحجرة المتاخرة المتعفنة ، ينبغي ان تحطم .. ينبغي ان تدك من القواعد . ينبغي ان تداس بالاقدام ينبغي ان ينشا مجتمع جديد .. مجتمع متحرر مجتمع تقدمي .. مجتمع متطور .. مجتمع منطلق من القيود . كذلك تدور معركة التقاليد ، وهي معركة حامية الوطيس .. ميدانها .. كل ميدان ميدانها البيت والطريق .. والسينما والمدرسة والترام والسيارة والصحيفة والمجلة.. والخطبة والكتاب .. والريف والمدينة وجنودها الناس اجمعون .. جنودها الشبان والفتيات .. والآباء والابناء .. والمدرسون والطلاب .. والكتاب والكاتبات والابرار والفجار .. وكل انسانة وانسان .

لقد غفا العالم الاسلامي غفوة طويلة امتدت على الاقل قرنين من الزمان .. وكانت هذه الغفوة الطويلة نتيجة لفترة سابقة من الجمود والتحجر .. الجمود الفكري والشعوري والعملي ، الجمود الذي احال الافكار قواعد ميتة بغير روح . واحال الوجدان مشاعر خاوية من الاصالة والصدق .. واحال الاعمال اداء آليا خاليا من الحياة والابداع . الجمود الذى جعل العالم الاسلامي « يجتر » حضارته العظيمة الاولى وافكاره وتطبيقاته القديمة بلا زيادة ولا يضيف اليها جديدا حيا يساوق خطو الزمان وخطو الحياة .

.. ثم افاق العالم الاسلامي من غفوته على هزات عنيفة مزلزلة افاق على وقع اقدام الغرب المستعمر.. افاق .. وقام ينفض عنه تراب القرون. ينفض عنه الجهل والجمود والتحجر . ينفض عنه الكسل والخمول والتواكل وينفض عنه كذلك كثيرا من العقائد والافكار .

وحدثت اصطدامات عنيفة بين الشرق والغرب .. وحدثت كذلك امتزاجات (1) .

وفى هذا البحث نحاول ان نرسم عادات وتقاليد واعراف المجتمع الرباطي التى قد اندثر كثيرها بسبب احتكاك هذا المجتمع بالاوربيين ووفود اهل الحواضر واهل الريف الى الاستقرار فى العاصمة بعد حصول المغرب على استقلاله .

1) جوق المسامع النسوي :

كانت العادة الجارية حتى الحرب العالمية الثانية عند بزوغ شهر ربيع النبوي الشريف ان يطوف جوق المسامع النسوي المتركب من ضاربة على الرباب وضاربة على الدف وضاربة على التعريجة وضاربة على الطبلة على منازل الشرفاء لتهنئتهم بحلول هذا المولد العظيم وذلك بتشنيف اسماعهم باغاني دينية . وقد انقرض هذا الجوق ولم تبق منه الا الذكرى .

2) طواف اصحاب الطرق الصوفية :

بعد مرور سبعة ايام على عيد المولد النبوي الشريف يطوف اصحاب الطرق الصوفية من جيلالة وحمادشة وعيساوية على منازل اتباع طريقة الشيخ عبد القادر الجيلالي دفين بغداد وعلى اتباع طريقة

(1) كتاب معركة التقاليد لمحمد قطب

الشيخ سيدي علي بن حمدوش دفين مكناس وعلى اتباع طريقة الشيخ بنعيسى دفين مكناس لقراءة الفاتحة وقبول الهدايا .

وقد كان حمادشة يمرون على شارع السويقة بعد صلاة العصر وهم يضربون رؤوسهم بسلاسل من حديد كما ان عيساوة كانوا يفترسون الخرفان ... وقد قام رجال الاصلاح بمحاربة هذه البدع حتى قضوا عليها سنة 1934 ، وللمراقب المدني السابق بالرباط المسمى برونيل Brunel كتاب عن عيساوة وحمادشة مزينا بصور شمسية عن الرجال الذين يتشبهون بالسبع واللبوءة وهم يفترسون الخرفان . ويوجد هذا الكتاب بالخزانة العامة بالرباط .

3) حفلة لا كسابة :

في يوم الجمعة المتصل بيوم الخميس الاول من شهر رجب تخرج الطفلات الى ساحة قصبة الاوداية بالعلو قرب ضريح سيدي عبد الرفيع الاندلسي وهن لابسات لباس العروس والاطفال يغنون اغنية : « للا كسابة اعطيني امراة دابا دابا » وقد شاهدت بأم عيني مثل هذه العادة بمدينة اشبيليا باسبانيا ولعل الاندلسيين هم الذين نقلوا هذه العادة الى الرباط بعد خروجهم من الاندلس ونزوحهم الى الرباط

4) العروس من الشرفاء والشريفات :

كانت العادة الجارية حتى هذه الاعوام الاخيرة ان يركب العروس الشريف فوق صهوة جواد مطهم عند ذهابه الى منزله ليلة الزفاف وكانت العروس الشريفة تجلس داخل قبة مصنوعة من خشب «العرعار» المنقوش وهي محمولة على اعناق اصدقاء العروس .

5) بقاء العروس مغمضة عينيها طيلة اسبوع الزفاف :

تغمض العروس سواء كانت شريفة او غير شريفة عينيها طيلة اسبوع الزفاف كلما دخل عليها عروسها ولا تفتح عينيها امامه الا بعد حفلة السبعة ايام .

وقد تكلم الاستاذ ادريس الكتاني عن زواج الفاسيين بمجلة البحث العلمي وللاستاذ عبد الهادي التازي كتاب في الموضوع .

6) حفلة السلام :

كانت حفلة السلام اي سلام ذوي المحرم على العروس وتقديم الهدايا لها من ابرز الحفلات العائلية ورغم ان المراة اصبحت سافرة فما زالت بعض الاسر تحافظ على هذه العادة .

7) عدم زواج الشريفات العلويات والاشراف العلويين بغير اولاد اعمامهم .

كانت العادة الجارية عند الاشراف العلويين بأن لا يتزوج شريف علوي ولا شريفة علوية بغير اولاد اعمامهم حتى سنة 1929 ، فقد صدر منشور من وزارة العدلية تحت عدد 12216 وتاريخ 19 يونيو عام 1929 وهو عام ولادة جلالة الملك المعظم الحسن بن محمد بازالة هذه العادة وهذا نص المنشور الموجه الى قضاة المملكة المغربية :

الحمد لله وحده

لا يخفى ان العادة السالفة كانت جارية بأن لا تتزوج شريفة علوية ولا شريف علوي بغير اولاد اعمامهم غير ان حالة المعيشة اليوم اوجبت الغاء هذه العادة لعدم اعتبارها شرعا . وعليه فبامرك سيدنا ايده الله أن تكون تاذن للعدول في عقد انكحة الشرفاء والشريفات العلويين مع غيرهم من الاشراف والعوام بعد اثبات المواجب الشرعية المتوقف عليها في عقود الانكحة من ايصاء او سبب او نحوهما وذلك بعد ان يأذن لك النقيب وان وقعت منه مماطلة او تعرض لمريد العقد فلترفع انت ذلك لوزارة العدلية حالا ليطلع به العلم الشريف اسماه الله وتومر فيه للمتعين . وقد كتب لنقباء الشرفاء بمضمنه والسلام .

وحرر في 14 محرم عام 1348 الموافق 19 يونيه سنة 1929 .

8) نقيب الشرفاء :

كان لكل طائفة من الشرفاء نقيب يفصل في منازعتهم العائلية ويشرف في الوقت نفسه على الزاوية. وقد بدت هذه المهنة تندثر . وقد كان للشرفاء العلويين نقيب وللشرفاء الادارسة نقيب وللشرفاء القادريين نقيب ..

9) ذكرى الميلاد :

هذه العادة مقتبسة من الاوربيين فلم يعرفها اجدادنا ولا آباؤنا وكان احتفالهم بالميلاد خاصا بميلاد

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما زال هذا الاحتفال باقيا الى الآن والى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وذلك بقراءة الامداح النبوية وسرد مولده عليه السلام فى الزوايا والمساجد وبيوتات اهل الفضل .

10) خاتم الزواج :

هذه العادة مقتبسة ايضا من الاوربيين وقد صارت سنة متبعة وعادة محمودة لدى الخاص والعام .

11) شهر العسل :

هذه العادة مقتبسة كذلك من الاوربيين فقد كان العروسان حتى سنة 1950 يبقيان في مسقط راسهما ولا يسافران للمدن الاخرى او الخارج لقضاء شهر العسل غير انه لما حصل المغرب على استقلاله وولج الشاب والفتاة الوظائف الادارية وتفتحت جميع الاعمال التجارية فى وجه الشعب عمت هذه العادة فى جميع الاوساط .

12) السفور :

كانت المراة الرباطية حتى الحرب العالمية الثانية تخرج وهي لابسة «الحائك» والملاية او الريحية وبعد ان وضعت هذه الحرب اوزارها شرعت هي تلبس الجلابة وبعد رجوع المغفور له محمد الخامس الى وطنه المحبوب سنة 1955 شرع بعضهن يلبسن البذلة الاوربية غير ان محافظة جلالة الملك المعظم الحسن بن محمد على الزي القومي فى الحفلات دفعهن الى العودة الى لبس القفطان فى الحفلات الرسمية ولبسهن القفطان والدفينة فى الحفلات غير الرسمية كالزفاف والعقيقة و « الاملاك » والختان..

وتجدر الاشارة ان سفور المراة المغربية لم يكن نتيجة مظاهرة او ثورة وانما كان نتيجة لقابلية المراة المغربية للتطور.

اما فى بلاد ايران فقد كان نتيجة لتدخل البوليس بتمزيق حجاب كل امرة تخرج الى الشوارع وهي ملثمة .

وقد فرض ملك الافغان السابق امان الله خان سنة 1929 السفور على النساء الافغانيات، وعلى الرجال لبس القبعة فثار رجال القبائل عليه . وقد كانت فرنسا تتحاشى فرض لبس القبعة على الجنود المغاربة حتى الحرب العالمية الثانية لئلا تثير حفيظتهم وقد كانوا يلبسون فى ميادين القتال الخوذة الفولاذية فوق العمامة ، اما الضباط المغاربة فقد كانوا يلبسون طربوشا احمر . ومن المعلوم انه كانت في مصر قبيل الحرب العالمية الثانية معركة بين انصار الطربوش والقبعة وكان يقول بلبس القبعة الاستاذ توفيق الحكيم وسلامة موسى .

13) ولوج المراة الوظائف العمومية فى الادارة المغربية والمهن الحرة

كانت المراة حتى سنة 1955 يقتصر نشاطها على تربية اولادها وعلى تدبير شؤون منزل الزوجية من طبخ وخياطة وغير ذلك . غير انه لما حصل المغرب على استقلاله شرعت المراة التى كانت مثقفة فى ولوج الوظيفة العمومية .

14) الخطابة :

كانت الخطابة وقفا على الرجال ولما وقع السفور صارت المراة تخطب فى الحفلات الرجالية والنسوية .

15) السباحة في الشواطيء :

كانت المراة لا تعرف حتى سنة 1956 السباحة فى الشواطيء لان ارتياد هذه كان وقفا على الرجال غير انه اصبحت المراة بعد هذا التاريخ، ترتاد الشواطيء للسباحة

16) الاكل بالشوكة والسكين وطعام الفطور:

لا يعرف المجتمع الرباطي الا الاكل باليد وفى طبق واحد غير ان البعض شرع يتناول الاكل بالشوكة والسكين وفى طبق خاص لكل واحد من افراد العائلة ، وما زالت هذه العادة لم تنتشر بسرعة لاسباب اقتصادية ولان الجمع فيه بركة كما يقال وكان الفطور يتركب من الحريرة والخبز والقهوة حتى سنة 1948 وبعد هذا التاريخ اصبح يتركب من الحليب والقهوة والخبز والزبدة والمربى (اللاعوق) Confiture

17) شعبانة :

فى اليوم الاخير من شهر شعبان كان اهل الرباط حتى سنة 1950 يخرجون الى شالة العتيقة الى التنزه فى حدائقها ثم الرجوع مساء على ظهر الزوارق التي تمخر نهر ابي رقراق .

18) نزهـــة الطلبـــة :

كان الطلبة يخرجون ايام الربيع الى التنزه في الحدائق والبساتين التي تحيط بمدينة الرباط للاستراحة من الدروس .

19) البذلـــة الاوروبيـــة :

حتى قيام الحرب العالمية الثانية كانت الاكثرية من اهل الرباط ترتدي اللباس القومي اي الجلابة والبلغة خارج منازلهم وكان من عدم المروءة المشي ورؤوسهم محسورة لان غطاء الراس بقب الجلابة Capuchon كان علامة على المروءة . وقد شاعت البذلة الاوربية عقب وضع الحرب العالمية اوزارها . غير ان الجلابة عادت الى الظهور في الحفلات الرسمية .

والجدير بالذكر ان الجنود الامريكيين قلبوا عادات واخلاق الشعوب التي نزلوا هم بها راسا على عقب فقد كان اليابانيون لا يعرفون القبلة وانما كانوا يحكون انوفهم بعضهم البعض حتى قيام الحرب العالمية الثانية ولما احتل الامريكان بلاد اليابان تعلم اهل هذه البلاد القبلة منهم وكان امبراطور اليابان الميكادو لا يراه اليابانيون الا لماما فعمل الجنرال الامريكي ماك ارثور على اخراجه ليراه الناس وركب هذا الجنرال على صهوة جواد الامبراطور الابيض ليريهم بان امبراطورهم سليل الشمس المشرقة بشر كالبشر . ومن المعلوم ان الجنود الامريكان هم الذين ادخلوا عادة مضغ «الشوينكوم» الى جميع البلدان التي مروا بها اثناء الحرب العالمية الثانية.

20) الشعـــر المـــزور : Perruque

لم تكن المراة تعرف هذا الشعر المستعار حتى سنة 1957 غير انها بدات تلبسه ولا ترى غضاضة في ذلك بل زهوا وفخارا ورفعة .

21) حلق الرؤوس واللحـــى :

كان اكثرية الشبان والرجال حتى الحرب العالمية الثانية يحلقون رؤوسهم ويعفون لحاهم الا انه عقب هذه الحرب اصبحت الغالبية العظمى تترك شعرها على الطريقة الاوربية وهو ما يطلق عليه اسم « القريزي » وتحلق لحاهم وشواربهم .

22) الجلـــوس في المقاهـــي :

كان الجلوس في المقاهي البلدية حتى حصول المغرب على استقلاله وقفا على اصحاب الحرف والعمال يقضون فيها بعض اوقاتهم للعب باوراق اللعب (الكارطة) والضامة لقتل الوقت اما المقاهي العصرية في الشوارع الاوربية فقد كان يرتادها الاوربيون وبعض الشباب المثقف وكان العلماء يتحاشون الجلوس فيها . وما زالت النساء تعزفن عن الجلوس في هذه الاخيرة وحدهن او مع ازواجهن اللهم الا في السفر فيجلسن فيهن مع ازواجهن للاضطرار .

23) قيـــادة السيارة :

اصبحت المراة بعد الاستقلال تقود السيارة غير انها ما زالت تعرف عن قيادة الدراجة النارية لعجعجة محركها .

24) حفلة حفظ حزب الرحمن وختم القرآن:

كانت العادة الجارية حتى الحرب العالمية الثانية بان يقيم اب الطفل الذي حفظ حزب الرحمن او ختم القرءان حفلة دينية يتناول فيها المدعوون طعام الكسكس وما زال البربر يقولون : ورثنا عن اجدادنا ثلاثة اشياء : لبس البرنس وحلق الرؤوس واكل الكسكس .

25) الضفيـــرة :

كانت بعض الاسر تعمل ضفيرة لطفلها ليطول عمره وهذه الضفيرة تسمى عند العامة بالكرن .

26) زيارة اضرحـة الاولياء والصالحيـن ظهر يوم الجمعة :

كانت المراة لا تخرج الا للغسل في الحمام او لحفلة عائلية او لزيارة اضرحة الاولياء والصالحين ظهر يوم الجمعة لقتل الوقت وللثرثرة مع غيرها ؛ ولما عم السفور اصبحت تخرج بسبب وبغير سبب .

27) العنصـــرة :

كان الاطفال يرشون يوم العنصرة الذي يقع في 24 يونيه الفلاحي المارين بالماء تفاؤلا به لقوله عز وجل في كتابه الحكيم : « وجعلنا من الماء كل شيء حي ».

28) **المصارعة البريئة : (التفويفة) :**

كان الاطفال بشارع الجزاء يذهبون الى حي بوقرون لمصارعة اطفاله مصارعة بريئة لاظهار شجاعتهم وقد اندثرت هذه العادة الرباطية .

29) **الارجوحـــة :**

في ثالث عيد الاضحى تنصب النساء الارجوحات فـي منازلهـــن ليركبـــن عليهـــا منشدات انشودة تسمى بالعروبي

وقد الف الاستاذ محمد الفاسي وزير الثقافة والتعليم الاصلي اخيرا كتابا بالفرنسية في هـــــذا العروبي .

30) **الجلوس فوق سطوح المنازل :**

كانت النساء يجلسن قبل شيوع السفور فوق سطوح منازلهن في الايام المشرقة مساء لشرب القهوة والثرثرة بعضهن البعض .

31) **اللعب بالخـــدروف :** La toupie

كان اطفال كل حي يتبارون كـل مســاء بلعب الخدروف حتى اذان العشاء .

32) **اللعب بالبـــي :** Les billes

وكان اطفال كل زنقة ودرب يلعبــون كـل مساء بالبي وما زالت هذه اللعبة موجودة .

33) **لعبـــة غميضـــة :** Cache-cache

وكانت هذه اللعبة من احب اللعب الى الاطفال، يلعبونها في منازلهم وفي الازقة .

34) **لعبـــة الكـــرة :**

ما زالت هذه اللعبـــة موجـــودة في الازقـــة والدروب وقد توسعت واصبحت تلعبها فرق منظمة في ايام الآحاد بالملاعب الرياضيـــة مقابل اجور .

35) **احسن المهـن :**

كانت المهن التي ينظر اليها الرباطيون بعيـــن الاعتبار حتى ساعة حصول المغرب على استقلاله هي : الكتابة بدار المخزن والوزارة والتوثيق بمحكمة القاضي والباشوية والخلافة والترجمة بادارة الامور الشريفة ومصلحة المحافظة العقارية والخزانة العامة ، والكتابة ، والامانة بالمرسى ودار الضريبة لان الوظائف الاخرى من المصالح العامة كانت مقصورة على الاوربيين ثـم بيع ثياب النساء والرجال بالقيسارية وبيع السكـــر والشاي وبيع الزرابي في البـــازار Bazar وشراء الاملاك العقارية والتدريس بالمدارس العربية الفرنسيـــة Franco-arabe وكسب الماشيـــة واستغلال البساتين خارج اسوار المدينة والدباغة .

36) **اوراق اللعب (الكارطة) ولعبة الدومينو:**

ما زالت لعبة « الكارطة » منتشـــرة ويلعبهـــا الاطفال والشبان والفتيات والرجال والكهول والنساء وتكثر هذه اللعبة في ليالي رمضـــان وفي اماكـــن الاصطياف . اما لعبة الدومينو فهي خاصة بالنساء.

37) **السكنى بالاحياء العصرية :** Le domino

كان الاولاد يسكنون مع آبائهم وامهاتهم حتى بعد زواجهم غير أن سفور المرأة بعد حصول المغـرب على استقلاله وولوج المرأة الوظائف العامـــة بالادارة المغربية اسوة بالرجل عجل بسكنى الزوجين بالفيلات والعمارات التي نزح عنها الاوربيون

38) **ارتياد النساء قاعات السينما والمسرح :**

كان ارتياد قاعات السينما والمسرح حتى الحرب العالمية الثانية وقفا على الرجال . ولما وضعت هـذه الحرب اوزارها وجلبت احدى قاعات السينمـــا بالرباط فيلم يوم سعيد للموسيقار محمد عبد الوهاب دخلته النساء زرافات ووحدانا .

39) **اقتناء الجريدة اليومية :**

كان شراء الجريدة اليومية من عادة الاوربيين غير ان بعض الخواص من الرباطيين كانوا يشترون جريدة السعادة الحكومية وكان الشبـــاب المثقـــف يشتري جريدة ليكو دي ماروك L'Echo du Maroc وقد اصبح شراء الجريدة اليوميـــة بعـــد الحـــرب العالمية الثانية وبعد استقلال البلاد ضربة لازب .

هذه هي بعض عادات وتقاليد واعراف اهـــل الرباط اردنا التعريف بها لانها تسجل مرحلة حاسمة من تاريخ المجتمع الرباطي خلال اربعة عقود (1929 — 1969) . ولكل حاضرة في المغرب عاداتها وتقاليدها واعرافهـــا .

الرباط — عبد القادر القادري

معرض الكتب :



الإمام عبد الحميد بن باديس

الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية

تأليف الدكتور محمد قاسم
عميد كلية دار العلوم بجامعة القاهرة
تقديم وعرض الدكتور الطاهر احمد مكي
أستاذ بكلية الآداب بجامعة الجزائر

خلال العصر الوسيط كان قيام الدول والجماعات ينهض على اساس من الدين وحده ، فعرف البحر الابيض المتوسط – مثلا – ثلاث كتل كبيرة : الاسلام والكاثوليكية ، والمسيحية الشرقية . وكان المرء ينتمي في المقام الاول الى واحدة منها ، فهو اما مسلم ، او كاثوليكي ، او ارثوذكسي . ثم هو في المقام الثاني : بغدادي او مصري او مغربي او اندلسي .

توسكاني او فينيسي او روماني او بروفنسالي او ايبري . ولم يكن المسلم حين يرحل الى اي من بلاد الاسلام يعتبر نفسه اجنبيا ، ولو كان ينتمي اداريا وسياسيا الى كتلة مستقلة ، ومن ثم ظل الخط الفكري للحضارة الاسلامية واحدا ، حيثما وجد المسجد ، وحفظ القرءان ، وارتفع صوت المؤذن « بلا اله الا الله » .

وما كاد العالم الاسلامي يتجاوز حدود القرن العاشر الميلادي فى مهابة وجلال ، حتى بدا وكأنه يستريح على القمة ، وامتدت راحته لقرون طويلة ، أصابه خلالها الترهل ، فخبا وهجه ، وتثقلت خطاه ، وانكفأ على امسه ، يعيد امجاده الماضية ، دون ان يضيف اليها جديدا فى مجال الخلق والابداع . وعندما تدفقت في شرايينه دماء آل عثمان الفتية ، لم تجد منه غير القوة المادية ، قوة لم يلبث الجهل ان بددها فيما لا يفيد . ثم تحول صانعو القوة انفسهم الى عبء آخر ينوء به الاسلام . وفيما العالم الاسلامي ينسى من ابداعه كل ما هو مضيء ومشرق وملهم ، عكفت اوربا عليه ، تدرسه وتطوره وتفيد منه، فكان لها ما عرف باسم النهضة ، ومع النهضة كانت القوميات ، فتحولت الكاثوليكية والمسيحية الشرقية الى دول عديدة ، تتنافس فيما بينها وتتقاتل ، واحتل عندهم الوطن المكانة الاولى ، يجيء الدين بعدها فى الترتيب والاهمية .

اما العالم الاسلامي فلم يعرف فكرة القومية حتى مطلع هذا القرن ، ولم تتبلور فيه على نحو واضح الا بعد الحرب الثانية ، وكان المبشرون بها فى الايام الاولى هم اللائذون بالقاهرة من عرب الشام مسلمين ومسيحيين هربا من ملاحقة الحكم التركي . وكان صداها فى مصر المحتله متواضعا ، لان تحريرها شغل الجانب الاوفر من اهتمام ساستها . فلما وقعت معاهدة 1926 وحصلت مصر بموجبها على استقلالها المحدود عمليا ، عقد فى القاهرة بعد ذلك بعامين اول مؤتمر برلماني عربي للدفاع عن قضية فلسطين ، ومن اجل فلسطين نفسها سافر وزير الخارجية المصرية فى نفس العام الى لندن ليشرح للانجليز وجهة نظر العرب بعامة ، ومصر بخاصة ، فيما يتصل بتطورات الوضع فى الوطن الجار والشقيق . ثم شاركت فى مؤتمر المائدة المستديرة الذى عقد فى لندن عام 1929 بوفد راسه الامير محمد عبد المنعم ، وكان من اعضائه البارزين علي ماهر وعبد الرحمان عزام . ثم اندلعت الحرب العالمية الثانية ، ومعها

تحول العالم الاسلامي والعربي، في مجمله، الى مناطق يحتلها الحلفاء، ويديرونها لصالح حربهم وحدها .

حتى هذه اللحظة كان اهتمام مصر الغالب ذا وجهة اسلامية خالصة، ففيها الازهر بكل ثقله وتاريخه، وبها لاذت الثقافة الاسلامية هربا من جحافل التتار، وحين بدا ان مراكز الحضارة الاسلامية المتعددة تذبل مشعلا وراء آخر، بقيت القاهرة تحمل قبسا منه، كان ضوؤها خافتا وشاحبا، لكنه لم ينطفيء على أي حال. وبجوار هذا التيار الغالب دس الاستعمار – في مصر – كما دس في غيرها من اقطار العالم العربي – فكرة الفرعونية تارة، ومصر اللاتينية تارة اخرى، قام على بثها اذنابه وتلاميذه وصنائعه، لكن الاصالة المصرية كانت اقوى من ذلك كله، فانكشف امرها بعد قليل، وانفض عنها من خدع بها، وارتد عنها من كانوا بها مبشرين .

وبدا تيار العروبة يقوى الى جانب التيار الاسلامي، والعرب دائما، وفي اطار اية دعوة اسلامية خالصة، يحظون بالرعاية والتقدير، انهم فيما يقول عمر رضي الله عنه: « مادة الاسلام الاولى » !

لم يكن ثمة تناقض اذن بين دعوة مصر العربية ورسالتها الاسلامية، بل انها في مجال الدعوة العربية اعطت القومية العربية سمتها الجديدة، حين تجاوزت بها حدود الهلال الخصيب، ودفعت بها الى حيث تتكلم العربية، ويتشابه الوجدان العربي، وتتلاقى آمال الناس وآلامهم. وبهذا الايمان استقبلت القاهرة ذات يوم من عام 1946 مفتي فلسطين الاكبر الحاج أمين الحسيني يهبطها مستجيرا، تلاحقه قوى الحلفاء المنتصرة، وتتعقبه شراذم الصهيونية الباغية فآوته ووقفت دونه، رغم ان على ارضها نصف مليون من جنود الاحتلال. وانطلاقا من هذه الفكرة، وبعد ذلك بعام واحد، كان الامير عبد الكريم الخطابي، احد ابطال النضال المغربي، في طريقه من منفاه الاسيوي الى منفاه الاوربي، فلم تكد الباخرة التي تقله تبلغ مرفأ السويس، حتى صعد اليه محافظ المدينة ليرحب به، ويحيي في شخصه كفاح المغرب الشقيق، وليقول له: ان الحكومة المصرية يسرها ان يتخذ من ارضها وطنا ثانيا، وتعد بتقديم الحماية اللازمة له، وبعد ذلك بخمس ساعات كانت مدينة بور سعيد تتأهب لاستقبال مناضل مغربي، يفلت هاربا من قيود الاسر والاعتقال .

كلا الاتجاهين في مصر – العربي والاسلامي – كان يولي وجهه شطر المغرب العربي متابعا احداثه :

هناك الجامعة العربية وعلى راسها عبد الرحمن عزام امينها العام، مناضل مصري، كافح في اكثر من بلد عربي، شارك مقاتلا في اكثر من معركة حربية. وهناك مكتب المغرب العربي، يتلاقى فيه زعماء المغرب باقطاره الثلاثة، يخططون لتحرير بلادهم، والتعريف بقضاياها على الصعيدين العربي والدولي. وهناك الجمعيات الاسلامية ايضا، فالشيخ الخضر حسين، وهو تونسي، يراس جمعية الهداية الاسلامية، ويشرف على مجلتها، وعضو في المجمع اللغوي، ثم اصبح شيخا للجامع الازهر. والشيخ البشير الابراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين في الجزائر يحاضر في جمعية الشبان المسلمين، مذكرا بما يجري في الجزائر. وكان قسم الاتصال بالعالم الاسلامي في جماعة الاخوان المسلمين اشد هذه الجمعيات نشاطا وحركة، ومعرفة بما يجري خارج حدود مصر، ومن ابرز العاملين فيه الاستاذ الفضيل الورتلاني، جزائري من تلاميذ الامام ابن باديس، خطيب موهوب، ومسلم مجدد، وعلى نحو ما يصغي العالم العربي كله الآن لام كلثوم اذا غنت، كانت القاهرة كلها تتحرك الى حيث يخطب الفضيل الورتلاني او يتحدث. ثم اندلعت ثورة الجزائر المسلحة، فشغلت الفكر العربي باحداثها وانتصاراتها، ولم يعد احد يفكر فيما كان قبلها، فقد فرض الحاضر بامجاده واقعه على الناس، واستأثر باهتمامهم، واقتضت ظروف الحرب واهوالها أن يتم كل شيء، او الشيء الرائع المجيد على الاقل، في الخفاء والكتمان ! .

وجاءت معجزة الانتصار، بعد تضحيات مروعة لم تقدمها امة من قبل، والعالم العربي لا يعرف غير القليل عن تفصيلات المعارك الحربية، والقليل جدا عن نضال ما قبل الحرب، وباستقلال الجزائر انهارت الاسوار العالية، وتمزقت الحجب الكثيفة التي تفصل بين مغرب العرب ومشرقهم. وبدات طلائع المثقفين المشارقة تاتي الى الجزائر، مدعوة او مرسلة او باحثة، ادباء وصحفيين واساتذة، ثم عادوا الى اوطانهم، فوقف بعضهم عن المشاهد الحاضرة، او قنع بالمعرفة العاجلة، او لاذ بالصمت العميق. وقلة من المشارقة، او هو واحد فيما اعلم، جاء الجزائر مدعوا، فوقف عند احداثها متاملا مستقصيا، ثم

متابعا دارسا ، وكان هذا الواحد هو الدكتور محمود قاسم عميد كلية دار العلوم في جامعة القاهرة .

اعلم أن المقدمة طالت ، على غير العادة في التعريف بالكتب والآثار ، ولكنها فيما اتصور ، كانت ضرورية لوضع الكتاب في اطاره من الوقائع والاحداث . لقد جاء المؤلف الى الجزائر في ربيع عام 1966 ، بدعوة من الحكومة الجزائرية ، ليحاضر في الفلسفة الاسلامية ، وبقي بها شهرين ، طاف خلالهما بالوطن الجزائري ، وحاضر في كبريات المدن .

وكان يمكن ان يقف ، كغيره ، عند الحديث عن قضايا الفلسفة ، وهو كل ما اريد منه ، ولكنه ببصيرة نافذة، وحس رهيف ، تجاوز مهمة الاستاذ المحاضر ، ليكون الباحث الدارس ، وليكتب عن شخصية لم يهيأ لها من يدرسها بعد ، ولئن كانت مصر في الاربعينيات تعرف شيئا عن الامام ابن باديس ، فان مصر الخمسينيات لم تكن تعرف عنه شيئا ، اذا استثنينا افرادا معدودين .

جمع الدكتور قاسم ما استطاع من النصوص والآثار عن ابن باديس ، وفي ذهنه ان يعيد الكرة ، ليضيف الى ما جمع جديدا ، وليتهيأ لدراسة جامعة، ذات عمق وابعاد ، يتمثلها متمهلا ، ويعايش احداثها مترويا ،فيأتي الكتاب ابداعافردا في عالم الفكر .

لكن القاهرة النهمة الى المعرفة دائما ، السباقة الى كل جديد ، احست بما يحمل الدكتور قاسم في عقله ووجدانه ، حين كان يهمس بأفكاره الى اصدقائه وطلابه ، فاذا بدار المعارف ، كبرى دور النشر في العالم العربي ، تلح عليه وتسرف في الالحاح ، وتستعجله ان يكتب لها دراسة سريعة عجلة ، ترضي اولئكم المتطلعين لان يعرفوا شيئا ، ولو قليلا عن الامام الجليل ، ونزل عند رغبة دار المعارف ، وفي عزمه ان تكون هذه العجالة طريقه الى الدراسة المستفيضة ، « ارجو أن يغفر لي اصدقائي الجزائريون انني ربما لم أوف بما وعدت من كتابة مفصلة عن ابن باديس ، ولعلي أعود مرة اخرى لافصل ما أوجزت » .

تتبع المؤلف في الفصل الاول من دراسته حياة ابن باديس ، منذ جاء الى الحياة بقسنطينة ، في الخامس من ديسمبر عام 1889 ، الى أن لقي الله مرضيا في السادس عشر من شهر ابريل عام 1940، متتبعا روافده الاسرية ، فهو ينتمي الى اسرة ترجع اصولها الى المعز بن باديس الصنهاجي ، مؤسس الدولة الصنهاجية الاولى التي خلفت الاغالبة على مملكة القيروان . وقد تميزت بالعلم ، وعرفت بالثراء ، وهو ثراء كان اول دعائمه في طريق الحرية الطويل ، لانه واجه الحياة منذ اللحظات الاولى متحررا من الحاجة الى طلب الوظيفة في ظل الادارة الفرنسية . لا تستلذ له لقمة العيش ، وما به من حاجة لان يحاور او يداور حفاظا عليها . وادرك شيخه حمدان الونيسي ما يمكن ان يرجى للجزائر من عالم هذه حاله ، عراقة اصل ، وسعة عيش ، الى ذكاء لماح واشارات واعدة ، فاخذ عليه عهدا الا يعمل في الحكومة ، حتى يتفرغ لخدمة دينه وامته بعيدا عن كل تاثير خارجي قد يفسد عليه حكمه ، او يبعده عن غايته ، فيميل به عن جانب الحق . ونفذ ابن باديس العهد ، وطبقه مع من كان يتوسم فيه الخير من تلاميذه .

ويتناول المؤلف التكوين الثقافي للامام ، ويصحبه في رحلته طالبا ، في التاسعة عشرة من عمره ، الى جامعة الزيتونة ، عام 1908 ، بعد ان ارتحل شيخه حمدان الونيسي الى الحجاز . ويتتلمذ هناك على الشيخ محمد النخلي ، والشيخ طاهر بن عاشور ، وكان اثر الاول في نفسه عظيما . لكنه لم يرض عن النهج الذي تتبعه جامعة الزيتونة في تدريس العلوم الاسلامية ، وينعى عليهم انهم يتركون اللباب من اجل القشور ، ويغرقون في بحار من الجدل والتشعيب تنسيهم اصالة الفكر الاسلامي . وفي عام 1912 اتجه الى الحجاز لاداء فريضة الحج . ولقي هناك شيخه حمدان الونيسي ، وغيره من علماء مصر والشام ، وتتلمذ على الشيخ حسين احمد الهندي ، ومعه تفتحت نفسه المتوثبة لتيار الحركة السلفية ، وكانت في ابان ازدهارها . ويشير عليه الاول ان يبقى في المدينة ، وينصحه الثاني بأن يعود الى الجزائر ليعمل ، فلا خير في علم ليس بعده عمل ، وارتضى الامام الثانية فعاد ، وقد رجع بذاكرته الى احداث هذه القصة بعد اعوام طويلة ، فذكرها يوم الاحتفال بافتتاح دار الحديث في تلمسان ، في خريف 1927، ثم عقب عليها : « ورجعنا الى الوطن بقصد خدمته ، فنحن لا نهاجر ، نحن حراس الاسلام والعربية والقومية .. في هذا الوطن »

وفي عام 1926 اصدر الشيخ الامام جريدة « المنتقد » ، لتكون وسيلته للتعبير عن دعوته الاصلاحية في مجال اوسع ، ولكن الادارة الفرنسية

ما لبثت ان تنبهت الى خطرها فعطلتها بعد ان صدر منها ثمانية عشر عددا . فأسرع الشيخ الامام الى اصدار جريدة « الشهاب » مستفيدا من التجربة الاولى ، فسار على منهجه الاصلاحي مع اصطناع نوع من المرونة السياسية ، وبذلك استطاع ان يبقى عليها ما بقي حيا ، ولم تتوقف عن الصدور الا عند انتقاله الى الرفيق الاعلى عام 1940 .

كانت جريدة «الشهاب» اسبوعية فى بدء نشرها ، ثم غدت شهرية ، وتعد سجلا حافلا لتاريخ الجزائر ونهضتها الحديثة ، فيما بين الحربين الاولى والثانية ، واختص الشيخ ابن باديس بالكتابة فى القسمين الديني والعلمي ، وحوت بعض دروسه تفسير القرءان ، واسماها « مجالس التذكير » ، وشرح الاحاديث ، وكان يطبق شروحه على الواقع الجزائري فى مهارة فائقة ، وكان يعاونه فيها عدد من زملائه واصدقائه وتلاميذه ، فاختص — مثلا — الاستاذ احمد توفيق المدني بالكتابة عن المجتمع الجزائري والشهر السياسي .

وأصدر الشيخ صحفا اخرى ، كالشريعة والسنة المحمدية والصراط ، لم تعمر طويلا . فقد حرص الاستعمار على تعطيلها بمجرد ادراكه لشدة خطورتها ، وعظيم تاثيرها فى النفوس .

فى عام 1920 كانت فرنسا فى الجزائر تتهيا للاحتفال بالعيد المئوي لاحتلالها ، واخذت الادارة الفرنسية اهبتها لكي يدوم الاحتفال ستة اشهر كاملة . وبدت رغبة المستعمرين واضحة فى اذلال الوطنيين ، وبلغ الغرور المريض بالكاردينال « لافيجري » حدا لا نهاية بعده ، فقال في تلك الاحتفالات : « ان عهد الهلال فى الجزائر قد غبر ، وان عهد الصليب قد بدا ، وانه سيستمر الى الابد » .

لكن ابن باديس ورفاقه افسدوا عليهم هذه الاحتفالات فلم تدم غير شهرين ، واتخذوا منها نقطة انطلاق لجمع الشعب حولهم . وما لبث العلماء ان اجتمعوا فى نادي الترقي بالعاصمة ، فى الخامس من شهر مايو عام 1921 ، واسسوا جمعية العلماء المسلمين ، وانتخبوا ابن باديس رئيسا لها فى غيبته ، ووضع الشيخ البشير الابراهيمي قانونها الاساسي على قواعد من العلم والدين ، لا تثير شكا ولا تخيف . وجاء فى قانونها انها انما اسست تبعا لنظام وقواعد الجمعيات المبينة بالقانون الفرنسي المؤرخ بغرة يوليو 1901 ، وانه لا يسوغ لها بحال ان تخوض وتتداخل في الامور السياسية . ولم يكن ذلك فى الحق الا ستارا رقيقا ، فقد خاضت الجمعية منذ نشأتها فى خضم السياسة ، عندما اعتزمت القيام بحملة لاصلاح الطرق الصوفية ، ولانشاء المدارس العربية فى مدن الجزائر وقراها ، وتمجيد الاسلام وقد اراد الفرنسيون اذلاله ، والدعوة الى الاخوة بين جميع المسلمين توحيدا لكلمتهم امام الغاصب ، والمناداة بالكرامة البشرية والحقوق الانسانية بين جميع الاجناس والالوان ، وتمجيد العقل وفكه من اساره .

وبدات الجمعية عملها . انشات المدارس فى بقاع الجزائر، وارسلت الوعاظ يجوبون المدن والقرى ، وكانوا يعرفون جيدا ماذا يصنعون ، وصادفت هذه البعثات فى طريقها عقبات ومشقات ، وتحملت من العذاب الوانا ، فواجهت كل هذه المخاطر برباطة جاش ، وصبر عظيم ، وايمان قوي . وكان انتشار الوعي الديني اشد ماتخافه الادارة الاستعمارية فاسرعت بتعطيل هذه المدارس ، وزجت بمدرسيها فى السجون ، واصدر سكرتير الامن العام فى الجزائر « ميشيل » عام 1922 تعليمات مشددة ، تقضي « بمراقبة العلماء مراقبة دقيقة » ، وحرم فى هذه التعليمات على غير الامام او المفتي المعين من قبل الادارة الفرنسية ان يخطب فى الجامع. ولكي يشرف على تنفيذ هذه الاوامر بدقة عين نفسه رئيسا للمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، وكان رد الجزائريين على فعلته عنيفا ، فانضموا بعدها الى الجمعية فى اعداد كبيرة .

وعندما لوح ليون بلوم بمشروع عام 1926،ورأى فيه بعض الساسة انه افضل الطرق لانقاذ الكيان الجزائري ، واستخلاص الحقوق السياسية للمواطنين العرب ، عن طريق ادماجهم تدريجيا فى فرنسا ، لتنتقل الجزائر من مرتبة المستعمرة الى مرتبة المقاطعة ، وقف ابن باديس فى وجه المشروع ، ولاحباطه دعا الى عقد مؤتمر اسلامي فى السابع من يونية لعام 1926 ، حضره عدد من العلماء بصفتهم الشخصية ، بينهم ابن باديس ، والطيب العقبي ، والبشير الابراهيمي ، ووجهوا قرارات المؤتمر لكي تتضمن طلب الاعتراف بالشخصية بالاسلامية لعربية للجزائر . وظن قادة المؤتمر انهم حققوا الوحدة الفكرية الضرورية للمطالبة بحقوق الجزائر ،

فسافر وفد منهم الى باريس فى 18 يولية 1926 ؛ ومن بينهم ابن باديس نفسه ، ولقيهم الوزير الفرنسي « دلادييه » فاخذ يهددهم ويذكرهم بقوة فرنسا ، وبمدافعها البعيدة المدى قائلا : « ان لدى فرنسا مدافع طويلة !.. » فرد عليه ابن باديس : « ولدى الجزائر مدافع اطول منها ! .. » وسأل «دلادييه» عن امر هذه المدافع ، فاجابه ابن باديس جادا : « انها مدافع الله ! » .

يحاول المؤلف فى الفصل الثاني من الكتاب ان يتلمس منهج الشيخ الامام فى الاصلاح ، ويجمل صفاته وما اتصف به من سجايا ، ويجملها فى قوله : « انه كان من السهل الممتنع » . ينفر من التزمت ، ويأسر القلوب بتواضعه ومودته ، ويعامل تلاميذه كابنائه ، ويفتح باب التوبة واسعا عريضا امام الضالين ، ويبث التفاؤل بين المواطنين حتى لا ييأسوا من محدآت تتخبط به احشاء الايام ، ويزداد ايمانهم ثباتا باقتراب ساعة الخلاص من المحنة .

ويحاول الامام ان يتلمس اسباب التدهور الاسلامي بعامة ، اذ كان العالم الاسلامي على ايامه مستعمرا ، الا اطارف منسية او غير ذات فائدة المستعمرين ، وما اروعه من عالم خبير بالدرس أو الفطرة ، او بهما معا ، وهو يرد ذلك الى النظام الاستبدادي الذي يحكمون به ، اسلاميا كان أم غير اسلامي ، مهما كان مذهب الحكام او لونهم ، ويرجعه الى ضعف الروح الديني عندهم ، ثم تخاذل رجال الدين وسكوتهم وتقصيرهم في القيام بواجبهم ،الذي يقضي عليهم بمقاومة المستبدين ، وتعليم الجاهلين .

ويدعوهم الى ان ينفخوا فى قلوب المسلمين : « روح الاجتماع » الشوري فى كل ما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم حتى لا يستبد بهم مستبد » .

اراد الاستعمار ان يحاصر الجزائر بمحو شخصيتها العربية الاسلامية ، فحاصره ابن باديس بالجزائر العربية المسلمة ، وقدر لمبدأ الشيخ الامام ان يؤتي ثماره ، فتحققت المعجزة ، وانتصرت الجزائر . وكانت الاسلحة السهلة القاطعة التى استخدمها فى دعوته تنهض على اساس من عدم الفصل بين النظرية والتطبيق ، بين العقيدة والعمل ، او كما يقال فى لغة المحدثين بين المبدا والسلوك .

وتتحقق هذه المطابقة بين الظاهر والباطن عند الفرد والجماعة فى القيام بشريعة الاسلام علما وعملا فى العبادات والمعاملات ، وتطبيقها على الحياة الخاصة والعامة .

فى الفصل الثالث يتناول الدارس الفكر السياسي للامام ، وابن باديس لم يكن عالما مصلحا فحسب ، وانما كان مناضلا سياسيا ايضا ، وكان يشرح من النصوص الدينية ما يساعده على توضيح وتركيز عدم مشروعية الحكم الفرنسي فى الجزائر : « اذ لا حق لاحد فى ولاية امر من أمور الامة الاسلامية الابتولية الامة ، فالامة هي صاحبة الحق والسلطة فى الولاية والعزل ، فلا يتولى احد امرها الا برضاها » .

ويضع الكفاءة فى درجة تسبق الصلاح فى مجال العمل السياسي ، « فالذى يتولى امرا من امور الامة هو اكفؤها فيه لا خيرها فى سلوكه » . ويتخذ من شرح خطبة ابي بكر الصديق حين ولى الخلافة مناسبة موائية ليتحدث عن حق الامة فى مراقبة ولي الامر ، وتوليته وعزله ، ونصحه وارشاده ومحاسبته . وان « لا تحكم الامة الا بقانون رضيته لنفسها وعرفت فيه فائدتها » . وان الناس كلهم امام القانون سواء .

كان يتحدث عن الوطن الجزائري والاستعمار العالمي فى اوجه ، وسطوة فرنسا على الجزائر وغيرها غالبة قاهرة ، وفرنسة الجزائر طابعا وواقعا وقانونا هدف مكشوف ، وتنخدع بالدعوة قلة رقيقة الدين ، فينبري الشيخ الامام ويرد عليهم صريحا قاطعا : « هذه الامة الجزائرية الاسلامية ليست هي فرنسا ، ولا يمكن ان تكون فرنسا ، ولا تستطيع ان تصير فرنسا ولو ارادت ، بل هي امة بعيدة عن فرنسا كل البعد ، فى لغتها ، وفى اخلاقها ، وفى عنصرها ، وفى دينها ، ولا تريد ان تندمج . ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدود الحالية المعروفة » .

لقد نفخ ابن باديس فى روح مواطنيه الشعور بالكرامة ، فاطلق لسانهم بعد حبسة ، واتاح لهم ان ينتقدوا دولة الباطل فى جراة ، وتحول معه الفكر الجزائري تحولا عميقا ، وانضحت المفاهيم الدينية ، وغرس فى النفوس ان الولاء الاول انما ينبغي أن يكون للجزائر ، وجعل تعلم اللغة العربية والتربية الدينية امرا لا يتصل بحزب خاص أو جمعية دينية ،

انما تلتقي عندهما الامة جمعاء ، تختلف في كل شيء وتتفق عليهما » .

واذا كان مؤلف الكتاب فيلسوفا ، بل هو شيخ الفلاسفة المسلمين في عصرنا الحاضر ، صاحب مدرسة ومنهج ورواد وطلاب ، يجمع في ثقافته بين اصالة القديم ومنهجية الحديث ، فليس بغريب ان يدرس في الفصل الرابع الشيخ الامام فيلسوفا ، ويمهد له بان الامام ابن باديس لم ينشيء « مذهبا فيلسوفا على نحو ما نعلمه من المذاهب الفلسفية لدى اليونان أو المسلمين او فلاسفة العصر الحديث ، ولم يرد قط ان يشيد بناء فكريا يرتكز على عدد قل او كثر من الفروض الفلسفية ، التي قد تتجانس او تتنافر فيما بينها الى حد كبير او قليل ، بل زاوج بين النظرية والتطبيق على نحو لم نشهده لدى كبار الفلاسفة في القديم او الحديث . ولا نريد بذلك ان نعلو به على الفلاسفة ، ولكن نريد ان نحدد له مكانا خاصا فريدا بينهم ، وفي اعتقادنا – اي اعتقاد المؤلف – ان هذه المزاوجة بين النظرية والتطبيق هي التي حققت له آماله في احياء الامة الجزائرية ، وهي غاية ربما لم يدركها كثير من اصحاب المذاهب الفلسفية لدى اليونان والمسلمين والمحدثين .

كان مذهب الشيخ الامام يقوم على محاولة احياء القرءان في قلوب مسلمي الجزائر، حتى يبعثهم الى الحياة بدورهم ، واحياء القرءان يكون بتفسيره وفقا لمنهج السلف ، وبذلك تخلص العقائد من الاوهام والاباطيل التي شوهتها ، وجعلت الدين يبدو في نظر كثير من المؤمنين كما لو كان مضادا للعقل . وكان برما بأساليب المفسرين لما يدخلونه من تأويلات جدلية مذهبية في كلام الله ، حتى ضاق صدره بسبب الخلاف فيما لا اختلاف فيه ، فذاكر يوما الشيخ النخيلي ، فيما يجده في نفسه من التبرم والقلق ، فقال له : اجعل ذهنك مصفاة لهذه الاساليب المعقدة ، وهذه الاقوال المختلفة ، والآراء المضطربة ، ليسقط الساقط ، ويبقى الصحيح ، وتستريح . وقد التزم الشيخ بهذا المنهج ، وعلى هدى منه فسر القرآن كله، على امتداد خمس وعشرين سنة ،واحتفلت الجزائر بختمه لتفسير القرءان احتفالا قوميا في قسنطينة في عام 1928 .

وكانت له نظرات اخلاقية صادقة ، اجاد استنباطها من القرءان في يسر ، ودون اصطلاحات فلسفية معقدة ، فهو يربط صلاح الفرد بصلاح المجتمع ، ويرى أن الاسلام دين تفاؤل ومستقبل ، فلا يأس ولا قنوط . ويعلي من شأن العلم ، لان العلم الصحيح والخلق المتين اصلان ينبني عليهما كمال الانسان . ولما كان الدين يدعو الى العقل ، فمن واجب العقل ان ينسق معلوماته ، ويصحح ادراكه لحقائقها ونسبها حتى تكثر اكتشافاته في عالمي المحسوس والمعقول . وان العلم هو وحده الامام المتبع في الحياة ، في الاقوال والافعال والاعتقادات . ولتاصيل هذه الفلسفة شغل نفسه بمحاربة كل ما يخالفها ، جاعلا نصب عينيه تحرير العقيدة الاسلامية من الشرك الخفي او الصريح ، ويعني بالشرك الخفي أولئكم الذين جعلوا لانفسهم اولياء من دون الله، يسألونهم جلب الخير ودفع الضر ، ويحببون الى الناس التواكل ، وينكرون عليهم حرية الارادة ، وكادوا يجردونهم من قيمهم الانسانية ، ومكن لهم المستعمر من الحياة ليمكنوا له من البطش بمواطنيهم . وبلغ نجاح الامام وصحبه حدا دفع الصحف الفرنسية في الجزائر الى الثورة عليهم ، لانهم فيما ترى ، يبذلون الجهد في هدم سلطان المرابطين ، (اسم اطلقه رجال الطرق المتعاونين مع الاستعمار الفرنسي في الجزائر على انفسهم) وسحق مذهبهم بآيات من القرءان ، ويهزمونهم في كل مجال بما يقتبسونه من احاديث الرسول مما يجهله خصومهم كل الجهل ، ويتهمونهم بانهم خونة للاسلام ، واعداء للمسلمين ، وهم يحاربون تعليم البنات والبنين في المدارس الفرنسية ، ونجحوا في حمل الناس على البراءة من مواطنيهم الذين قبلوا ان يعدوا من الفرنسيين ، وامتنعوا عن دفنهم في مقابر المسلمين » .

ونتيجة لدراسة الفصل الرابع ، خصص الفصل التالي لدراسة مقارنة بين ثلاثة من كبار العلماء المسلمين : ابن رشد والماتريدي وابن باديس . درس فيها المؤلف فكرة السببية عن الاخير وصلتها بالقضاء والقدر ، وتكشف له أن الامام ابن باديس كان من أنصار الفكرة العلمية الحديثة ، التي تقول بأن نظام الكون مطرد وعام ،والتي يطلق عليها المناطقة المحدثون اسم مبدأ « الحتمية في الطبيعة » ، وهو أساس التقدم العلمي في العصر الراهن . وليس في الاعتماد على الله ما يتعارض مع حثه على البحث والعمل ، ولا في الايمان به ما يتعارض وفكرة السببية .

ويزيد المؤلف القول تفصيلا حين يعقب راي ابن باديس براي ابن رشد ، وهو حجة فى مذهبه وتراثه ، واذا لم تخن الذاكرة كان كبير الفلاسفة فى العصر الوسيط موضوع رسالته لدرجة الدكتوراه فى جامعة السوربون منذ ربع قرن من الزمان. فيرى ان ابن رشد هو اول من حدد فكرة القانون العلمي تحديدا واضحا ، واذن فليس بصحيح ما قاله هنري بوانكاريه من ان فكرة القانون العلمي من احدث المكتشفات العلمية . ثم يناقش فكرة فيلسوف الاندلس فى القضاء والقدر ، ليخلص من دراسته الى وجود اتفاق تام بينه وبين ابن باديس ، مع وجود فارق هام ، وهو ان ابن باديس يبرز الناحية الاخلاقية اكثر مما فعل ابن رشد ، وهو اكثر الحاحا فى ضرورة الفرار الى الله . ويرد ذلك الى امرين : اولهما اختلاف طبيعة كل منهما ، وآخرهما ، وهو الاهم ، ان ابن رشد عاش فى حضارة اسلامية مدبرة ، وابن باديس عاش حضارة اسلامية مقبلة ، وربما فسر هذا الطابع العقلي الصارم عند الاول ، والتفاؤل المؤمن المستبشر عند الثاني .

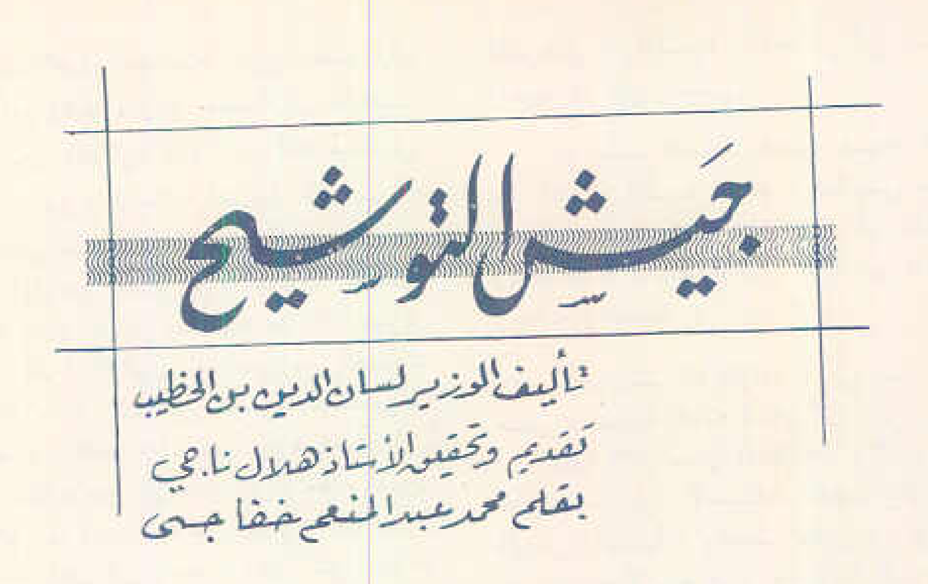
ويترك القضاء والقدر الى حرية الارادة ، والحسن والقبح ، او الخير والشر ، بلغة علماء الكلام ، يعرض لوجهات النظر عند متكلم من المشرق هو الماتريدي ، وفيلسوف الاندلس ابن رشد ، وامام من المغرب هو ابن باديس .

ثم يختم الكتاب بفصل ضمنه نصوصا مختارة من كتابات الشيخ الامام ، تعكس صورة فكره ، وتحدد ملامح منهجه ، وتضع فى متناول القارىء روائع بيانه ، وتجمع بين شيء من تفسيره وفتاواه وخطبه وتنظيمه .

لقد رسم لنا المؤلف ، فى فكر واضح واسلوب سهل ، صورة كاملة لامام كان النور الهادي لقومه ، ايام ظلمة الاستعمار الحالكة ، والامل المطمئن المبشر ، حين كانت قوة الاستبداد تذهب بكل رجاء ، وتشيع الياس والخيبة ، وتقنط الناس من يوم عظيم لم يبعد به التاريخ الا ربع قرن بعد وفاة الامام . وما اقصرها من فترة فى حياة الشعوب !

انه الكتاب الاول ، ولا يزال الوحيد ، يحاول به عالم مشرقي ان يدرس اماما مغربيا مجددا ، كان امة وحده . وفى انتظار ما وعد به ، من دراسة متخصصة ، يبسط فيها ما اوجز ، ويأتي على ما اجتزأ ، وعظماء الرجال مناجم ثرة ، كلما اوغلت فيها اكتشفت جديدا ، وظفرت بخير كثير .

مالقة ــ الاندلس : الدكتور الطاهر احمد مكي



- 1 -

في اسلوب شعري مؤثر رفيع يحدثنا الاديب العراقي الكبير هلال ناجي عن قصته مع لسان الدين بن الخطيب الوزير (713 – 776 هـ) وكتابه « جيش التوشيح » ، وذلك في آخر مقدماته التي صدر بها هذا الكتاب (صفحة اب ، اج ، ا د) ، وتحت عنوان : « كيف ولد المشروع » ، فيقول فيما يقول :

أ – « الفجر في لوشة (1) يفتق ازراره ، ويشق حجبه واستاره ، والزمن ليلة من خريف عام 1963 ، وعربي من اقصى المشرق من عراق العرب ، كان آنذاك ممثلا دبلوماسيا لوطنه في اسبانيا، قد استعصى عليه النوم، لقد امضى الليل كله وهو يبحر في شعر لسان الدين بن الخطيب وموشحاته ، فلما آذن الليل بالرحيل وانطفأ بريق آخر كوكبة من نجومه، كان خيال ابن الخطيب يطوف به من كل ناحية ، ورقيق من موشحاته آت من البعيد البعيد ، عبر الزمن ، وعبر المحن ، يذوب في مسمعه ، ويندلح في قلبه معا وفي تلك اللحظات ولدت فكرة البحث عن « جيش التوشيح » وتحقيقه ونشره » .

ب – « الربيع في المغرب يبسط ظله الوارف في كل مكان ، والزمن عصر يوم من مارس 1967 وانا واقف على قبر ابن الخطيب عند باب المحروق في فاس ، وكان البحث قبل ذلك قد يسر لي الظفر بنسخة خاصة من « جيش التوشيح » ، قطعت مرحلة في تحقيقها ، ولقد كان يراودني امل في ان اظفر بنسخة اخرى من الكتاب ، ضمن كنوز مخطوطات القصر الملكي بالرباط التي كانت قيد الفهرسة .. فلما قرات الفاتحة على قبره خيل الي ان ابن الخطيب قد اطل من وراء الحجب ، وان ابتسامة سرور وعرفان لاحت على وجهه ، فلما عدت الى تونس بذلت جهدا ضخما متواصلا ، حتى تعود نسخة الزيتونة المستعارة الى موضعها فنفيد منها » .

وهكذا كان هذا الحب للتراث ، والجهد في البحث عنه والجد في نشره ، هو آية من الآيات في هذا الزمن ، وعند اديبنا الكبير هلال ناجي ، ومن منا الذي يقرأ هذا الاسلوب الرفيع – الذي يصور فيه هلال حياته مع لسان الدين وكتابه تصويرا مؤثرا رفافا – ثم لا يبكي ولا يعيش بقلبه وروحه مع هلال ورحلته الطويلة مع «جيش التوشيح» .

- 2 -

ولقد يسر البحث الدؤوب الجاد لاديبنا هلال ناجي نسختين مخطوطتين من الكتاب ، الذي كان يعد بمثابة المفقود .

---

(1) لوشة : احدى منابت المجد العربية في الاندلس ، انها قرية صغيرة ، تقع على مسافة 55 كلم غربي غرناطة ، بها ولد لسان الدين بن الخطيب عام 713 هـ .

الاولى : مخطوطه حسن حسني عبد الوهاب ، وعدد ورقاتها 63 ، اي 126 صفحة ، وهذه النسخة مكتوبة بخط مغربي دقيق قديم ، يعود الى ما قبل اربعة قرون .

والنسخة الثانية : مخطوطة الزيتونة المحفوظة فى الاحمدية برقم 4583 وعدد صفحاتها 110 صفحة ، وهي منسوخة على الاغلب فى اوائل القرن الثالث عشر الهجري ، وقد اوقفها احمد باي على الجامع الاعظم — الزيتونة — عام 1257 هـ .

ومن كلتا النسختين افاد هلال ناجي فى المراجعة والتحقيق ، حيث اثبت مواضع الخلاف بين النسختين فى جدول مستقل ، واثبت التعليقات فى آخر الكتاب .

اما خطته فى التحقيق فقد تحدث عنها فى المقدمة بتفصيل ، فقد قام صديقه محمد بن ماضور بقراءة مخطوطة حسن حسني عبد الوهاب ، وفك غوامضها ، ثم املاها على كاتب كتبها نظرا لدقة خطها المغربي وكثرة اخطاء ناسخها .

ومن حيث قام هلال ناجي بمراجعة هذا الاصل وتصحيح اخطائه واعاد المراجعة على نسخة الزيتونة بعد حصوله عليها ، وكان قد بدا فى طبع الكتاب .

ثم رقم الموشحات بحسب تسلسلها فى المخطوطتين ، وراجع نصوص الكتاب على المصادر المتاحة له ، وشرح بعض الفاظها الصعبة وترجم لوشاحي الكتاب ، وكتب مقدماته ، والحق به الاستدراكات والفهارس المنوعة ، وقام بجميع ما استتبعه تحقيق الكتاب ونشره من جهود

— 3 —

ويضم الكتاب 165 موشحة لستة عشر وشاحاهم : ابن بقي — الاعمى التطيلي — الابيض — ابن اللبانة — ابن رافع راسه — البطليوس الكميت — ابن شرف (الحفيد) — ابو القاسم المنيشي — يحيى بن الصيرفي — الخباز — الجزار — ابن لبون — ابن رحيم — ابن ينسق — ابن زهر (الحفيد) — احمد بن مالك السرقسطي .

وهم من وشاحي القرن السادس الهجري ، وقد ترجم هلال ناجي لهم فى آخر الكتاب ترجمات ضافية ، تعد كتابا بذاته على جانب من الاهمية كبير ...

وفى ءاخر الكتاب استدراكات قيمة على بعض الموشحات ، وهي الموشحات رقم 19 و 24 و 71 و 90 .

وفى مقدمات الكتاب تحقيقات رائعة كتبها هلال ناجي حول نسبة بعض الموشحات ، وهي الموشح رقم 3 و 19 و 20 و 21 و 26 و 90 و 97 .. وهي تحقيقات متميزة بدقتها : ومن نماذجها مثلا استدراكه على الموشح رقم 19 ، قال :

اوله — الموشح —

ادر لنا اكواب
ينسى بها الوجد
واستصحب الجلاس
كما اقتضى العهد (2)

نسبه ابن الخطيب للاعمى التطيلي ، وكذلك ورد فى ديوانه نقلا عن كتاب « جيش التوشيح » وقد ورد هذا الموشح فى «دار الطراز» لابن سناء الملك ؛ دون ان ينسبه لاحد . وفى « العذارى المائسات » انه لابن بقى ، وارى ان الدليل الداخلي يعزز انه لابن بقى ، فالممدوح فيه هو يحيى ، والارجح انه يحي ابن ابي القاسم ، ممدوح ابن بقي الشهير (3) .

وفى آخر الكتاب يستدرك على رواية الموشح برواية فيها بعض تغييرات (4) .

— 4 —

ويتحدث هلال ناجي فى المقدمات التى صدر بها الكتاب عن اهميته (5) وعن موضوعه وما الف فيه (6) .

---

(2) هذا الموشح تجده فى صفحة 29 من كتابنا « جيش التوشيح » .
(3) هو امير «سلا» بالمغرب الذى قصده ابن بقى من الاندلس ، وعاش فى ظله .
(4) راجع ص 279 جيش التوشيح .
(5) صفحات : ص، ق، ر .
(6) صفحة : ع، ف، ص .

كما يتحدث في اول الكتاب عن حياة الوزير لسان الدين بن الخطيب الذي تولى ابوه الوزارة لبني الاحمر واستشهد عام 741هـ ، وصعد ابنه لسان الدين الى مرتبة الوزارة ، وكان له من الجاه والنفوذ والتلاميذ ما لم يكن لاحد غيره (7) ، وانتهت حياته بغضب ملك بني الاحمر السلطان محمد عليه ، بعد ان وشى الواشون به عنده ، وهرب ابن الخطيب الى عبد العزيز المريني ملك المغرب عام 773 هـ ، وسعى ملك غرناطة لدى ملك المغرب لتسليم ابن الخطيب له فابى ، وتولى محمد ابن عبد العزيز المريني عرش فاس عام 774 هـ مكان ابيه وقد صنع صنيع والده في رفض تسليم ابن الخطيب لملك غرناطة ، وتولى عرش فاس السلطان احمد ابن ابي سالم المريني عام 775 هـ ، وقد وافق على تسليم ابن الخطيب ، وحضر وزير بني الاحمر والجلادون من غرناطة الى فاس ، واصدروا حكمهم على ابن الخطيب بالاعدام ، وفي سجن فاس قتل ابن الخطيب بعد اتهامه بالزندقة ، وذلك في نهاية عام 776 هـ .

وفي حديث هلال ناجي عن كتب ابن الخطيب بلغ غاية الدقة والاحاطة والعمق والشمول والاستقصاء لآثار ابن الخطيب المطبوعة والمخطوطة والتتبع لاوهام الكتاب والدارسين لتراث هذا المفكر الاندلسي الكبير .

– 5 –

ولا ينسى المحقق في عمله العلمي دون ان يقف وقفة متانية من اجل التحقق من اسم الكتاب ، ومن نسبته الى مؤلفه (8) ، وما اذا كان قد وصل الينا كاملا ام لا (9) ، وهو يرجح ان المنشور من الكتاب هو جزؤه الاول فقط ، اما جزؤه الثاني فمفقود .

وفي المقدمات التي صدر بها المحقق الكتاب يذكر الفروق بين مخطوطتي الكتاب في الخرجات الاعجمية (10) ، ويدلي برايه في هذه الخرجات في الموشحات الاندلسية (11)، ويناقش آراء المستشرقين فيما ذهبوا اليه من نظريات حول ذلك ، ورايه في هذا الموضوع راي سديد ومقنع ومنصف معا ، يجب ان يقرأه الباحثون والنقاد باهتمام .

– 6 –

وابن الخطيب يبدأ كتابه بمقدمة موجزة غاية الايجاز ، ويبدو ان فيها جزءا محذوفا ، حيث يبدا كتابه ، بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله ، بقوله :

« ورتبت الكتاب ترتيبا لا يخفى احكامه ، وبوبته تبويبا يسهل فيه مرامه ... الخ » .

والظاهر ان هنا كلاما محذوفا يتقدم على قوله : ورتبت الكتاب » ، يدور فيه الكلام حول التفكير في تاليف كتابه « جيوش التوشيح » .

وبعد المقدمة الصغيرة يبدا ابن الخطيب الحديث عن ابن بقي وموشحاته التسع .

– 7 –

ومن كل ذلك نستطيع ان نؤكد في ايجاز شديد ما يأتي :

---

(7) وزر ليوسف بن اسماعيل النصري واصبح كاتبه ، ثم وزر لابنه محمد بن اسماعيل الذى تولى العرش عام 755 هـ . وفي عام 760 هـ تولى الحكم اخوه اسماعيل بن اسماعيل بعد ثورة دامية ، فحبس ابن الخطيب وصادر أمواله ، وبمساعي سلطان المغرب ابي سالم المريني اطلق سراحه وذهب هو والسلطان محمد الى فاس عام 761 هـ . وفي عام 763 هـ عادا معا الى غرناطة بعد ان استرد السلطان عرشه . وفي عام 773 هـ ترك الاندلس وعاد الى المغرب مغضوبا عليه لوشايات اذاعها به اعداؤه لدى سلطانه ، فعاش في ظل السلطان المريني .

(8) راجع الصفحات : ك، ل، م .

(9) راجع الصفحات : ا ا ، ا ب .

(10) الصفحات : خ ، ذ ر ، ض ، ظ ، غ ، لا .

(11) الصفحات : ا غ ، ا لا ، ب ا .

ا ـ هذا الاثر النفيس يعود الفضل فى العثور عليه وتحقيقه ونشره الى الاديب العراقي الكبير هلال ناجـي .

ب ـ وهو وثيقة ادبية فريدة فى موضوعـه ، ويعد من نوارد كتب التراث ، واهميتـه فى بـاب الدراسات الاندلسـية لا تخفى على أحد .

ج ـ والجهد الذى بذله المحقـق العلامـة فى اعداده للطبع جهد رائع ، ونادر ، وفوق الطاقة .

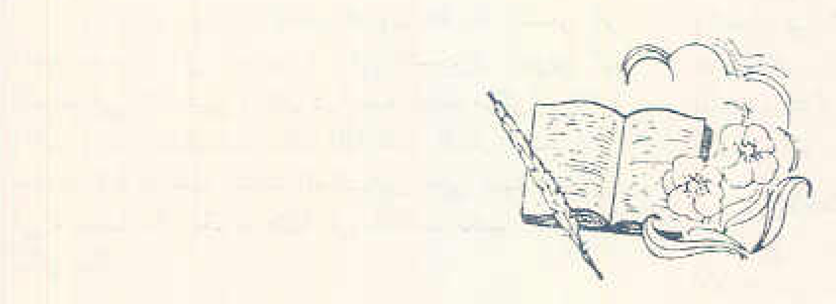
د ـ ولقد كان المحقق امينا كل الامانة ، ودقيقا فى منتهى الدقة وباحثا موسوعيا فى غاية الاحاطة والشمـول ، فى مراجعاتـه وتحقيقاتـه وفوائـده الكثيرة الغزيرة فى الكتاب .

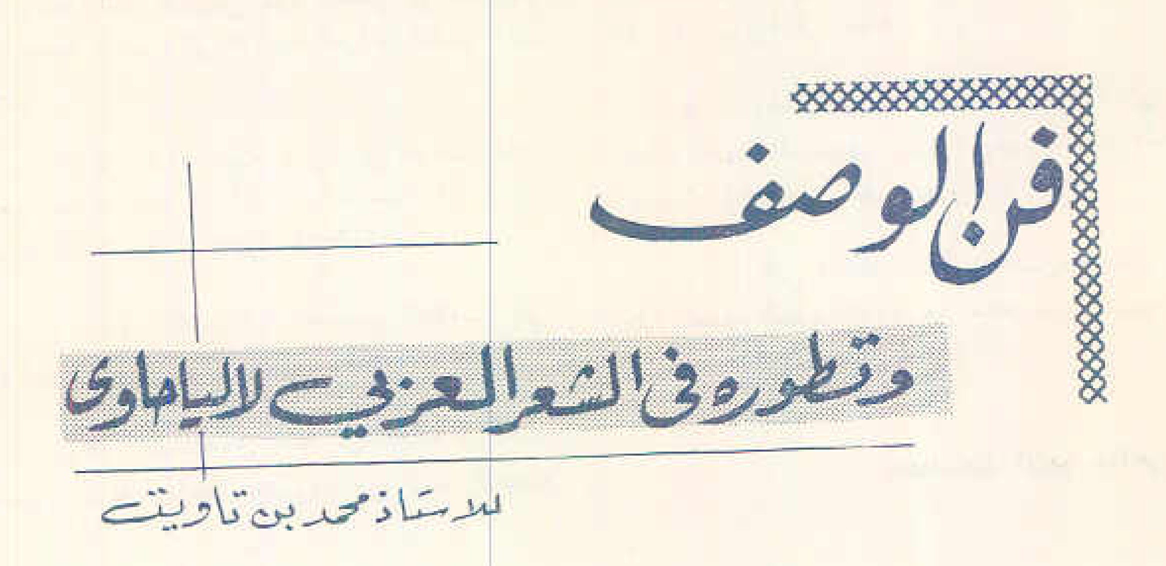
هـ ـ وعمل المحقق فى الكتاب يدلنا على مدى اصالة الجهد المبـذول فيـه ، وعلى انسان متمكـن محب للتراث ، معتز بعروبته وبامته .

و ـ واننى لا املك الا ان اهنـىء هـلال ناجي بهذا الجهد العظيم الذى يعز مثله على كثيـر مـن الباحثين والمحققين .

محمد عبد المنعم خفاجى







فن الوصف وتطوره في الشعر العربي لإيليا حاوي

للاستاذ محمد بن تاويت

من امتع ما قرات لمؤلفينا المعاصرين ، كتابنا هذا، الذي دفعني دفعا حثيثا الى طلب ما لهذا المؤلف من كتب اخرى في مجال الادب العربي عامة والشعر منه بالخصوص .

لقد تناول الباحث موضوعه تناولا فنيا يعتمد على اصول حديثة في علم النفس والنقد الجديد

وبالرغم من ان الكتاب تناول قضية الشعر في اقدم عصوره الى احدثها ، وفي الشرق العربي الى الغرب في الاندلس ، فان دراسته كانت مركزة تركيزا وافيا ، غير متشعب بتلك المقارنات الخارجية التي يعتمد الاطالة فيها كتابنا المعاصرون حتى يتيه القارىء في شعبها ولا يخرج منها في الغالب بكثير فائدة او طائل يذكر .

نعم ، اننا نود لهذا النوع من التناول الفاحص ان يستمر في ازدهاره المنعش ومنهجه السوي .

ومن وقفاتنا الخاصة في هذا الكتاب وقفة استبد بها الاعجاب فيما تناول به المؤلف طرفة ووزنه بميزان لم نجد من وفاه حقه به الا استاذنا الدكتور طه فيما القاه من محاضرات وما كتبه عنه في الشعر الجاهلي .

ويلي ذلك خلاصة مهمة نجدها في الصفحة 62 وهي لمعلقة امريء القيس ، التي اكبر من شأنها ، كما اكبر من نماذج اخرى للشاعر ، وقال : لو قدر لامريء القيس ان يلم لكثير من هذه النماذج ، لارتفع بالشعر العربي الى المستوى العالمي ..

كما نجد له لفتة تتعلق في الواقع بفقه اللغة ، وهي ما ذكره في الصفحة 75 من نشأة المترادف عن كثرة النعوت ، وان كان ما ذكره أحد الاسباب فيها ، وليس السبب الوحيد ، فهناك التعريب وتداخل اللغات او اللهجات والانتقال من المجاز الى الحقيقة والخطأ في الاستعمال او الغلط فيه ، وهو واقع في قديم العربية ، كما هو واقع في عصرنا ، وما عرف بالتوهم مذكور جدا في كتب القدامى ومعاجمهم ، وان كان المحدثون لم يعيروه ما يستحق من عناية ودرس

ويلاحظ على المؤلف انه حين تناوله للشعر الاندلسي اهتم كل الاهتمام بالموشح منه ، وان كان اطلاعه على شعر غير الموشحين جيدا ، كما نفهم ذلك من اشاراتها اليه في الفينة بعد الاخرى .

كما انه في شعر المعاصرين استبد به المنثور منه والمذهب السريلي منه خاصة.

ولا يفوتنا بعد هذا ان نذكر بعض الاخطاء القليلة التي وردت في الكتاب ، فقد ذكر في صفحة 94 ان زياد بن ابيه كان من قواد مروان البارزين ، والواقع انه توفي قبل تولي مروان بسنوات عديدة ، فقد توفي عام 52

وفي صفحة 65 يذكر للنابغة شعرا ، مع انه ليس له ، وانما هو لعمرو بن معدي كرب

وفى صفحة 122 يذكر لذي الرمة ابياتا من قصيدة ، قال عنها انها اخرى غير سابقتها ، مع ان هذه الابيات من نفس القصيدة السالف له ذكرها .

وكثيرا ما يجعل علم الكلام هو علم الفقهاء او الفقه، مع انه غيره ، كما نجد له ذلك فى الصفحات ، 191 ، و 205 ، و 213 ، و 215 ، و 216 .

واخيرا ، التصحيف وهو داؤنا العضال ، الذى يجعل القاريء غير واثق مما يقرا لمعاصرينا ، وان كان كتابنا هذا مختارا فى اسلوبه واضعا للكلمات فى محالها بدقة متناهية محافظا كل المحافظة على قواعد النحو والصرف ، ويكاد التصحيف والتحريف يخص النصوص وحدها ، فى كلماتها وشكلها ، كما نجد فى الصفحات 116 ساقت ، بدل (سافت) وفى 118 اضاليل ، بدل (اهاضيب) ، وفى نفس الصفحة ويمرح ، بدل (ويسرح) ، وفيها الحائل ، بدل (الجائل)

وفي 119 بضرع ، بدل (بفرع) وفي 122 عقربة ، بدل (عفرية) . وفى 123 فصرحت ، بدل (فعرضت) . وفى 1224 مورد ، بدل (موردا) . وفى 1225 ثار ، بدل (ثأد) . وفى الصفحة نفسها ويسر به ، بدل (ويسهره) . وفى 126 تدائبه ، بدل (تذاء به) وفى 127 قلق ، بدل (فلق) ، وانجلى ، بدل (جلا) ، وهاويه ، بدل (هاديه) ثم (تودى) ، سلقطة ، وفى 128 والقنا ، بدل (الصبا) . وفى 29 الدر ، بدل (الدري) . وفى 129 ركلا ، بدل (وكلا) وحول ، بدل (جول) . وفى 137 الفخار ، بدل (الفخر) الى غير ذلك من الكلمات المحرفة . وفى 264 سقطت (حتى) من البيت الخامس ، لاوس ابن حجر ، زيادة على ابيات وقع في نظمها اضطراب، كما حصل فى 348 ، حيث بيت ابن الرومي :

كاني ارى فيهن فرسان بهمة
يليحون نحوي بالسيوف القواضب

مجعولا مدورا هكذا :

. . . . بهمة يليحون . . . .

وفى 349 ، حيث جعل بيته :

تطامن حتى تطمئن قلوبنا
وتغضب من مزح الرياح اللواعب

مدورا هكذا :

. . . . قلوبنا وتغضب . . . .

وفى 350 ، حيث جعل بيته :

زلازل موج في غمار زواخر
وهدات خسف في شطوط خوارب

مدورا هكذا :

. . . . زواخر وهدات . . . .

وفى 351 ، حيث جعل بيته :

وان خيف موج عيذ منه بساحل
خلي من الارجاف ذات الكباكب

مدورا هكذا :

. . . . بساحل خلي . . . .

تطوان : محمد بن تاويت

أبو جعفر المنصور

تأليف الأستاذ علي الأدهم

تقديم أبو طالب زيان

يعد الاستاذ علي ادهم في مقدمة كتاب التاريخ الادبي، على وجه من وجوه الترجيح ، او كفة من اكفاف الرجحان ، في حسبان الطليعة المؤرخة ، او المعنية بفلسفته على اتجاهاتها الخالصة .

وان نسي المثقفون العرب ، في غمرة العديد من المؤرخين الادبيين ، فلن ينسوا هذا المؤرخ في استبطانه لدخائل عبد الرحمان الداخل ، ومفارقاته العجيبة في تناول سيرة « صقر قريش » الذي اعيدت طبعاته ، فغدا ثبتا ، واضحى مرجعا .

ولقد كان هذا النجاح الذي اصابه الاستاذ ادهم ، دافعا له الى ان يواصل دراساته المكينة ، فيثني بالمنصور سيرة ، ويتلو به : بطولة وعظمة ، على كثرة من البطولات التي برزت في العصور العربية ، وفيوض من العظمة في وقت قل فيه الغمط لها ، وعز الا من التقدير والانصاف .

والذين يطالعون «المنصور» في تحليل الاستاذ ادهم ، انما يؤخذون بالاعجاب ويلفتون الى اتجاه في الدراسة ، تدر ان يكون في تحليلات ودراسات لسير البطولة وتقدير البطولات .

والصفحات الاولى من هذا الكتاب، دراسة ومتابعة وتفريق بين العظماء والابطال في المذاهب المختلفة ، التي كان لها مدها العريض في سلك المنصور في طليعة العظماء من خلفاء الاسلام الذين عملوا في التاريخ العالمي بوصفهم مؤسسين حقيقيين لدول

استمرت تحكم العالم الاسلامي قرونا بيقظة دائمة ونظرة دائبة ، وسياسة حكيمة ، وخطط مدروسة .

والفصل الذي عقده المؤلف ، والم فيه بالخلاف بين بني هاشم وبين بني امية ، يعد تمهيدا لدعوة بني العباس ، الذين تمثل فيهم الدعاة ، وظهر على ايديهم قيام هذه الدولة العلوية التي عمرت اكثر مما عمر غيرها حكما وعملا واصلاحا . .

وبالاحرى لا يمكن ان يكون الباب الذي عقده الاستاذ ادهم لسقوط الدولة الاموية ، الا لكثرة الاسباب التي احاطت بهذه الدولة ، وزلزلتها عن مكانها في الخلافة والحكم ...

فالدلائل التي احصاها المؤلف لاسباب هذا الانهيار واجملها في ماضي هذه الاسرة ومواقفها، لما يقل ان تستخلص من الاسباب والمسببات التي حاصرت الدولة ، واخذت عليها اتجاهاتها في كل جانب لاسيما المحافظة التي كانت من جانب معاوية على « التوازن بين الشعبتين العربيتين الكبيرتين » : الشعبة اليمنية ، او القحطانية ، والشعبة المضرية او العدنانية ، وما نتج عن هذه المحافظة او هذا التوازن من ارضاء بعض القبائل ، ومناصرتها السافرة لفريق من الفريقين ، مما كان له اثره البعيد فيما ظهر بعد ذلك ...

وعقب المؤلف بمولد ابي جعفر المنصور ، ونسبه ، ومواقفه الخالدة في خلافة ابي العباس وراي الناس

فيه ، وتوليه الجزيرة ، وتلك المنافسة التى كانت « خافية المدب ، مكبوحة الجماح » فى صدري : عبد الله بن علي وابي مسلم الخرساني ، ايام العباس ، وظهرت واضحة على اشدها بعد وفاته ، تريد النيل من ابي جعفر وتبغي العصف به ، والذهاب بشخصه ، او تنحيته ايا كان : عن الامارة والحكم ...

والعرض المطول الذى اختاره الاستاذ ادهم لخلافة ابي جعفر ، وما كان من سياسته الرشيدة حين اتاه كتاب ابي مسلم ، وحين لقائه ، واخذ رايه فى بيعة عبد الله بن علي وموقفه بعد كسر شوكته وامن شره ، وضرورة القضاء على ابي مسلم والوقوف بجانب المنصور مؤيدا لسياسته ، كان يعوزه الدليل تلو الدليل لا ان يجد المنصور مندوحة الى جر ابى مسلم والقضاء عليه بالاستفزاز او اثارة الغضب ، او الخروج عن سياسة المهادنة التي كان يسيغها ابو جعفر ان لم يكن الامان او الاستسلام.

والحادثة التى سبقت ، قد تغني عن جملة حوادث ، لولا انها وردت فى عده مراجع بروايات مختلفة ، يقبل اكثرها الطعن ، ولا تصمد امام المقابلة والمراجعة والتثبت :

يقول المؤلف :

« ارسل المنصور يقطين بن موسى لاحصاء الاموال والخزائن التي حصلت في يد ابي مسلم وهو يعلم ما فى ذلك من الاساءة الى شعوره ، وغضب ابو مسلم كما كان متوقعا وقال : « افعلها ابن سلامة الفاعلة ؟ » وشتم يقطين بن موسى ، فقال يقطين لما راى ما داخله : « عجلت ايها الامير » .

قال : « وكيف ذلك ؟ » .

قال : « امرني ان احصي الاموال ثم اسلمها اليك ، لتعمل فيها برايك »

على ان المحاورة التى رويت تمهيدا للقضاء على ابى مسلم وعدها الكاتب توجيها للحياة التى خضعت لابي جعفر ، لاسيما عندما كتب ابو مسلم اليه يطلب اذنه وهو لا يعلم ما يبيت له ، او يحاك ضده ، قد كان اجدر ، الا تصور على هذه الصورة التى تعدت بالمنصور عن وشعه ، واخرته في نظرة التاريخ ، واحكام المؤرخين ، اذ لا يمكن ان يكون بطلا ، وهو يضع اربعة اشداء لقتل خصمه غيلة وغدرا ، وبخاصة اذا عرض ابو مسلم مجردا من سلاحه ، وهو يدخل على ابي جعفر ...

وقد استبعد كل الاستبعاد ، ان يحاسب الرجل على هناته ، والسيوف من حوله ، تضرب حمائله ، ويكون له منطق يدافع به ، او كلام يلتمس به العفو فى ضراعة وذلة ..!!

ويمكن التجاوز عن هذه الفعلة التى فعلها المنصور، ورواها الاستاذ ادهم ، دون ان يدل عليها من سند ، او يثبت ما اعتورها من دلائل ، الا ان يجازي قواده بجوائز سنية واعطيات ترضي بها نفوسهم ، وابو جعفر على هذه الحالة من السخط والرضى ، اكثر ما يكون عن نفسه ، وسلوكه فى ذلك الوقت العصيب !!

والعلل المستنتج ، والقيود التى فرضت نفسها على ابي جعفر ، حتى وقع فى هذا الفعل ، قد وقف الى جانبه الاستاذ ادهم ، حذرا الا من تلك الضرورة السياسية التى تمثلت فى صد تيار النفوذ الفارسي، قبل ان يستفحل امره ويعم الدولة ، التى كررته راجعة به الى الرشيد فى ايقاعه بالبرامكة ، والمامون باغتياله الفضل بن سهل ، وان لم يصيبوا جميعا فى تلك المحاولة التوفيق الذى كانوا يرضونه : « لان تغيير مجرى الحوادث فى كثير من الاحوال من وراء قدرة الرجال ، ولو كانوا من طراز المنصور والرشيد والمامون » لم يكن مندوحة لهذه الافعال ، او هذا الفعل الذى يفرض نفسه ابتغاء سكن الامور ، واستتباب الامن .

والتتابع والاحصاء اللذان عهد اليهما المؤلف ، وعقد لهما فصلا استغرق عدة صفحات من الكتاب ، كان اولى له أن يسوق حادثة من الحوادث تغني عن هذه الكثرة التى الزم نفسه بها، او لعله اراد بمساق جل هذه الحوادث التي وقعت لابي جعفر ، ان يبرهن على ذلك الذى كان يقيم عليه المنصور ، وان كانت هذه الحوادث قد وقعت جملتها غير متتابعة : او ممسك بعضها برقاب بعض ، حتى تكون ضميمة ، تشهد للمنصور بحسن تخلصه وكياسته ومعالجته للامور بالسياسة التى عرفت عنه من الاغضاء تارة ، والصبر اخرى ، والاخذ بالشدة ثالثة ، ان كان ثم سبيل الى المعالجة .

غير ان الشك الذى قد يساور بعض هذه الحادثات فى رواياتها ، وثبوتها على الصحة امام

البحث ، باخذ الاستاذ ادهم من ناحيتي نقله وتحقيقه .. اذ يكفي موقف المنصور من معن بن زائدة حين قدم عليه بعد ان مدحه الشاعر : مروان ابن ابي حفصة بقصيدته المشهورة وغضب المنصور عليه، ودفاع معن عن نفسه ، واكبار المنصور له ، اذ لا يمكن ان يحل العقاب برجل اعطى ، وينزل الغضب به ، وهو على كرم وجود ..!!

وقد مهد الاستاذ ادهم لمشكلة وراثة العرش بفذلكة تجريبية تدعو اليها ضرورات الحياة فى تلك الايام ، ذلك ان التجربة : « اظهرت ان ترك المجال متسعا للمتناظرين ، يعرض الدولة للاخطار التى تنجم عن التنازع على طلب السلطة » وساق عدة امثلة على الوراثة في جملة عهود ، وعدة دول وان اضطره البحث الى وقفة طويلة امام ما كان يحب المنصور من ولي عهده ، ومحاسبته اياه على اعماله التى قد لا يرضي عنها فى كثير من الاحيان .

اما ان تشذ القاعدة ، ويتجاوز المهدي وضعه ، ويسلك طريقا مستقلا ، وليس عليه تبعته ، فهذا ما لا يرضاه المنصور وهو يريد توجيهه وجهة يرضاها هو ، حتى كان لا يرفض ما يعطيه ولي عهده ، او يمنحه لبعض الناس منثا وعطايا ، بل كان يضع يده عليه ، ويستقطع جزءا منه ، حتى يخطط الطريق ، ويوضح المعالم .

وما تناوله المؤلف من تقليب وجوه الرأي ، ومساق الحجج على سياسة المنصور ، امام هذه المشكلة ، تناوله كذلك حين عرض للمنصور ووزرائه وحسابه لهم ذلك الحساب الشديد الذى تمثل فى احب الناس اليه ، وهو ابو ايوب الذى نفذ اليه عن طريق الضيعة التى اقطعها لابنه صالح المسكين ، وكان ذلك الحساب العسير ...

ولم يكن بد من ان يروى فى هذا الكتاب ، كثير من الحكايات التى الصقت بالمنصور ، او حيكت حوله، تظهره بمظهر البخل ، وتسم تدابيره بالحرص ، والتنكر حتى لاخلص خلصائه ، اذا ما طلب عونا ، او مد يده الى مساعدة ، واذا كان الدفاع يضطرب اذا ما دققنا النظر ، ورجعنا الى هذه الكلمات : « كان لابد للمنصور من توخي الحذر ، وتحري الحرص ليلائم بين نفسه وبين الظروف المحدقة به » وفى هذا مخالفة للواقع ، ومجافاة لحقيقة الموقف الذى كان يحيط بالمنصور ، ايا ما كان هذا التعلل ، وايا ما كان هذا التعليل او الدفاع .. فرجل كالمنصور احيط بالشحناء ، وفرض عليه ما لم يفرض على غيره من المنازعة ، كان لابد له من فرط يده ، لا ان يغلها فى الوقت الذى كان فى حاجة فيه الى دعاة ، يمشون له ، ليامن غيرهم عن طريقهم ، وان جنح المؤلف الى جانب المنصور ، بعد ان اظهره بمظهر الحريص الذى يرى قصر عطائه على اعمامه واقاربه ، وبعض انصاره واوليائه الذين اصطفاهم ، اما غير هؤلاء فقد قال المؤلف عن احدهم :

قال الوضين بن عطاء :

استزارني المنصور ، وكان بيني وبينه خلالة قبل الخلافة ، فصرت الى مدينة السلام ، فخلونا يوما ، فقال : « يا ابا عبد الله ما مالك ؟ »

فقال الوضين : «ثلاث بنات والمراة وخادم لهن»

فردد المنصور ذلك حتى ظن الوضين انه سيمنحه هبة تموله وتغنيه ، ثم رفع راسه وقال له : « انت ايسر العرب ، اربعة مغازل يدرن فى بيتك ».

وعرض الاستاذ ادهم لسياسة المنصور وادارته، وحلل نفسيته واتجاهه الذى آثره فى حياته ، وبعده عن اثارة الحروب ، وعمله على توطيد اركان الدولة ، ودعم بنيانها ، مفضلا اتخاذ الولاة من اهل بيته ، او ممن اصطنعهم من العرب والموالي ، وان ركن فى احيان كثيرة الى سوء الظن بالطبيعة الانسانية ، مما جعله يتدخل فى جميع شؤون دولته ، بل قد يذهب الى اكثر من هذا ، فيحاسب الولاة مهما تكن قرابتهم له ، او اياديهم عنده .

والدليل على هذا العنف او السند على هذه الشدة يتجلى فى موقفه من معن حين ولاه اليمن، وقصده الناس وشكه فى امانته ، بعد ان افنى رجاله فى حرب اليمن ، وما له فى طاعة المنصور، واستتباب الامر له .

وهنا كان للمؤلف وقفة ازاء المنصور : عالما وفقيها وزاهدا وشاعرا ، على الوضع الذى يسلكه بين هؤلاء ، او على الوضع الذى يدخله فى دور الجماعة المحبة دون اسهام ..

يقول الاستاذ ادهم :

« فى كتب الادب والتاريخ، الكثير من الكلمات الحكيمة منسوبة الى المنصور ، وليس ذلك عجيبا فقد كان فى ابان نشاته وعهد شبيبته مقبلا على طلب

العلم فى مظانه ، والحديث ، والفقه ، ونال منه جانبا جيدا ، وطرقا صالحا . وكان واسع الاطلاع على الادب ، حافظا للكثير من الشعر ، مما دفع بعض رواة الاخبار والسير الى المبالغة فى الاشادة بقوة ذاكرته وغزارة محفوظه ."

ولا تعنيني هنا المناقشة التى دارت ، او الاحكام المستخلصة من تسجيلات الرواة ، وبخاصة كتاب : « البيان والتبيين » بقدر ما يعنيني تعرض المؤلف لشعر المنصور ، وحكمه عليه بانه ليس فى المستوى العالي الذى يراد من رجل واسع الاطلاع كالمنصور ..

ولن يكون ابلغ فى ردي من شعر المنصور نفسه حين كتب اليه : عيسى بن موسى وهو يستشيره فى امر ابي مسلم وكتب اليه عيسى :

اذا كنت ذا راي فكن ذا تدبر
فان فساد الراي ان تتعجلا

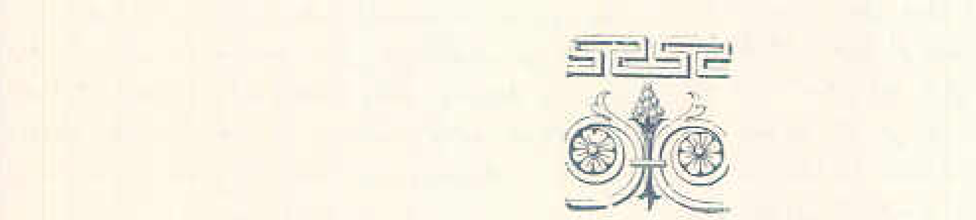
فكان رد المنصور :

اذا كنت ذا راي فكن ذا عزيمة
فان فساد الراي ان تترددا

ولا تمهل الاعداء يوما بقدرة
وبادرهم ان يملكوا مثلها غدا

على ان هذه الهنات الهينات ، التى تخفت فى ثنايا هذا الكتاب ، لا يمكن ان تكون باعث نظرة كليلة اليه ، او موضع شك فى رواياته التى اعتمدها الاستاذ ادهم ، وانما تكون باعثا من بواعث النظرة الجليلة لكاتب ارخ اديبا لخليفة ، اختلفت فى كل اتجاهاته الاغراض ، الا انه كان جديرا فى نظر لاستاذ ادهم والمنصفين ، بأن يوضع اسمه الى جانب اسماء اعظم الحاكمين والملوك والقياصرة والاباطرة الذين عرفهم التاريخ .

القاهرة ــ ابو طالب زيان





الاستاذ محمد عبد الله عنان باحث ومؤرخ كبير اغنى المكتبة العربية بمؤلفاته القيمة التى ارخ فيها لفترات هامة من حياة المغرب والاندلس .

والاستاذ عنان زار المغرب فى السنوات الاخيرة وتعرف على معالمه الحديثة فتوج هذه الزيارة باصدار كتاب سجل فيه انطباعاته وارتساماته سماه « التجربة المغربية » .

وفيه كتب يقول : « .. هذه الصفحات ليست كتابا بكل ما فى كلمة الكتاب من معنى ، وانما هي انطباعات صحفي زار المغرب واعجب به .

فهي ليس كتابا تاريخيا وليست دراسة موسعة مفصلة ، لان ما يشاهده الزائر فى المغرب من تاريخ حضارة وامجاد وتراث ونهضة وتقدم وازدهار وسحر وجمال وطبيعة وخيرات وعادات وتقاليد اسلامية عربية اصيلة يحتاج الى عدة كتب ومجلدات ..

وحسبي فى هذه المذكرات على ما فيها من سرعة وارتجال ، انها تعبر عن عاطفة صحفي زار بلادا ساحرة ، فاعجب بها واراد ان يسجل اعجابه فى كتاب سريع فكانت هذه الانطباعات » .

و « التجربة المغربية » كتاب يقع فى 200 صفحة من الحجم الكبير مزينة باحدث الصور ، وهو من منشورات دار مكتبة الحياة اللبنانية .

يحتوي هذا الكتاب على احد عشر فصلا وزعها المؤلف بين مواضيع مختلفة تحدث فيها عن النهضة المغربية الحديثة .

ونحن يهمنا فى هذا العرض الوجيز ان نلقي نظرة سريعة ابرز فيه مؤلفه وجه المغرب الحديث .

(1)

بين الماضي والحاضر

فى هذا الفصل يتولى المؤلف عرض بعض المراحل التاريخية والجغرافية للمغرب قديما وحديثا فيعطي فى اسلوب شيق نظرة عن الدولة الاسلامية فى المغرب مستشهدا باقوال كثير من المؤرخين والكتاب وهكذا نجده ينقل قول (ليفي بروفنسال) « المغرب الدولة الاسلامية الوحيدة التى وعت نفسها على انها امة لان الاسلام كما يقول (روم لاندو) » هو الذى مكن المغرب اكثر من اي عامل آخر لكي يصبح امة لها ميزاتها الخاصة ولها قوة يحسب حسابها » . ثم يذكر الدول الاسلامية التى تعاقبت على المغرب من ادارسة ومرابطين وموحدين ومرينيين وسعديين فيقف عند العلويين هذه الدولة التى قال عنها : «يبدا تاريخ الاسرة العلوية فى المغرب منذ 1660 حتى اليوم وقد تعاقب على الحكم من هذه الاسرة عدة ملوك حتى عام 1927 حين تولى العرش المغفور له الملك محمد الخامس . والاسرة العلوية اسرة شريفة يرجع نسبها الى علي بن ابي طالب والسيدة فاطمة الزهراء وقد حافظت هذه الاسرة على وحدة المغرب وبسطت رواق الامن فيه واقرت علاقات دبلوماسية مستمرة مع مختلف الاقطار الاجنبية .

اما الحماية المغربية فقد فرضت على المغرب فى 30 مارس 1912 ، حيث اتفقت فرنسا مع اسبانيا على اقتسام البلاد ، وعاش المغرب فى ظل الحماية فترة قاسية من الكفاح والنضال فى سبيل التحرير والاستقلال حتى انتزعه ببطولة نادرة وكفاح مرير فى 2 مارس 1956 بقيادة الملك الراحل المغفور له محمد الخامس » .

(2)

المغرب الحديث

فى هذا الفصل يتحدث المؤلف عن المغرب الجديد مغرب ما بعد الاستقلال فنجده يشيد بالمنجزات التى تحققت فى عهد الاستقلال فيقول : « حقق المغرب منذ استقلاله حتى اليوم نهضة كبرى ، فاحتل المركز اللائق بين الدول والشعوب ، واستوحى من تاريخه المجيد وموقعه المهم ما يمكنه من بناء الدولة المستقلة الحديثة . واستفاد من تجربة الكفاح المرير فى سبيل الاستقلال للمحافظة على كيانه وحريته ووحدته فاخذ يعمل لبناء مجتمع سعيد ووطن متقدم ...

ونهضة المغرب تعتبر تجربة تاريخية ذات ميزات وخصائص فريدة ، فهي تشمل كل نواحي الحياة ، وتحقق الخير للجميع ولا تفرط باي حق من الحقوق كما لا تهمل اي قاعدة من قواعد العدالة والاخلاق وتحافظ على العادات والتقاليد ..

وحمل الحسن الثانى مشعل النهضة المغربية بنفس اليد القوية وبمثل القلب الكبير والعقل الراجح والراي السديد والتضحية المستمرة والعمل المخلص الواعي لخير الشعب ومصلحة البلاد ، فتجلت فى شخصية الخلف الصالح شمائل السلف الراحل، فاكمل المغرب نهضته الجبارة ولا يزال يسير فى طريق النور والتطور نحو الهدف المنشود ...

ان نهضة المغرب هي علامة الانتقال من الماضي المظلم الى الحاضر المتطور ، وهي دليل التقدم المستمر فى طريق المستقبل الباسم والغد السعيد .. »

ومن هذا الوصف الذي اوجزناه ايجازا ينقلنا الاستاذ عنان لنعيش مع فقرات من كتاب (14 يوما عن المغرب) للاستاذ محمد رضا شرف الدين الذى كتب بدوره عن المغرب الحديث يقول: «ان اقطارنا العربية فى المشرق لم تتوصل بعد عمرانيا الى ما توصلت اليه اقطارنا العربية فى المغرب ، ولن تتوصل اليه الا بعد مرور وقت قد يطول ... وارتني الايام التى قضيتها فى المغرب مشاهد لم اكن اتوقع ان اراها فى قطر عربي ... فوجدت نفسي امام تاريخ ضخم لشعب كان يصنع التاريخ .. ذلك الشعب هو شطر امتنا العظيمة الثاني الذى اقتعد مغرب الشمس يستبق امجاد شطرها الاول فى مطلعها فلا يغرب عنها .. تاريخ فرع ضخم من اصل ضخم .. »

ونجد بعد هذا الكلام تعليقا للاستاذ عنان يحلل فيه مغزى هذه السطور التى كتبها الاستاذ محمد رضا لانها سطور تعبر عن الواقع والمفاجاة ، لان المغرب لم يعرف على حقيقته ، والصورة التى ارتسمت فى اذهاننا عنه لم تكتمل بعد . نحن لا نعرف ما يكفي عن تاريخ المغرب وجغرافيته ، وسياسته واسلوب الحكم فيه ، ونضاله وعروبته ، وحياته الاجتماعية والثقافية ، واقتصاده وزراعته ، وامكانياته ، ومقومات الحياة فيه ، وطبيعته ، وجماله ، وثرواته، وخبراته .

فمن اجل التعريف بهذه المميزات التى قد ينفرد بها المغرب عن غيره من الاقطار ، حرص المؤلف على اصدار كتابه هذا الذى اخترت من بين الكتاب المغاربة لتقديم نبذة عنه للسادة القراء ، حسب رغبة من اهدانى هذا الكتاب المفيد .

(3)

مشاريع المغرب الحديث

ان القسم الهام من الكتاب خصصه المؤلف للحديث عن المشاريع الوطنية التى انجزها المغرب او التي هي فى طريق الانجاز . وهكذا نجده يقسم الفصول الاخيرة من كتابه « التجربة المغربية » الى جوانب متعددة تطرق فيها الى الزراعة ، والصناعة ، والسياحة او ما تجمعه كلمة (اقتصاد) ، ثم ينهي كتابه بفصول عن النهضة الاجتماعية فى المغرب ودور الشباب فى هذه النهضة واخيرا بذكر التقدم الذي احرزت عليه الدبلوماسية المغربية قديما وحديثا .

وهكذا نجده يقول عن التنمية والتخطيط : « تقوم النهضة المغربية الحديثة على اساس التخطيط، مما جعل المغرب افضل مثل للدولة المنتصرة فى معركة

التنمية . والتنمية الاقتصادية والاجتماعية في المغرب ترجع الى عام 1957 وتعتمد على توجيهات جلالة الملك الذي أراد تحقيق الامور التالية :

- ضمان التعادل الاقتصادي في جميع القطاعات .
- تنمية الانتاج الزراعي .
- تكوين الاطارات الفنية .
- الاستقلال التام المطلق للثروة القومية .
- رفع مستوى المعيشة عند السكان .
- تجديد الصناعة التقليدية والحديثة .
- اصلاح الدساكر الفلاحية .
- تحسين حالة المصالح الادارية .

(4)

الزراعة

ولم يكتف المؤلف بتقديم شروح مختصرة عن كل قطاع من القطاعات الاقتصادية بل خص كل قطاع بفصل خاص ، وهكذا افرد لكل من الزراعة والسياحة ، والصناعة صفحات خاصة فعن الزراعة كتب يقول : « في المغرب 41 مليون هكتار من الارض منها 4.750.000 هكتار من الارض المزروعة و 850 الف هكتار حدائق وبساتين وكروم و 2.500.000 هكتار من الارض البور و 325 الف هكتار من الغابات و 2.500.000 منطقة الحلفاء و 7.800.000 مراعي و 17.400.000 صحاري ومناطق غير منتجة . هذه الارض الخيرة الواسعة وهبتها الطبيعة الحياة الدائمة فتفجرت فيها المياه بكميات وافرة قادرة على ري ما لا يقل عن 2.741.000 فدان ... وبما ان المغرب على هذا النحو بلد تغلب فيه الزراعة على اي شيء آخر، فقد بدات الحكومة بوضع مشروع انمائي لخمس سنوات يستهدف زيادة الانتاج .. واهم ما يلفت النظر في اهتمام الدولة بالفلاحة ان عدد سكان المغرب سيصبح في المستقبل القريب 24 مليونا ، مما يجعل الاقتصاد في مجالات الزراعة وغيرها عاجزا عن تلبية حاجة السكان ... وبما ان 80 في المائة من المغاربة **يعملون في الزراعة** فان الاسبقية اعطيت للفلاحة في التخطيط الخماسي»

ومن معركة الفلاحة او مليون هكتار ينقلنا الى السدود فيذكر بان مشاريع اقامة السدود في المغرب كثيرة اهمها مشروع وادي زيز وسد سبو الذي سينتفع منه ثلاثة ملايين مواطن وسيعزز الدخل القومي ما بين 30 - 35 ٪ واذا كان السد الكبير الحديث - يقول المؤلف - هو الذي يبلغ ارتفاعه 15 مترا فان في المغرب 14 سدا من هذا النوع ، بالاضافة الى خمسين سدا آخر انشئت وفقا للاساليب الفنية الحديثة رغبة في تيسير ري الاراضي وتوجيه المياه للانتاج الكهربائي وتزويد الاراضي بما تحتاج اليه .

ويقول المؤلف بأن الملك الحسن الثاني نقل قضية الاهتمام بالمياه والسدود الى مؤتمر التعاون الاقتصادي لمنظمة الافريقية الاسيوية الذي عقد في 16 مارس 1966 فقال : « لقد تمكنتم بأن تلمسوا بانفسكم ان لهذا الاقليم (1) تجارب تتصل بالاستمرار وبالري وبتعاونيات الانتاج بتجارب تضافرت فيها جهود الدولة والجماعات والافراد وتضافرت فيها بوادرهم وخاصة رأس مالهم الاداري ، لكي نتمكن من رفع مستوى الفرد انطلاقا من الجماعة وبالتالي من الامة » .

(5)

السياحة والحضارة

وعن السياحة كتب يقول : « المغرب من اكثر الشمال الافريقي اثارة للزائر نظرا لما يتمتع به من مناظر طبيعية خلابة في الجبال والسهول ، ولما تنتشر في ارجائه من كنوز وافرة من الحضارة .. فكل من يزور المغرب يلاحظ هذا الجمال ويتغنى بهذه الروعة، ويتحدث عن السعادة التي يلمسها كما تحدث احدهم عن وادي السعادة فقال (2) » .. وهذه مدينة مكناس وعن يسارها صعدنا في جبل وقفت به السيارة على

---

(1) يعني اقليم بني ملال الذي عقد فيه المؤتمر المذكور .

(2) وادي السعادة يعني به صاحب الكلام « الشعبة السعيدة » أو كما يسميها العامة « بجنة باليو » وهي شعبة توجد على بعد كيلومترات من مدينة مكناس في اتجاه الرباط .

احد سفوحه ، واذا نحن امام شلالات تنحدر من عل الى واد رغيب ، تحتضنه الحدائق وتحنو عليه الاشجار وتبتسم له الازهار ، فتنتشر على سفوحه من الاعالي الى اعماق الوادي كدرجات هي الجنات المعلقة ، تجري الانهار خلالها فى قنوات الى احواض بنيت من احجار غير منحوتة ولا مصقولة وضعت كانما وضعت كيفما اتفق فبدت وكانها طبيعية لم يقم على بنائها مهندس ، ولم يرفع احجارها بناء ، وتجري المياه منها فى قنوات كالتى دخل فيها ، تنحدر به الى المدرج المنبسر دونه ، وهكذا احواض وقنوات ومدرجات كلها جناب مدى البصر ، هذا هو وادي السعادة » .

ومن هذا الوصف البديع انطلق الاستاذ عنان انطلاقة المرء الذى شاهد ولمس وعاش مع جمال المغرب وطبيعته الفاتنة فوصف كل ما وقع عليه بصره من جبال ووديان وسهول وشواطيء ومناظر وبساتين وحدائق ، هذه العناصر الطبيعية التى تميز المغرب عن غيره من الاقطار الاخرى والتى تجعل السائح يحتفظ فى ذاكرته بصور لا تنسى عن المغرب وجماله ولا غرو ان يكون الاستاذ عنان من السواح الذين انطبعت صورة المغرب فى ذاكرتهم حتى قال ما معناه ان الساعات التى يقضيها السائح فى مصايف المغرب ومتنزهاته ساعات حالمة لا يشعر معها بالزمان او المكان فكأنه فى قطعة من جنان الخلد والرضوان .

واذا كان الاستاذ عنان حدثنا عن فتنته بجمال المغرب فان الآخرين حدثونا عن فتنته بالآثار والمخطوطات والوثائق التاريخية التى كان يعيش بينها ساعات طوال دون ان يحس بملل او ضجر ، فقد كان يتنقل بين المكتبة العامة بالرباط ، والمكتبة الملكية ، وخزانة القرويين ، بحثا عن كل جديد فى تاريخ المغرب والاندلس ، فكانت سياحته الاولى فى عالم هذه الكتب التى وجد فيها ضالته المنشودة حيث قارن بين المشاهدة بالعين وتجرد القراءة فى الكتب فكان يبحث فى تاريخ دولة من الدول المغربية او ملك من ملوكها ثم يقف بنفسه سواء فى فاس او مراكش او مكناس او الرباط او تطوان على ماثر هؤلاء ويجمع من آثارهم الشيء الكثير .

ولذلك وجدناه يقول « .. فى الحديث عن الحضارة المغربية علاقة مباشرة مع السياحة لان من اهم عناصر السياحة جمال الطبيعة وثروة البلاد الفكرية ، فالسائح لا يقصد الراحة دائما بل كثيرا ما يقصد الفائدة او يحاول ان يجمع بينهما . ومن هناك كان اهتمام الدول السياحية مركزا فى العناية بالانشاءات السياحية والآثار التاريخية والمظاهر الحضارية . . .

ان تاريخ المغرب حافل بالوان شتى من الحضارة المدنية . وفى هذا التاريخ شواهد كثيرة على اصالة الحضارة المغربية فى شتى مجالات السياسة والثقافة والفنون .

ففي شؤون الحكم يعتبر المغرب من اقدم البلاد التى نالت الاستقلال وحافظت عليه ، فهو كما قيل ما عرف هيمنة ولا سيطرة خارجية الا فى ظروف شديدة وقصيرة جدا ، ولذلك فان ما يتوفر عليه تاريخ هذا البلد من ذخائر وكنوز لا يمكن ان يقدر بثمن ، وانه بمقدار ما تتقدم دراساتنا للمغرب ، وبمقدار ما تتعمق ، نشعر باننا حقا امام حصن منيع ظل طيلة هذه الحقب من التاريخ مضرب المثل للامم القريب منها والبعيد ..

والحضارة المغربية تعبر عن شخصية المغربي الى حد بعيد فهي مظهر من مظاهر الذوق والفن والثقافة والاخلاق والشعور ، انها حضارة شعب عريق فى كل شيء، وليست هذه الحضارة مغلقة على نفسها، بل هي منفتحة على العالم باسره فى تاثير متبادل ، يعطي وياخذ » .

وقد اسهب الاستاذ عنان فى ذكره لمميزات الحضارة المغربية حتى استغرق هذا الجانب فى كتابه عدة صفحات استشهد فيها باقوال كثيرة كقول صاحب الجلالة الحسن الثاني « لقد تصرف هذا الشعب طوال عدة قرون تصرف شعب متمدن حميد الاخلاق ميال الى المحافظة على احسن ما فى تراثه التاريخي وماضيه . ويكفي ان اذكر ابن طفيل وابن سينا والمولى ادريس ومولاي اسماعيل والمنصور الذهبي ومسجد جيرالدا والموسيقى الاندلسية والمنحوت والخشب المنقوش وغيرها من معالم الحضارة التى لا يمكن لها ان تقوم وتزدهر ولا يمكن ان تستمر الا فى مجتمع يسعى القادة فيه الى تحقيق نهضة بلادهم وترقية حضارتها ، واذا كانت اوربا عرفت الجبر وفلسفة سقراط وافلاطون فذلك بفضل العرب وخاصة المغرب » .

ويقول روم لاندو عن حضارة المغرب ما يلي :
« احتفظ المغرب بقدرته على ان ينجب دوما فلاسفة وعلماء كان اسهامهم فى الحضارة عالميا معترفا به ، والمغاربة هم الذين جعلوا من غرناطة جنة ذات حدائق غناء يوم كانت اجزاء كثيرة من اوربا غابات فقيرة ، وهم الذين بنوا فى اسبانيا الاقنية والمجاري ونظام الري ... بينما كان اكثر بلدان اوربا يتيه فى الظلمات كان الفلاسفة الناهبون والعلماء والفقهاء من آسيا والشرق الاوسط والمدن الاوربية يقصدون جامعة القرويين فى فاس ، فالمشاهير امثال ابن رشد وامثال ابن طفيل والادريسي وابن خلدون وابن بطوطة انجبهم المغرب ونشطوا فيه ولم تكن المدارس والمؤسسات الاجتماعية ودور الحرف والمكتبات اقل شأنا مما عرف فى بغداد . وكانت الحضارة المغربية اثبت قدما فى التقدم من خير ما كانت اوربا تعرفه ، والاسلام فوق كل عامل آخر هو الذى مكن للمغرب من ان يصبح امة لها مميزاتها الحضارية الخاصة ولها قوة يحسب حسابها » .

فنظرا لاصالة الحضارة المغربية وللمميزات التى تطبعها فانها جعلت وسيلة اولى لجلب السياح الاجانب ، وحيث ان المغرب يحتل موقعا جغرافيا هاما بين البحر المتوسط والمحيط الاطلسي فهو نقطة التقاء بين افريقيا واوربا وآسيا ، لها من الناحية الجغرافية والسياحية اهمية استراتيجية تساوي مع اهميتها الاقتصادية كمصدر للثروة وجلب العملة الصعبة ولذلك اعطيت للسياحة الاسبقية فى التصاميم الانمائية تاكيدا للدور الكبير الذي يمكن ان تلعبه فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد اسوة بما حققته السياحة فى البلدان الاخرى من ايراد وتشجيع للصناعة الوطنية وتشغيل لليد العاملة ومكافحة للبطالة وتعريف العالم الى المظاهر الحضارية والعمرانية والاخلاقية

(6)

الصناعة والاقتصاد

لقد اورد المؤلف حكاية طريفة ليبرهن على ذكاء الصانع المغربي وذوقه الرفيع فقال : « حضر ذات يوم صانع مغربي الى بلاط الخليفة هارون الرشيد فاراد الخليفة ان يداعبه وقال له : « ان العالم العربي طائر وان ذنبه المغرب الاقصى . فاجابه المغربي : « صحيح يا مولاي ولكنهم نسوا ان يقولوا لكم يا امير المؤمنين ان ذلك الطائر هو طاووس ... واحسن ما فى الطاووس ذيله » .

نعم ان سحر المغرب موزع فى مجالات كثيرة : الطبيعة لها سحر يعكس عظمة الخالق ، والانتاج اليدوي له سحر يعكس طبيعة الذوق والنفس البشرية . وكلاهما متصل ببعضه ، سحر الطبيعة مصدر للسياحة وسحر الاعمال اليدوية يثير السائح، هذا السحر جعل المغرب كذيل الطاووس ، الذى قدمنا قصته كما اوردها الاستاذ عنان .

ان الصناعات المغربية « التقليدية » تلفت نظر السائح فيحمل منها اجمل الهدايا ويحتفظ منها باجمل الذكريات حتى اصبح لها شهرة عالمية نظرا لما تتوفر عليه من مهارة وروعة الصانع المغربي، وقد اولت الدولة هذه الصناعة كل ما تستحقه من العناية فبدات هذه العناية بصفة رسمية منذ فجر الاستقلال على يد المغفور له محمد الخامس الذى قال بمناسبة زيارته لمراكز هذه الصناعات « اننا نجد انفسنا مسرورين جدا عندما نكون وسط العمال والصناع الذين نعدهم كاولادنا ، لهذا زرتكم فى حومتكم ووسط عائلاتكم ليزداد شعورنا باننا منكم وانتم منا ».

وقد اقبل الشعب المغربي – يقول المؤلف – على العلم فارتفع عدد الشباب فى المدارس الى مليون و 300 الف عام 1964 (4) ، وكان للتعليم المهني نصيب وافر من هذا العدد .

اما الصناعة كانت ولا تزال هدفا اوليا من اهداف التقدم الاقتصادي فى المغرب نظرا لتوفر الامكانيات والثروة واليد العاملة .

وكان لابد من تشجيع رؤوس الاموال لتوظيفها فى الصناعات الحديثة المحلية فاصدرت قوانين تشجع توظيف رؤوس الاموال الخاصة مما

(3) لقد ارتفع عدد التلاميذ والطلبة الى نحو مليونين حسب احصائيات وزارة التعليم للسنة الدراسية 1968 – 1969 .

ادى الى ظهور صناعات اولية منها (معمل المحمدية)، لتكرير البترول والمركب الكيماوي بآسفي للصناعات الكيماوية الاساسية .

واهتم المغرب بعد الاستقلال بتنظيم شؤونه المالية تنظيما يرفع عنه آثار الحماية ويمكنه من استغلال ثرواته وخيراته ويحقق له السيادة الكاملة على اقتصاده بصورة عامة وعلى المؤسسات الاقتصادية والمالية بصورة خاصة .

والمال يرتبط بالتجارة وهو معها يؤلف عالما جبارا يتطلب جهدا يوميا . يتعلق بأمور كثيرة اهمها الثروة الوطنية والاسواق الخارجية والتجارة مع الثروات والموقع جعلت من الضروري تجهيز المغرب بالموانيء والمطارات وشبكات الطرق ووسائل النقل والمواصلات

ولم تفت المؤلف فرصة الحديث عن التعليم والصحة والقضاء والجيش فى عهد الاستقلال فاعطى ارقاما وتفاصيل عن هذه الاصناف قبين الاوضاع التى كانت عليها هذه القطاعات قديما والتقدم الذى احرزت عليه فى ظل النهضة الاجتماعية الحديثة كما اشاد بالخصال الحميدة التي يمتاز بها المواطن المغربى الذي قال عنه « واهم ما يمتاز به المغربي وطنيته الاصيلة وحبه للحرية واقدامه وشجاعته وتقديسه للعادات وتمسكه بالتقاليد ، وهو مثال للنشاط والعمل والذوق ، والاخلاق والمثل والدين والقومية ، ونموذج للمواطن الصالح الذى يمتاز بالسجايا الحميدة والخصائص النادرة .. ومن صفات المغربي الكرم والاحسان وهي من علامات الشهامة والمروءة .. وابرز المظاهر فى الشعب المغربي الى جانب الروح الوطنية والقومية والروح الاسلامية التى تطبع المغرب كله حبه لبلاده ..

وشباب المغرب يتميز بالحيوية والنشاط ، والوطنية والحماس .. فهم يلبون النداء ويقبلون على العمل بروح وثابة لتحقيق نهضة بلادهم وبناء الدولة الحديثة .

وملك المغرب رمز شبابه نشاطا وحيوية وفتوة ، وهو قائد نهضته الرياضية وموجه نشاطاته الاجتماعية ..

وللشباب فى المغرب عيد وطني هو عيد ميلاد الملك الحسن الثاني الذى يقدم فيه جلالته كل عام الى شباب المغرب والتوجيه السامي والتأكيد على دورهم فى التنمية الوطنية والتضحيات التي يلقيها الواجب على عاتقهم ...

وبالنسبة للمراة المغربية التى نظمت نفسها فى اتحادات قائها منذ كانت وهي تنال نصيبها من العناية والاهتمام والتوجيه والارشاد فكان المغرب ولا يزال فى طليعة الاقطار الاسلامية التى تطورت فيها المراة وقد بدا هذا التطور منذ ربع قرن وبفضله ساهمت المراة المغربية فى النشاطات الوطنية والاجتماعية .. وحين شعرت المراة بالمساواة فى الحقوق والواجبات ساهمت فى حياة المغرب واعطت ما طلب منها فى المجالات الاجتماعية ومؤسسات العمل والحركات النقابية والانتخابات والكفاح الوطني ..

وعن الدبلوماسية قال : « المملكة المغربية قديمة العهد بالحياة الدبلوماسية ، فقد تميزت الدبلوماسية المغربية منذ القديم بالحيوية والايجابية والحرص على التفاعل مع الاحداث .. ومنذ القرن الثاني عشر الميلادي كان المغرب يتبادل البعثات الدبلوماسية مع مدن حوض البحر الابيض المتوسط لتنظيم التبادل التجاري ، وقد تطورت العلاقات التجارية الى علاقات دبلوماسية وقد بدا هذا النشاط بين المغرب وهولندا ثم مع انجلترا وفرنسا فى القرن 16 ..

كان المغرب يستفيد من دبلوماسيته الناشطة فى سبيل الدفاع عن استقلاله وقد تمثل فى عدة مؤتمرات دولية فى مدريد عام 1880 وفى الجزيرة الخضراء عام 1906، وبعد ان خضع المغرب للحماية تسلم وزارة الخارجية المقيم الفرنسي ... ثم لما استعاد المغرب استقلاله اعاد جلالة الملك محمد الخامس تأسيس وزارة الخارجية .. وخاضت الدبلوماسية طريقها وسط المتاعب فعالجت المشاكل الملحة وانضمت الى الامم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية وحددت مواقفها من القضايا العالمية والعربية والافريقية والاسلامية وسارت على هذا النهج القويم الذى اختاره لها الملك الحسن الثاني فامكن للمغرب من استعادة مكانته الدولية التى تتسم بالحكمة والاتزان وتسعى الى

تحقيق التقارب بين الشعوب . وبفضل هذه الحكمة تخطت السياسة المغربية فى الخارج كما فى الداخل طور النمو ودخلت فى مرحلة التطور المتكامل وهي تمتاز بالنشاط والحيوية وتعبر عن الدبلوماسية التى يمتاز بها المغاربة بكثير من الدراية والكياسة ...

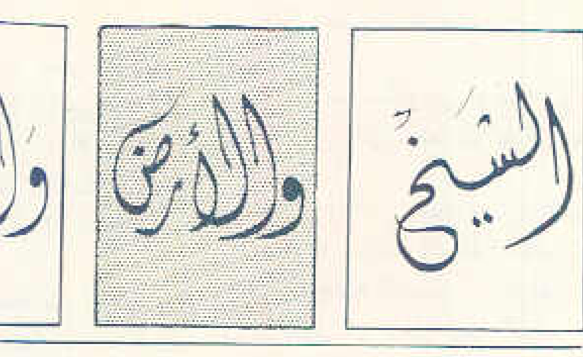
هذا هو المغرب فى سياسته الخارجية يطل على العالم بوجه متلاليء غني بالامجاد والتقاليد والاصول الدبلوماسية ، وفيه كل الاصالة والعروبة والاسلام والشعور الديني الصحيح ويحافظ على علاقاته بالدول العربية والافريقية الشقيقة ويعمل لخير المجتمع العالمي ولما فيه تحقيق السلم والعدالة »

تلك نظرة عجلى تختصر كتاب فى صفحات قليلة حاولنا فيها جهد الامكان ان نقدم « تجربة المغرب » كما لمسها الاستاذ محمد عبد الله عنان بنفسه ودونها بقلمه ونحن اكتفينا فقط باعطاء ملخص عن هذا الكتاب الذى نشكر صاحبه اهداءه جهوده وشغفه بتاريخ المغرب القديم والحديث .

الرباط ـ عبد الرحيم بن سلامة







للاستاذ ياسين رفاعية

اغمض عينيه ببطء . لكنه ظل يرهف السمع همست حفيدته قائلة :

ـ ان جدي قد نام

وسمع خطوات تنسحب من الغرفة ، انه قادرا على تمييزها ، خطوات ابنه ، زوجة ابنه ، ابنته، حفيدته ، وها هو الباب قد اغلق .

فتح الرجل عينيه . وحدق الى الغرفة . ان الظلام ينتشر فيها الآن . ولكنه ظل يحدق الى ان اعتادت عيناه رؤية الاشياء. واندار على جنبه الايسر، فاحس بارهاق وانهيار شديدين . انه متعب جدا .. ونظر عبر النافذة الى بستانه ، فبدت له شجرات الزيتون كأنها تنظر اليه مرتاعة ..

فابتسم .

وحاول ان يلمس جبينه المنقضن بيده المعروقة. فبذل جهدا كبيرا كي يفعل ذلك . وهمس لنفسه : انك متعب .. لقد تعبت اخيرا .. الحياة جميلة . لقد اعطيت الحياة بقدر ما اعطتك .. اعطيت ثمرا . اعطيت اولادا واحفادا . اعطيت حبا وحنانا .. واعطتك الحياة القدرة على ان تفعل ما تشاء وتحقق كل آمالك .. الحياة جميلة . وعندما يهرم الانسان مثل اي انسان يهرم يجب ان لا يحزن اذا اقتربت النهاية .. تلك سنة الحياة .. فان غادرت اليوم .. فقد تركت بعضك او كلك فى اولادك واولاد اولادك .. وفى هذه الارض الطيبة المعطاء .. وفى هذه الاشجار الرائعة التى منحتك أسباب الحياة .. وما زالت تمنح .. »

وتذكر قبل شهر واحد فقط ، كيف كان نشيطا فى العمل ، حتى ان ابنه خالد قد تعجب وهتف به :

ـ ما زلت شابا يا ابي .. فقال له :

ـ سأظل شابا حتى اموت .. ان الارض يا بني وفية للذين يرعونها . انها تمنحهم الشباب الدائم .

وضحك خالد فى ذلك الوقت ، وقفز الى ابيه وقبل لحيته البيضاء طويلا .. ثم سجد الى الارض والتقط حفنة تراب وهمس :

ـ يارب .. بحق هذا التراب علينا .. امدد من عمره

ان الرجل الشيخ يذكر تلك الصورة ، ويتمنى الآن لو يعيش طويلا كي لا يخيب رجاء ابنه ..

وعاد ينظر عبر النافذة الى البستان : ان شجر الزيتون ينشر ظلاله واغصانه على شجيرات المشمش والدراق .. لكنه يذكر عندما زرعها منذ اربعين عاما بيده هاتين ـ ورفع راحتيه المعروقتين قليلا ـ كيف قال له ابوه آنذاك :

ـ عليك ان تباعد بين كل شجرة واخرى .. ان الزيتون لا يطعمك الآن .. لان الزمن يطول قبل ان يعطيك ثمره .

ابوه . ذهب منذ زمن بعيد . لكن شجر الزيتون نما وترعرع .. تراه يذهب ويبقى الزيتون ..؟

وعندما وصلت افكاره الى هذا الحد ، عاد فتأمل اشجار الزيتون المحيطة بالمنزل ، واحس برغبة ملحة

لان يخرج الى البستان فأزاح عنه الغطاء الرقيق ، وعندما حاول ان يجلس ، شعر بقوة غريبة تدب في اعضائه .. وارتياح كبير يلف قلبه . فتساءل :

— هل شفيت ..؟

فهو لم يكن يستطيع التحرك منذ شهر تقريبا . لقد انهار فجأة ، واحس بالشيخوخة الكبيرة تأكل اعصابه وعروقه .. « هي سنة الحياة .. الا ما اروع الحياة » ولقد ظل مطمئنا .. انه ادى واجبه كاملا ، وكان وفيا لدنياه كما كانت دنياه وفية له ..

ونزل عن سريره الخشبي وتقدم من النافذة ، اتكا براحتيه على حافتها ثم اجتازها . فقدماه طويلتان والنافذة واطئة تكاد تقارب الارض وعندما لمست قدماه الارض ، احس بحرارة التراب ، وادرك ان جسده بارد جدا ، لكنه لم يعبا .

تقدم من الشجرة الاولى وعانق جذعها بحنان عجيب . وحاول ان يتذكر شكلها منذ زرعها اول مرة . لكنه لم يستطع . قربت براحته على طرف الجذع وابتسم . واحس كما لو ان اغصان الشجرة تعانقه .. فازداد التحاما بها . وقبلها طويلا . كانت دموعه الآن تبلل شاربيه ولحيته . وخطا عدة خطوات الى شجرة الزيتون الثانية ، وجلس القرفصاء الى القرب منها ، واخذ يداعب بأصابعه التراب المحيط بها . انه خشن وجاف . فتذكر أن الفصل صيف ، وقام . لقد بدا لنفسه في هذه اللحظة انه اقوى من اي وقت مضى ، فشعر بغبطة فائقة ، وود لو يعود الى فراشه لولا انه احس كأن بقية الشجرات تناديه . فاقترب من الشجرة الثالثة وعانقها طويلا . ان شجر الزيتون اكثر غنى من كل الشجر ، وخيل اليه ان الشجرة قد ادركت ما يجول في خاطره .. واتفق ان هبت ريح .. فصفقت بأغصانها طويلا ، واحس كأنها تتطاول وترتفع عبر الفضاء فداعب خشبها كما يداعب الرجل ابنه الصغير .

وراح الشيخ بعد ذلك ينتقل من شجرة الى اخرى .. ولقد همس لكل واحدة منها بحديث شائق . لعله تحدث عن نشأتها معه .. ونشأته معها ..

ثم اخذ يعانق جذوع كل الاشجار

اثنان وثلاثون شجرة . انها لثروة كبيرة .

واخذ الشيخ يبتعد صوب المنزل ، وعندما وصل الى مقربة من النافذة التي خرج منها ، احس بالانهيار والخوف ، فاخذ يبكي بحشرجة مخنوقة .. وتطلع الى الشجر ، فبدت له كأنها تنحني الى الارض . فقال بصوت خافت :

— ستكونين وفية لاولادي واحفادي ، وفية للارض التي حملتك طوال هذه الاعوام .

واحس كما لو ان الشجيرات تعاهده على ذلك ، فاجتاز حافة النافذة عائدا الى سريره . واستلقى على جنبه الايسر .. ولكنه احس كأنه يضمحل ، وحاول أن ينظر عبر النافذة الى البستان والشجرات فسمع كأن صوت مطر يلامس الارض الجافة ، وفتح عينيه جيدا فرأى الماء يتساقط من اغصان شجرات الزيتون كأنه قطرات من الدموع . فتعجب الشيخ اذ تذكر مرة اخرى انه في شهر آب .. ولكن الصور الآن اخذت تتزاح من امام عينيه الواحدة تلو الاخرى .. ثم احس كما لو ان دماءه تنسل من عروقه ..

فاستسلم

في الصباح . عجب اولاد الشيخ واحفاده وجواره عندما وجدوا ان ارض البستان مبتلة كما لو ان مطرا غزيرا قد تساقط .

قالت الحفيدة لامها :

— هل نزل المطر ..؟

اجابت الام بدهشة : انه مطر .

عادت الحفيدة لتقول :

— تعالي نخبر جدي

ودخلتا غرفة الشيخ ، واقتربت الحفيدة منه ، كان مغمضا عينيه كأنه يغط في نوم عميق .. وكانت هناك ابتسامة عذبة قد ارتسمت على شفتيه

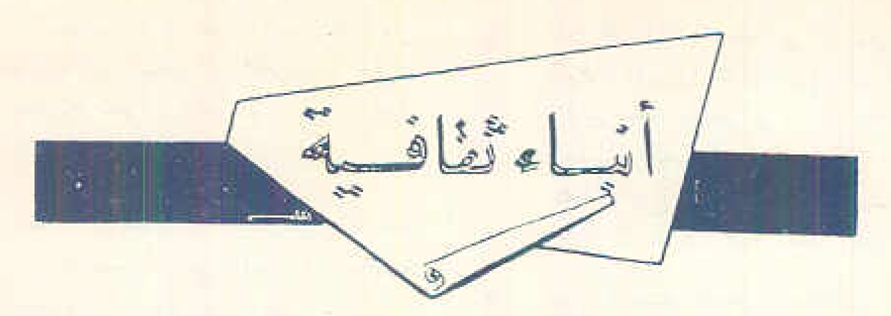
وهزته الحفيدة

— جدي .. جدي ..

لكنه لم يجب .

وكانت الشمس في الخارج ترتفع الى الافق

بيروت — ياسين رفاعية



المغـــرب :

* احتفلت المملكة المغربية بالعيد الاربعيني لميلاد صاحب الجلالة الملك المعظم . وبهذه المناسبة الكريمة اصدرت المجلات والصحف المغربية اعدادا ممتازة خاصة بهذه الذكرى ، شارك فيها جل الكتاب والقراء والبحاث المغاربة بمواضيع وقصائد كلها تشيد باعمال صاحب الجلالة ، وعبقريته وجهاده الموصول فى بناء هذا البلد الذى يكن له الحب والتقدير والاجلال . كما نظمت عدة مسابقات فى مختلف الميادين الثقافية والعلمية والاجتماعية فى موضوع هذه الذكرى الخالدة ، التى حركت الهمم والاقلام للاشادة بها وتخليدها .

* اصدر السيد زين العابدين الكتاني كتابا عن : « الصحافة المغربية » .

* اصدرت الآنسة رفيقة الطبيعة مجموعة قصصية بعنوان : « الرجل والمراة » . وهي اول مجموعة تصدر لها .

* احرز الاستاذ السيد محمد ابن شقرون ، مدير النشاط الثقافي العام بوزارة الثقافة على الدكتوراه التكميلية فى الآداب من جامعة باريس فى موضوع : « الحضارة المغربية على عهد بني مرين وبني وطاس » . والاطروحة عبارة عن دراسة وافية عن المجتمع المغربي وتياراته الاجتماعية والادبية والثقافية والاقتصادية وغير ذلك ، فى حقبة تتراوح ما بين القرن الثالث عشر ، والسادس عشر . ويستعد السيد ابن شقرون لطبع هذه الرسالة الجامعية باللغة الفرنسية فى المغرب .

* قام السيد مالكوم ، المدير المساعد للمدير العام لليونيسكو بزيارة رسمية للمغرب : تفقد خلالها المنشآت التربوية المغربية .

* ستعقد بمدينة طنجة فيما بين 15 و 22 دجمبر المقبل ، الحلقة الثامنة للدراسات الاسلامية . وستكون شخصية الحلقة ابن بطوطة . وسيبلغ عدد المشاركين فى هذه الحلقة خمسة وثلاثين عضوا ، الى جانب مختلف المستشرقين الذين سيستدعون لهذه الحلقة التى ستشرف على تنظيمها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي .

* ستعلن قريبا وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي عن مسابقة جائزة المغرب لهذه السنة 1969 التى ستمنح فى آخرها للفائزين بمؤلفاتهم فى هذه المسابقة .

* ستصدر قريبا وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي مجلة فكرية بعنوان : « الثقافة المغربية » ستعنى بالحضارة المغربية من آداب وعلوم وفنون ، الى جانب عنايتها بالفكر العربي والاندلسي .

* يصدر في هذا الشهر العدد الرابع عشر من مجلة « البحث العلمي » التى تدخل بهذا العدد فى سنتها السادسة .

* ستقوم وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية بطبع المحاضرات التى القيت خلال هذه السنة فى قاعة محاضراتها كل اثنين . وتستعد الوزارة المذكورة لتنظيم سلسلة من المحاضرات فى السنة الدراسية المقبلة على غرار السنة الماضية ، وستدعى عددا من المحاضرين المغاربة الذين لم يسبق لهم المشاركة فى «محاضرة الاثنين» للسنة الفارطة .

* توفي بمدينة تطوان الاستاذ الفريد البستاني ، الذى ينتمي الى عائلة البساتنة اللبنانية التى خدمت الفكر العربي . وقد تقلد الاستاذ البستاني عدة وظائف ثقافية فى تطوان على

عهد الحماية الاسبانية ، وحقق والف عددا من الكتب بعد هجرته من لبنان الى المغرب . وترك تحت الطبع بمدينة تطوان قاموسا ، لم يشاهد خروجه من المطبعة وتداوله بين الايدي .

* توجه الى عاصمة سويسرا ، وفد عن الاتحاد النسائي المغربي للمشاركة في المناظرة العالمية للشؤون الاجتماعية لاوروبا ، ودول البحر الابيض المتوسط .

* زار المغرب من اواسط شهر يوليو الى اوائل غشت وفد ليبي من جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الاسلامية للاطلاع على ما يقوم به قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط في ميدان البحث عن المخطوطات والمحافظة عليها وترتيبها وفهرستها والتعريف بها .

ويتركب الوفد من المشائخ السادة : محمد نصيب ، مدير المعهد الفرعي التابع للجامعة الاسلامية بالجغبوب، واحمدصالح انس الفيليبيني الطالب بمعهد التخصص بالجامعة المذكورة ، والطاهر ابو سلوم امين المكتبة العامة بمدينة البيضاء الليبية .

* صدر عن الدار التونسية للنشر «رسالة فكر» للاستاذ الاديب عبد الكريم غلاب رئيس اتحاد كتاب المغرب .

والكتاب يتناول عدة مواضيع ادبية ونقدية بالاسلوب الرائع الاخاذ الذي امتاز به الاستاذ السيد غلاب .

* صدر للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله ، الامين العام للمكتب الدائم للتعريب كتاب بالفرنسية عنوانه : « اضواء على الاسلام فى ينابيعه ».

* كما صدر عن المكتب الدائم للتعريب خمسة معاجم عن : السماكة ، والالوان ، والرياضة ، واللعب ، والادوات ، والاجهزة ، والآلات ، واسماء العلوم والفنون .

* اصدرت وزارة الشبيبة والرياضة اول كتاب للاطفال فى سلسلتها التاريخية بعنوان « رحلات ابن بطوطة » مع مقدمة عن الرحالة — حياته واعماله .

* قدم الاستاذ محمد ابن البشير ، احد اعضاء الوفد المغربي لدى المهرجان الثقافي الافريقي الذى عقد بالجزائر ، الى هذا المهرجان عرضا تحليليا علميا لموسيقى «الآلة» . ذكر فيها ان هذا النوع من الموسيقى ظهر فى وقت كانت اوربا لا تعرف فيه هذا الجوق .

* يقوم الشيخ النيفر التونسي ، من علماء جامعة الزيتونة ، واستاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة قسنطينة بالجزائر بزيارة للمغرب للتعرف على ميدانه الجامعي والدراسي . وقد تعرف فى زيارته على كثير من الشخصيات العلمية والجامعية ، واطلع على المناهج الجامعية فى بلدنا .

* زار الخزانة العامة بالرباط مؤخرا الاستاذ علي خشيم فهمي المصراتي من ليبيا ، للاطلاع على مؤلفات الشيخ زروق الفاسي ، الذى يقوم بكتابة رسالة جامعية عنه سيقدمها لنيل الدكتوراه من احدى الجامعات بانجلترا . وقد قدم له موظفوا الخزانة كل ما يتعلق بالشيخ زروق من وثائق ومستندات ، ومؤلفات وقد صور منها الاستاذ خشيم حوالى ستين مصدرا كلها تدور حول الشيخ زروق .

وللاستاذ خشيم دراسة قيمة عن «الجبائيين : ابي علي وولده ابي هاشم ، كان قدمها الى كلية الآداب بالجامعة الليبية تحت اشراف الدكتور ابن ريدة ، وهي مطبوعة ببيروت .

* فى نطاق التبادل الثقافى بين المغرب والمانيا الغربية ، زار المغرب خلال هذا الشهر وفد من الصحفيين والاساتذة والطلاب الجامعيين المغرب . ويبلغ افراد هذا الوفد 34 شخصا . وقد قام هذا الوفد بزيارة اهم المدن المغربية وتعرف على تقاليدها وثقافتها وحضارتها .

الجزائر :

* بتاريخ 9 يوليو الماضي اقيم بالجزائر العاصمة المهرجان الثقافي الافريقي ، شاركت فيه وفود مختلف القارة الافريقية بفرقها التمثيلية والفلكلورية، والفنائية، والسينمائية، والفكرية. وقد مثل المغرب فى هذا المهرجان وفد مهم من الفنانين والادباء برئاسة وزير الثقافة .

تونس :

* صدرت في تونس الكتب الآتية :
« قرط امي » وهو ديوان شعر للميداني بن صالح .

« الوراثة على العرش الحسني » من تاليف محمد الصالح مزالي .
وسيصدر قريبا عن الدار التونسية للنشر ديوان شعر للشاعر التونسي نور الدين صمود، بمقدمة الاستاذ احمد بن صالح ، كاتب الدولة للتخطيط والاقتصاد الوطني والتربية القومية.
وعنوان الديوان : « رحلة في العبير » .

* احتفلت اللجنة الثقافية القومية التونسية بذكرى مرور مائة عام على ميلاد المهاتما غاندي

* صدر لليلى مامي ، الكاتبة التونسية مجموعة قصصية جديدة بعنوان : « صومعة تحترق »

* اصدر الكاتب التونسي عز الدين المدني كتابا بعنوان : « ستون عاما من القصة التونسية » يضم نماذج من القصة التونسية .

الجمهورية العربية المتحدة :

* اللجنة الفنية في الجامعة العربية ، انتهت من اعداد المعجم العسكري الموحد (انجليزي — عربي). ويضم هذا المعجم مائة وثمانين مصطلحا عسكريا .

* « آفاق جديدة في الاب العربي المعاصر » هذا الكتاب صدر في القاهرة، لمؤلفه انور الجندي، يضم عددا من المعلومات الجديدة التي كانت غامضة في ثنايا دراسة النثر والشعر والقصة والتراجم .

* يصدر قريبا للدكتور بدوي طبانة كتاب تحت عنوان : « تراث العرب في النقد الادبي ».

* اصدرت الجامعة الاميركية بالقاهرة مجلدا يحتوي دراسة تحليلية لاتجاهات التاليف للكتب التي صدرت في مصر بين الحرب العالمية الاولى والثانية .

* «يا طالع الشجرة» رواية توفيق الحكيم فازت بست جوائز في كندا خلال المهرجان السنوي للمسرح الذي اقيم هنا واشتركت فيه ثمانون فرقة مسرحية تمثل اقاليم كندا ، وقد عرضتها بالانجليزية فرقة « باور هاوس » في اقليم كولومبيا البريطانية .

* الدكتور احمد الحوفي صدرا له مؤخرا كتاب بعنوان : « الادب السياسي في العصر العباسي » ، يشتمل على دراسة عن فن الادب السياسي .

* الشاعر السوداني محمد المهدي المجذوب ، صدر له قريبا ديوان شعر بعنوان : « نار المجاذيب »

سوريا :

* الشاعر غازي الجندلي ، صدر له بدمشق مجموعة شعرية باسم : «احاديث قلب» .

* «رندة» عنوان ديوان شعر لميخائيل ابو عقدة صدر مؤخرا في دمشق .

* عن دار مجلة « الثقافة » السورية بدمشق يصدر ديوان «نار ونور» للشاعر المهجري زكي قنصل .

* عقد مجمع اللغة العربية بدمشق جلسة لاستقبال العضو الجديد عبد الهادي هاشم خلفا للفقيد عز الدين التنوخي . والعضو الجديد متخصص في اللغات القديمة ، ومن الباحثين المعروفين في تحقيق المخطوطات العربية . وقد صادف دخوله للمجمع الاحتفال بالذكرى الخمسين لتاسيسه .

* « انشودات واشعار » ديوان يضم اربعين قصيدة لبرتولد بريخت صدر مؤخرا في سوريا مع مقدمه عن دور المسرح الغنائي واهميته في تطور الشعوب والحضارة الانسانية .

* الشاعر السوري سليمان العيسى صدر له ديوان بعنوان « نفثات قلب » .

لبنان :

* اصدرت منظمة التحرير الفلسطينية كتابا جديدا تحت عنوان : « الجهاد مستمر » من تاليف عايدة كار اوعلان . وقد نظمت بالمناسبة في بيروت ندوة هامة لمناقشة محتويات الكتاب .

* قررت جامعة واشنطون ان تمنح الكاتب اللبناني الشهير ميخائيل نعيمة درجة الدكتوراه في

الآداب لا بصفة فخرية بل بصفة عملية ، وذلك لانها لاحظت ان برامج التدريس التي كانت تعمل بها قبل الحرب الكونية الاولى كانت عالية بالنسبة لما هي عليه اليوم، بحيث ان حامل بكالوريوس علوم في ذلك العهد يحق له ان يحمل شهادة دكتوراه ، وتبين لها ان بين خريجيها لا يزال سبعة احياء في العالم من بينهم ميخائيل نعيمة ، وهو اليوم في الثمانين من عمره .

* اصدرت وزارة الداخلية اللبنانية قرارا بانشاء مؤسسة عامة في قرية « بشري » حيث يرقد جثمان جبران خليل جبران للسهر على تنفيذ وصيته فيما يتعلق بريع طبع كتبه وادارة الاموال الواردة من هذا الريع . ويشرف على هذه المؤسسة مجلس مكون من 15 عضوا ينتمون الى عائلة هذه القرية .

* صدر للشاعر اللبناني جورج رجى ثمانية دواوين ومجموعة قصصية .

* ضمن سلسلة الوثائق الفلسطينية السنوية ، صدرت حديثا « الوثائق الفلسطينية العربية لسنة 1968 » ، شاركت في اصدارها مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت ، وجامعة الخرطوم .

* عن قسم الدراسات التاريخية الجامعة اللبنانية صدر كتاب « تاريخ اليونان من فيليبوس المقدوني الى الفتح الروماني » للدكتور اسد رستم ، كما صدر لهذا المؤلف كتاب : « لبنان على عهد الامير فخر الدين المعنى الثاني » .

* ترجمت مسرحية « مهاجر بريسبان » لمؤلفها جورج شحادة الى عدة لغات اوربية ، ومثلت في مختلف العواصم .

* عن منشورات رابطة المطبوعات المسيحية العربية صدر كتاب « من هو الانسان ؟ » لصموئيل عبد الشهيد .

الكويت :

* صدر في الكويت كتابان : الاول عن اديب الكويت الراحل خالد الفرج بقلم خالد سعود الزيد ، والثاني عن شاعر الكويت فهد العسكر ، بقلم زكريا الانصاري .

الاردن :

* اهدت الحكومة الاردنية الف دينار الى مؤسسة الاخطل الصغير في لبنان .

* الكتب الآتية ، صدرت مؤخرا في الاردن : « الاصول العامة لعلم القانون للدكتور صلاح الدين عبد الوهاب ». « الامثال العامية الفلسطينية » جمعها محمد علي ابو حمدة . « الى الوجه الذى ضاع » ديوان للشاعرة فدوى طوقان . « راية في الريح » للشاعر محمد القيسي .

* تستعد اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر نشر كتاب « ابن سينا » الذى ترجمه الراحل عادل زعيتر .

العـــراق :

* قام الدكتور حسن محمد الشماع بتحقيق المجلد الرابع من تاريخ الفرات ، وصدر في هذه الايام .

* « امارة بهدنيان العباسية » ، عنوان كتاب من تأليف محفوظ العباسي ، صدر منذ مدة قريبة في العراق .

* «الموثون» مجموعة قصصية صدرت للقاص العراقي خالد الحسيني .

* نعت العراق شاعرها محمود الحبوبي . واحتفل الشعراء العراقيون بالذكرى الاربعينية لوفاته.

الاتحـاد السوفيـاتي :

* اصدر اتحاد الادباء بموسكو كتابا عن الشعر المصري يتضمن قصائد للشعراء : احمد عبد المعطي حجازي ، وصلاح عبد الصبور ، وصلاح جاهين ، وصالح جودت ، وغيرهم من الشعراء المصريين الذين زاروا الاتحاد السوفييتي بدعوة من الاتحاد هناك .

* اقامت جمعية الشعر في مدينة ستروكا بيوغسلافيا مهرجانا شعريا عالميا ، حضره شعراء من مختلف الاقطار العربية والاوربية .

فـرنســـا :

* قرر خبراء من العرب والاجانب عقد اجتماع بدعوة من اليونيسكو فى باريس لاعداد بيبليوغرافية موسعة عن الثقافة العربية المعاصرة ، تشتمل على نماذج من كتب ودوريات وصحف ، ودور سينما ، ودور النشر ، ومعارض ، ومتاحف ، كما تقرر نشر بيبليوغرافية ثانية تتضمن بيانات تحليلية ونقدية لابراز الاعمال واصدار موسوعة تتضمن تحليل ونقد لما ترجم الى العربية او منها الى اللغات الاجنبية بشرط ان تتركز بصورة خاصة على الفترة الممتدة من سنة 1954 الى اليوم .

* اصدرت الكاتبة الفرنسية كلوردياردون كتابا عن تاريخ الاطعمة الشرقية العربية . يحتوي على 50 نوعا من الطعام الشرقي الشعبي المتداول فى مصر ، وسوريا ، والعراق ، ولبنان ، والمغرب ، وتونس .

* تعرض الآن فى باريس مسرحية باسم « منطقة حمراء لمؤلفها اندريه بينيدتو . وتدور كلها حول غيفارا .

* عقد مؤخرا فى فلورنسا بايطاليا احتفال ادبي كبير بمناسبة مرور 450 سنة على وفاة ليوناردوفينتي .

أمـريكـــا :

* اديب امريكي شاب اكتشف 17 قصة قصيرة لم تنشر من قبل ، للروائي الانجليزي سومرست موم الذي توفى منذ سنوات قلائل الكاتب الامريكي المذكور ، بعد دراسة عن هذه القصص التى لم تر النور .



فهرس العـدد التاسـع والعـاشر